أشهر المعارك الحاسمة
في الحرب العالمية الثانية



الحرب العالمية الثانية
١٩٣٩ – ١٩٤٥

أشهر المعارك الحاسمة
في الحرب العالمية الثانية

اشرف علـى اختيارها واصدارها

عمر أبو النصر

مؤلف موسوعة الحرب العالمية الاولى والثانية

(تصدر عن مكتب « عمر ابو النصر » للتأليف والترجمة والصحافة)
بناية درويش – شارع سورية – بيروت



هتلر

كلمة المؤلف

في الطبعة الثانية لكتابي عن الحرب العالمية الثانية كتبت في مقدمته ما يلي :

« الى القارىء الكريم

« لقد طوّفت بك الدنيا يوم كتبت لك تاريخ (الحرب العالمية الاولى) لعشرين سنة خلت بعد انتهائها ..

ومن حقك ان تعلم ان الطبعة الاولى من هذه المجموعة قد نفدت منذ سنوات عديدة بعد ان بيع ما يقارب المليون نسخة من اجزائها الواحد والخمسين .

وكان ان اعدنا طبعها بالاتفاق مع المكتب التجاري في بيروت ، وقد نفدت هذه الطبعة ايضا ولم يبق الا عشرات النسخ ..

ثم عدت اطوّف بك العالم فقدمت لك تاريخ الحرب العالمية الثانية بعد عشرين سنة من اندلاعها ، فاقبل عليها القراء كما اقبلوا على الاولى ، ونفدت نسخها ، فاعدنا طبعها بالاتفاق مع المكتب التجاري ايضا فنفدت نسخها ايضا ولا يزال الطلب عليها متواصلا ، فقررت اصدار هذا الكتاب الجديد عن تاريخ الحرب العالمية الثانية ارضاء للقارىء وتلبية للطلبات الكثيرة التي وصلتني من بعيد وقريب ..

***

هذا الكتاب يختلف عما كتبته في الماضي من ناحيتين :

اولهما انه يقدم للقارىء تاريخ الحرب العالمية الثانية بطريقة جديدة، فلا يهمل حادثا ولا شأنا كبيرا ، بل انه يتبسط في الحوادث المهمة والمعارك

الحاسمة ويصف لك تأثيرها واثرها ، في سير الحرب ، وكيف انهـا قلبت الامـور ونقلـت النصر مـن فئـة الى اخرى لتكـون خـاتمـة المطاف وفصل الخطاب ..

واذا فانت في سبيلك لقراءة كتاب جديد عن الحرب الماضية ، ولمطالعة اهم احداثها وفصولها الرهيبة التي خلقت الدنيا الحاضرة ، ومشاكلها التـي لا تنتهي .

ولقد قسمت هذا الكتاب الـى قسمين : القسم الاول ضمنته قصـة الحرب العالمية الثانية ، كتبه مؤرخ مشهور هو الاستاذ فيشر استاذ التاريخ في جامعة اكسفورد ..

واما القسم الثاني فقد خصصته للمعارك الحاسمة في الحرب العالميـة الثانية ، وما كـان من اثرها في تطور الحرب واتساعها وتوقدها ، واشتدادها، مما اكتفينا في القسم الاول بالاشارة اليه دون الشرح والتفصيل ...

ان هناك من المؤرخين من يدرسون في الحرب معاركها الحاسمة ..

ويؤرخون للقواد الذين شاركوا في هـــذه المعارك الحاسمة وكانـت خططهم كلمة الفصل فيها ...

وهناك غيرهم يروون قصة الحرب في نسق رتيب علمي لا يهز القارىء ولا يثيـره ..

واما نحن فقد ذهبنا في هذا الكتاب مذهبا وسطا ، وجمعنـا بيـن المذهبين ، فأن لم يتسع هذا كله في كتاب واحد ، اتبعناه بثـان ، وللقارىء القول الفصل ان ساعد وايّد وشجع ..

عمر أبـو النصر

- ١ -

اسباب الحرب العالمية الثانية

بقلم الاستاذ : هـ . ا . ل فيشر
المؤرخ الانكليزي الشهير
واستاذ التاريخ في جامعة اكسفورد

التوتر الدولي

لا يعدو المرء الحقيقة حين يقول ان جميع الاحداث السياسية الهامـة ذات الصبغة الدولية التي حدثت خـلال الفترة التـي توسطت الحربين العالميتين (١٩١٩ ـ ١٩٣٩) ... هذه الاحداث جميعها تقريبا كانت نتيجة مباشرة او غير مباشرة للتسويات العامة التي ابرمت بين الحلفاء واعدائهم عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى . ولقد كان كثير من بقاع العالم ابان هـذه الحقبة يغلي في مرجل من الحسد والقلق والبغضاء والتنابـذ والاضطراب لما اثارته معاهدات فرساي ، وسان جرمان ، ونويـي ، وتريانون ، وسيفـر ، من الحنق وخيبة الامل وغمرة اليأس واسباب الانقسام والتفكك .

ولم يكن تقويض دعائم الامن الجماعي مباغتا او غير متوقع . فقد استمرت عملية التفكك والتداعي طيلة هذه الفتـرة دون ان تبـذل الدول الكبرى سوى محاولات ضئيلة مصطنعة لوقف تلك العملية .

واخذت القوة في العقد الرابع من هذا القرن تصبح الفيصل الاكبـر

في تسوية الشؤون والمنازعات الدولية ، وزاد التسلح تدريجيا في جميع اقطار اوروبا ، وظهرت عصبة الامم عاجزة عن فرض سلطانها على الدول الكبرى المعتدية ، واعترف اعضاؤها بأن العقوبات الادبية هي اقصى ما يستطيعون اللجوء اليه ، من وسائل الضغط والقهر على الدول التي تخرق العصبة ، ولا تحترم قراراتها . واخذ الجو السياسي يتلبد بالغيوم وينذر بالبروق والرعود ، وانتهكت حرمة المعاهدات ومبادىء القانون الدولي دون حياء او رادع ، وما غزو اليابان لمقاطعة منشوريا ، وفتح ايطاليا لبلاد الحبشة ، الا مثلان لما كان يجري في ذلك العقد من الزمان .

ومضت دول المحور (المانيا وايطاليا واليابان) قدما توحد قواها وتضم صفوفها وتنظم هيئاتها . واخذت المانيا وايطاليا واليابان تتقارب تدريجيا فيما بينها ، ساعية الى الظفر ببعض الاسلاب التي رنت بأعينها اليها ، شاعرة بأن التسويات الماضية قد حرمتها هذه الغنائم والاطايب التي راحت تنعم بها وحدها الدول الديموقراطية . ولاح لهذه الدول انه يمكنها ان تظفر بما تشتهي بالتلويح بالقوة او باستخدامها .

وبدت لها الدول الديموقراطية شعوبا قد هرمت وحلّ بها ضعف الشيخوخة ، ولاحت لعينها النظم الديمقراطية بطيئة في انجاز الاصلاحات الداخلية ، عقيمة في الوصول الى قرارات حاسمة .

كما وعد حكام المانيا وايطاليا بني قومهم بانهم سيجدون العلاج الناجح لمشكلاتهم الداخلية ، والحلول الشريفة العاجلة لمعضلاتهم الخارجية ، وانهم سيعملون على اقامة نظام جديد للعالم ، توزع بمقتضاه المستعمرات والمواد الخام والموارد الطبيعية بالمساواة والقسطاس بين الامم ، وان بلادهم ستجد العزة والكرامة والرخاء والنظام اذا ما التفت حولهم وانضوت تحت اعلامهم.

ولقد لقيت هذه الدعاية قلوبا واعية لدى تلك الشعوب نتيجة لتنظيم هذه الدعاية على نحو فريد ونطاق رحيب ، واظهرت الانظمة الدكتاتورية درجة عالية من الكفاية والمقدرة والسرعة في انجاز الاعمال ، والقضاء على اسباب الاضطراب الداخلي والضرب في شدة على ايدي المعارضين .

اما الدول الديمقراطية الكبرى فقد اصرّت حتى اللحظة الاخيرة على اغماض عينها عن رؤية الخطر الداهم الذي يهدد سلامتها . فواصلت الولايات المتحدة سياسة العزلة وابت ان تحمل على عاتقها اية مسؤولية لكفالة السلام العام . واستنامت انكلترا الى صولة اسطولها ورفعة مقامها ،

ودهاء سياستها ، فلم تبذل جهدا جديا حاسما لوقف الدول المحرومة كايطاليا واليابان ، او الدول التي احست بعار الهزيمة وذلّ التسليم كالمانيا — لكف يدها عن البطش والعدوان . وبدات انكلترا مع فرنسا في الاعوام القليلة التي سبقت الحرب العالمية الثانية سياسة عرفت بسياسة «التهدئة» تميزت بالخمول الذهني ، والتراخي الادبي والجبن السياسي .

غزو اليابان الاراضي الصينية

وكانت اليابان الدولة الجماعية الاولى التي شعرت بانها من القوة بحيث تستطيع ان تضرب في سرعة ماضية وقوة قاهرة ضربة كبرى في سبيل التوسع والسلطان . وكانت تتميز حنقا من القيود التي فرضتها عليها سياسة الباب المفتوح في الصين ، ومعاهدة الدول التسع ، واغرى اليابان على اختيار الصين مسرحا لتدخلها وفرض نفوذها ، ما بدت عليه الجمهورية الصينية من ضعف شديد وانقسامات خطيرة بين زعمائها ، واشتعال حروب اهلية محتدمة الاوار بين كبار قوادها ، مما انهك قواها ، واهلك فيها الحرث والنسل . فخالتها اليابان فريسة سهلة المنال ، ومجالا فسيحا لتحقيق اهدافها السياسية واطماعها الاستعمارية .

وكانت مقاطعة منشوريا ذات اهمية عظمى لليابان من الناحيتين الاستراتيجية والاقتصادية . وخشيت ان تقع هذه الولاية تحت النفوذ الشيوعي ، الامر الذي يهدد تهديدا خطيرا مصالحها الاقتصادية الكبيرة في تلك الجهات . وكان يحكم منشوريا قطب شبه مستقل من الاقطاب العسكريين الصينيين كانت تشتبه اليابان في ميوله القوية نحو الصين ، وصداقته مع السوفييت ..

واتفق ان كان يسيطر في مطلع العقد الرابع فريق متطرف من الحزب العسكري على الحكومة اليابانية ويسير دفة شؤونها . وحدث ان انفجرت على خط سكة حديد منشوريا الجنوبية قنبلة اطاحت بارواح عدد من اليابانيين ، كما اغتيل عدد آخر من اليابانيين الساكنين ببعض القرى الصينية ، واعتدي على املاكهم . فاغتنم الجنرال هاياشي هذه الفرصة ، وزحف في ١٨ ايلول سنة ١٩٣١ بقواته اليابانية من كوريا الى منشوريا ، وتم له فتحها في غير عناء كبير .

ويعد كثير من المؤرخين المدققين هذا الحادث الذي يعرف « بحادث منشوريا » — يعدونه بدءا للحرب العالمية الثانية — ..

واقام اليابانيون حكومة خاضعة لهم في تلك المقاطعة ، وفي ١٥ ايلول ١٩٣٢ اعلنوا منشوريا دولة مستقلة باسم مملكة « منشوكو » واجلسوا على عرشها بويي امبراطور الصين السابق ، وعملوا على اقصاء كل نفوذ للجمهورية الصينية عن تلك الدولة .

ورغم ان هذا الغزو كان انتهاكا لعهد عصبة الامم ، وخرقا لميثاق كيلوج ، اللذين كانت اليابان احدى الدول الموقعة عليهما ، والملزمة باحترام احكامهما ، فقد وقفت عصبة الامم موقف العاجز عن منع هذا العدوان ، او اجبار المعتدي على رد غنيمته ، وحماية سلامة اراضي الصين بوصفها احدى الدول الاعضاء بها ، وذلك وفق المادة العاشرة من عهد العصبة ..

ولكي تغطي العصبة عجزها ، عينت لجنة برئاسة لورد ليتن لبحث الحالة في منشوريا . وقد قدمت هذه اللجنة تقريرا عرض على الجمعية العمومية للعصبة في ٢٤ شباط سنة ١٩٣٣ ، واوصت فيه بجعل منشوكو ولاية تتمتع باستقلال ذاتي تحت سيادة الصين . ولكن اليابان ضربت بهذه التسوية عرض الحائط ، وانسحبت من عضوية عصبة الامم ومضت قدما توضد قبضتها على ذلك الاقليم الرحيب الغني .

وازداد نفوذ الحزب العسكري في اليابان ، واستفحلت شوكته في توجيه دفة البلاد واقدم على اغتيال رئيس الوزراء وعدد من الوزراء الاقطاب المعروفين باعتدال النظرة ، ونشط لتنفيذ برنامج ضخم في الاستعداد الاقتصادي والتسلح الحربي لغزو الصين نفسها .

ووقع في صيف سنة ١٩٣٧ تصادم بين الجنود اليابانيين الذين كانوا يجرون بعض المناورات ، والجنود الصينيين المرابطين على جسر (ماركو بولو) على مقربة من بلدة بيبنغ . ويعرف هذا التصادم « بحادث الصين » . ذلك ان الجيش الياباني قام على اثره (٧ تموز) بالزحف على الاراضي الصينية ، رجاء الاستيلاء على بعض مقاطعات الصين الشمالية ، وبذلك طوّح ببلاده في مغامرة حربية هائلة .. لان زعماء اليابان وقادتها العسكريين اخطأوا تقدير مقدرة الصين على الكفاح والجلاد والتصميم القاطع .. وكان ان اشتبك القطران الشرقيان في حرب ضروس طويلة ، ما لبثت ان غدت جزءا من الحرب العالمية الثانية .

الحرب الحبشية الايطالية

شجع تخاذل الدول الديمقراطية امام الغزو الياباني لمقاطعة منشوريا ،

وانتهاجها في غير جدوى سياسة التهدئة ، واخفاق عصبة الامم في محاولاتها تسوية حادث منشوريا بما يعيد الطمأنينة الى الدول الصغيرة . ويكفل سلامتها ... شجعت هذه العوامل وغيرها (بنيتو موسوليني) دكتاتور ايطاليا على الاقدام دون خشية على النزول في حلبة الفتح والاستعمار ، فامتشق الحسام في وجه دولة صغيرة ضعيفة ، رنت انظار الايطاليين امدا طويلا الى امتلاكها واستغلال مواردها الطبيعية .

وكانت ايطاليا قد اعتزمت في عام ١٩٣٣ الاستيلاء على الحبشة ، رغم ان كلتا الدولتين كانت عضوا بعصبة الامم .

ووعد موسوليني ابناء جلدته ، بانه حينما يجيء عام ١٩٣٥ « ستصبح ايطاليا في مركز يجعل صوتها مسموعا وحقوقها معترفا بها » .

ورأى ان الاوان قد حان لاعادة الامبراطورية الرومانية ذات المجد التليد والسلطان الواسع ، وبدت له الحبشة التي اعترضت الطريق بين المستعمرتين الايطاليتين : ليبيا والصومال ، والتي كان يذاع عنها وفرة مواردها الطبيعية وضعف قوتها الحربية ... بدت له لقمة سهلة سائغة يمكن ان يبدأ منها تحقيق آماله العريضة واحلامه الضخمة . واستطاع ان يقنع في اوائل سنة ١٩٣٥ (بيير لافال) رئيس الوزارة الفرنسية بالموافقة على هذا الفتح .

ارسل موسوليني قوات ومعدات حربية هائلة ، وزحفت كتائبه في تشرين الاول سنة ١٩٣٥ على تلك البلاد البدوية الضعيفة ، وكانت نتيجة القتال امرا مفروغا منه ، اللهم الا اذا تدخلت عصبة الامم للحيلولة دون هذا العدوان . واستصرخ النجاشي هيلا سيلاسي العصبة بان تمد له يد الغوث، بعد ان تعرضت بلاده لفتك جميع المعدات الحربية لدولة اوروبية من الدرجة الاولى في المصفحات والطائرات والغازات السامة .

وبعد مناقشات طويلة وخطب مملة ، اعلنت العصبة في تشرين الاول ان ايطاليا دولة معتدية . وقررّت في الشهر التالي توقيع « العقوبات » الاقتصادية التي يفرضها عهد العصبة في مثل هذه الحالة على الدول المعتدية فطلبت من الدول الاعضاء ان تمتنع عن مدها بالسلاح والمال ، وفرضت الحصار البحري عليها ، بيد ان ايطاليا كانت تملك من الاسلحة والمواد — ما عدا البترول — ما يكفيها للاجهاز على فريستها ..

ورفضت اغلبية الدول الاعضاء ان تدخل في قائمة المواد المحظورة

الحديد والصلب والقصدير وزيت البترول ، الامر الذي جعل من « العقوبات » الاقتصادية مهزلة كبرى ، واضعف الى مدى بعيد نفوذ العصبة الادبي وسلطانها القانوني . هذا في حين انه كان يقصد في الحقيقة من وراء تطبيق المادة السادسة عشرة من عهد العصبة ان يكون قطع العلاقات التجارية والمالية مع الدولة المعتدية خطوة تمهيدية لعمل حربي حاسم تقوم به جميع الدول الاعضاء .

وما وافى شهر آذار سنة ١٩٣٦ حتى كان الايطاليون قد قضوا على كل مقاومة حربية جدية من جانب الحبشة ، ودخلوا اديس ابابا فاتحين ، مما اضطر هيلاسيلاسي على الفرار في اوائل ايار .

وانتشى الدوتشي بخمرة النصر بعد ان تحدى ثلاثا وخمسين دولة ، واعلن في ٩ ايار ضم الحبشة كلها الى ايطاليا ونادى بالملك فكتور عمانويل الثالث امبراطورا على الحبشة .

واظهرت بريطانيا وفرنسا ان كلتاهما تؤثر سياسة التهدئة الملتوية . وما لبثت العصبة ان اقرت جهارا بعجزها ورفعت العقوبات الاقتصادية عن ايطاليا في منتصف عام ١٩٣٧ .

لما ظهر هتلر (١)

ولقد كان الجو السياسي في البلاد العربية حالكا مدلهما في السنوات التي تقطعت بين ظهور هتلر على المسرح السياسي الدولي واعلان الحرب العالمية الثانية ...

وكانت الحكومات العربية جميعها واقعة اما بصورة مباشرة او غير مباشرة ، تحت نفوذ احدى الدول العظمى ، وكان شباب العرب يحاولون تحرير بلادهم بمختلف الوسائل ، فتارة يثورون ، وطورا يقاطعون ، وتارة يقفلون اسواقهم ومتاجرهم .. ومرة يرفضون التعاون ، ويأخذون باسباب السلبية الى اقصاها ، وهذه حالة ابعد ما تكون عن الاستقرار ، واقرب ما تكون الى اثارة الخواطر واضطراب النفوس ، وتذمر الرأي العام ، وتصدع النظم الحكومية القائمة ...

في هذا الجو المضطرب القلق الجاهم ظهر هتلر ولست اريد البحث عن ظهوره في المانيا ولكني اريد التعليق على ظهوره دوليا سنة ١٩٣٣ بعد ان

(١) بقلم عمر ابو النصر

اكتسح حزبه جميع المقاعد في الريشتاغ الالماني ، وبعد ان اصبح الكابورال السابق في الجيش الالماني البافاري مستشار المانيا وزعيمها الاول ...

وتطلع شباب العرب الى هذا الشخص الذي لم يكن شيئا لسنوات خلت ، فاصبح اليوم شيئا مذكورا ، واخذوا يرقبون حركاته ويتتبعون خطبه ، ويعدون عليه انفاسه ، فاذا هو يتقدم بعد تسلمه زمام السلطة ، من نصر الى نصر ، واذا هو يهدم كل العراقيل الدولية التي كانت تقف في طريقه ، واذا كل تصريح من تصريحاته يثير دويا عالميا ، واذا كل كلمة من كلماته تحدث هزة سياسية من الطراز الاول ، واذا المانيا وبعد سنوات قليلة من ظهوره تعود الى مركزها في صدر الوجود ...

وحبس العرب انفاسهم ، واخذوا يبحثون موقفهم ويرتصدون الايام المقبلة ، وقد ذهب بعضهم الى الظن بانه لا سبيل الى حصولهم على استقلالهم الا ان تختصم الدول الكبرى بعضها مع بعض ، فيخلو لهم الجو ، ويصفو الزمن ، وكانوا يعتقدون الى هذا بانه كلما ازداد الجو السياسي في اوروبا تلبدا ، كلما قرب الامل في الانطلاق والحرية ...

ولم يكن العرب علم الله يريدون استبدال عبودية فرنسية او انكليزية باخرى المانية ، فان هذه الفكرة كانت ابعد ما تكون عن تفكيرهم ، ولكنها سلاح استعمله اعداؤهم لتشويه عطفهم نحو المانيا ، مع ان عطفهم هذا لم يكن يتعدى الرغبة في ان تعود هذه الدولة الى سابق عهدها ، وماضيات ايامها وحرياتها ، خصوصا وان الالمان لم يتصلوا بالعرب اتصال الحاكم المستعمر وانما اتصلوا بهم اتصال تجارة وثقافة وصناعة .. فلم يكن والحالة هذه بينهم وبين الالمان عداوة او خصومة ...

وكان هذا العطف سببا في ان يتتبع شباب العرب كل حركة من حركات هتلر ، وكل كلمة من كلماته وكان في الغموض الذي اضفاه هذا الانسان على نفسه وحياته الخاصة ، سببا قويا في اثارة اهتمام العالم حوله ، فقد كان الناس لا يعلمون عن نشأته الا قليلا ، وكان في نزواته وثوراته ، واضطرابه وقلقه ما يدعو الى مزيد التفكير فيه ، وكانت مغامراته السياسية وانتصاراته فيها وسكوت الدول الكبرى عنه مما يزيد في افتتان العالم به ، والتعلق بشخصه ...

والواقع اننا امام شخصية غريبة ، خرجت على غير مثال ولا نظام ، وما اكتبه اليوم عنه لم انشره في الكتب الماضية التي اصدرتها عنه والتي كانت السبب في متاعبي العديدة ولست احاول اليوم ان اردد ما قلته عنه

بالامس ، وانما اريد ان اصف بعض نزعاته ونزواته مما لم اعرض له قبلا . . .

لما ظهر هتلر على المسرح الدولي اخذ المتصلون به يضربون اخماسا باسداس كيف يستطيع هذا الجندي السابق ، الذي لم تكن له سابقة في السياسة ولا معرفة في الاصول المتبعة في الاستقبالات الديبلوماسية ، ولا كان ينعم بقسط من المعارف المفروضة فيمن يتزعم مثل مركزه ، ان يستقبل السياسيين ورجال الصناعة ، وكبار رجال المال ، وممثلي الدول العظمى ، وكيف يكون حديثه معهم ، وما يكون جوابه لاسئلتهم ، وقد اجاب هتلر نفسه على هذا السؤال فقال لصديقة من معارفه راحت تحاوره قائلة :

ــ ما الذي تقوله للسفير الروسي حين تستقبله في حفلة سياسية ؟

فأجابها هتلر قائلا :

ــ ان هذا امر سهل جدا . . . انظر الى عينيه مليا حتى يتملكه الاضطراب ثم اقول له : « اوجدت الجو مناسبا في برلين يا صاحب السعادة ؟ » وبينما هو يحاول الجواب على سؤالي ، اكون قد تركته الى ضيف آخر . . .

ومن المؤكد ان هذا الجواب يفسر عقلية هتلر كل التفسير ، ولكنه لم يكن الطريقة المفضلة عنده ، فقد كانت لديه طريقة اخرى ، وهو ان يبدأ بالكلام ما استقر زائره في مجلسه ، ولا يدعه يقول شيئا حتى ينتهي من خطابه ، وقد يستغرق حديثه احيانا نصف ساعة او اكثر او اقل ، ثم يصرفه دون ان يسمح له بان يقول شيئا ، فاذا سمح له بكلمة او اكثر قاطعه في اثنائها ، وراح يتحدث بما يريد الافضاء به كأنما هو وحده ، او كانه يخطب لنفسه . . .

ويؤكد الذين اتصلوا به انه كان كثير الاحتقار للناس ، لا يحترم احدا ، ولا يقدر شخصا ، وان من حوله كانوا عبارة عن آلات مسخرة ، وقد بلغ به الامر قبيل الحرب الثانية ان كان لا يستقبل زائريه في المواعيد المقررة ، ولما حاول الدوق (اوف ويندسور) الاجتماع به اضطره الى الانتظار ساعة كاملة قبل ان يسمح له بالدخول عليه . . .

وكان الى هذا وحيدا لا اصدقاء له بالمعنى المعروف من الصداقة ، ولم يكن لاحد دالة عليه ، ولم يكن يسمح لاحد ان يدل عليه . . . ولكنه كان محببا الى خدمه وحرسه ، يعطف عليهم ، ولا ينسى ايام ميلادهم ، يتعهدهم بالعطف ويتولاهم بالاحسان ، ويذكرهم بالخير ما كان الى ذلك سبيل . . .

وكان الى هذا كثير الارق ، لا يعرف النوم المتواصل مدى ساعات الا نادرا ، ولا يأوى الى فراشه في وقت معين ، ولا يشرب الخمرة ، ولا يدخن، لا يجيد المغازلة ولا يحسن هذه الظاهرة ، وما شاع عن علاقاته النسائية قد كذبته الاخبار الموثوقة ، يكره مطالعة التقارير التي تقدم له ، ويأبى الا ان يظل مكتبه فارغا من الاوراق الرسمية ، ويعتمد كل الاعتماد على رايه ، وزاد اعتزازه برايه نجاحه فيما قام به من مغامرات كانت تخالف آراء مستشاريه وقواده ، واذا كان هناك ما يستهويه فهو دراسة خرائط البناء وكل ما يتصل بالعمارة ، والاستماع الى الموسيقى . . .

ومن المفروض ان يثير هذا المخلوق الغريب اهتمام الناس والعالم ، ومن المفروض طبعا ان يثير اهتمامي فاكتب عنه ثلاثة كتب في سنة واحدة تقريبا . .

انتصارات هتلر الدبلوماسية

وكان هتلر بالتأكيد يرمي الى اهداف سياسية ثلاثة ، هي : توحيد جميع الشعوب الالمانية في دولة واحدة وسيطرة المانيا على اوروبا الوسطى والطريق الى الشرق الاوسط ، واقامة دولة جماعية كبرى تكون بمثابة حد حاجز دون طغيان الشيوعية على اوروبا .

والحق ان هتلر كان يضرب ضرباته السياسية في حذق وجسارة فائقين جاءاه بانتصارات سريعة عاجلة ، وبوآه مركزا من السلطة والنفوذ لم يبلغهما عاهل الماني منذ عهد شارل الخامس ، فقد تمكن بسلسلة من المناورات السياسية الباهرة والمغامرات الجريئة ان يبسط سلطانه على دولة المانية حقا ، لا على اشتات من الممالك والمقاطعات والمدن الحرة . والتف السواد الاعظم من الامة الالمانية في حماس بالغ ووطنية مشبوبة يقفون من ورائه صفا مرصوصا ، شعارهم « امة واحدة وحكومة واحدة ، وزعيم واحد » .

ولقد انتهجت كل من فرنسا وانكلترا منذ انتهاء الحرب العالمية الاولى سياسات متضاربة ، وظهر الخلاف بينهما جليا في مناسبات عديدة . وكان هتلر يعرف ذلك . فاستغل الشقاق بين الدولتين الديمقراطيتين الكبيرتين ابدع استغلال واتبع سياسة ، ظاهرها يدل على المغامرة والشطط . . . ولكنها قامت في الواقع على المام حسن بمجريات الامور ، وحذق كبير لافانين السياسة .

وما جاء عام ١٩٣٥ ، حتى شعر انه من القوة واحس من الثقة بضعف بريطانيا وفرنسا وتفرق كلمتهما ، بحيث وقف منهما وقفة الواثق بقوته ، المطمئن الى نتيجة سياسته . ففي كانون الثاني سنة ١٩٣٥ اجرى استفتاء تحت اشراف عصبة الامم في مقاطعة السار طبقا لمعاهدة فرساي ، جاءت نتيجته في صالح المانيا ، ذلك ان ٩٠٪ من اصل تلك المقاطعة اعلنوا رغبتهم في العودة الى احضان الوطن الالماني ..

واعاد هتلر جهارا في آذار سنة ١٩٣٥ نظام التجنيد الاجباري العام ، وانشأ قوة جوية ، واقام المصانع الكبيرة لانتاج الاسلحة والطائرات الحربية على نطاق كبير ، رغم مخالفة هذه الامور لاحكام معاهدة فرساي .

ولم تر بريطانيا في هذه الاجراءات ما يثير قلقها ، مما باعد كثيرا بينها وبين فرنسا . فرات الاخيرة ان تتجه نحو روسيا ، وسعت الى توثيق صلاتها السياسية مع الجمهورية السوفياتية . وفي ٢ ايار سنة ١٩٣٥ ابرمت بين الجمهوريتين معاهدة كانت في صميمها تحالفا حربيا ، ولو انها اتخذت في ظاهرها صيغة ضمان متبادل يدخل في نطاق عهد عصبة الامم .

فرد هتلر على هذه الاتفاقية بزيادة التقرب من انكلترا . وافلح في ان يعقد معها معاهدة بحرية في حزيران سنة ١٩٣٥ ، وافقت فيها انكلترا على ان يخرق هتلر احكام معاهدة فرساي الخاصة بتحديد قوة المانيا البحرية تحديد صارما ، مقابل اعترافه بتفوق القوات البحرية البريطانية . ورضيت بان يحدّد الاسطول الالماني الذي قرر هتلر بناءه بـ ٣٥٪ من مجموع حمولة الاسطول البريطاني ، وتساهلت تساهلا سخيا في عدد حمولة الغواصات التي يمكن لالمانيا بناؤها . وكان هتلر يرمي من وراء هذه المعاهدة الى فصل بريطانيا عن دائرة الحلف الفرنسي الروسي ، وبذلك شرعت الدول الاوروبية العظمى تعيد من جديد تمثيل الالعوبة القديمة للتوازن الدولي على مسرح السياسة الاوروبية .

وانتهز هتلر فرصة حرج مركز ايطاليا الدولي خلال الحرب الحبشية ، فأيد موسوليني تأييدا قويا في تحديه قرارات العصبة ، واعلانه ازدراءه شأنها ، وعدم حفله بالتزامات المعاهدات والقانون الدولي اذا ما تعارضت هذه الالتزامات مع مصالح بلديهما ، فضمن بذلك لنفسه ود زميله الايطالي واعترافه بالجميل ..

وادرك هتلر ان فرنسا لن تحمل السلاح بمفردها ضد المانيا ، اذا هي اقدمت على احتلال اراضي الرين واعادة تحصينها . فاعلن في ٧ آذار سنة

١٩٣٦ في خطبة قوية العبارات انه يعتزم تحصين تلك البقعة وكانت منطقة قد جردت من السلاح وفق معاهدات فرساي .

وفي ليلة ذلك اليوم نفسه دخلت جنوده تلك المنطقة ، ناقضا بذلك معاهدة (لوكارنو) التي كان قد وعد قبيل ذلك بانه ينوي احترام احكامها ودافع عن عمله بان المعاهدة الفرنسية – الروسية هي في روحها ونصها انتهاك لميثاق لوكارنو .

ورغم ان انكلترا اعلنت على لسان وزير خارجيتها في خطبة القاها في ٢٦ آذار سنة ١٩٣٦ بانها لن تتردد في خوض غمار الحرب اذا هاجمت المانيا فرنسا او بلاده ... فقد حزر هتلر في حدس صادق ان انكلترا زاهدة في تأييد فرنسا بالقوة ضد المانيا نتيجة لعدوانه الجديد .

واخذت الآن ايطاليا والمانيا تدنوان سراعا احداهما من الاخرى ، يوحّد بينهما مصالحهما المشتركة ، وضغط خصومهما عليهما ... وحدث في صيف سنة ١٩٣٦ حادث جال وثق عرى التفاهم بينهما ، وزادهما تقاربا واتحادا . ذلك انه اندلعت في اسبانيا في تموز سنة ١٩٣٦ نيران حرب اهلية تكاد تكون منقطعة النظير في شدة ضراوتها وفتكها وتدميرها .

ولنرجع القهقرى قليلا . فلقد كان الشعب الاسباني يئن متوجعا مكتوم الانفاس من نير ملكية جائرة ودكتاتورية عسكرية طاغية تمثلتا في شخصي الملك الفونسو الثالث عشر والجنرال (بريمو دي ريفيرا) كبير الوزراء . ومع ان (دي ريفيرا) كان مقتدرا عفيف اليد ، الا انه لم يستطع ان يكسب حب مواطنيه . واخيرا استقال في كانون الثاني سنة ١٩٣٠ ، خائب الامل معتل الصحة ...

وتمكن الجمهوريون الاسبان من الظفر باغلبية ساحقة في الانتخابات المحلية التي جرت في نيسان سنة ١٩٣١ . فهدد زعيمهم زامورا باضرام فتنة عامة ، ان لم ينزل الملك الفونسو على الفور عن العرش . فانخلع قلب الملك ولاذ بالفرار من البلاد وان لم يتنازل رسميا عن الملك ، بل « اوقف استعمال سلطاته الملكية » .

فبادر (زامورا) على الاثر الى تأليف حكومة مؤقتة اجرت انتخابات عامة في حزيران سنة ١٩٣١ جاءت بنتائج مؤيدة للجمهوريين ، واعلن البرلمان الاسباني في ٩ كانون الاول سنة ١٩٣١ اقامة الجمهورية الاسبانية الثانية ، وعمل على اقرار تغييرات اقتصادية ودينية شاملة . ولكن بقيت الامور على

حالها من القلق وعدم الاستقرار . وتعددت الوزارات خلال الاعوام الاربعة التالية . وحاولت كل وزارة ان تفرض سياسة اصلاحية في ملكية الارض ، والحد من نفوذ الكنيسة وتطبيق لون من الاشراف الحكومي على الصناعة ، وان لم يبلغ هذا اللون من الاشراف درجة تأميم المصانع ..

وقابلت العناصر الاسبانية المحافظة هذه الاصلاحات بالسخط . وتفاقم النزاع بينها وبين الطوائف الراديكالية ، واجري سنة ١٩٣٦ انتخاب عام جاء باغلبية ضئيلة في صف الحكومة الشعبية فاضطرمت على الاثر الفتن وكثرت الاضطرابات . وتشجع « الوطنيون » ، يشد ازرهم كبار ضباط الجيش وملاك الارض والكنيسة ، فقاموا بحركة انقلاب لانتزاع الحكم من ايدي الجمهوريين المعتدلين .

وما انقضى زمن قصير حتى وصل صدى هذه الحركات الى بلاد المغرب الاسبانية فشق الجنرال فرانكو الذي كان على راس القوات الاسبانية المرابطة بها — شق عصا الطاعة على الحكومة في ١٨ تموز . وسرعان ما امتدت لهب هذا التمرد الى اسبانيا نفسها ، فشبت حرب اهلية لا مثيل لها في وحشيتها وويلاتها بين انصار الملكية والكنيسة وملاك الارض واصحاب المهن الحرة من جانب .. والاحرار والاشتراكيين والشيوعيين والفوضويين والوطنيين من اهل مقاطعة الباسك (وكانت حكومة الجمهورية قد وعدتهم بمنح مقاطعتهم الاستقلال الذاتي) من الجانب الآخر .

ورات المانيا النازية وايطاليا الفاشية ان الفرصة مؤاتية لهما لالحاق الهزيمة بدعاة الاشتراكية ومريدي الديمقراطية .. فأمدتا فرنكو بالرجال والطائرات . وحصل انصار الجمهورية على بعض العون العسكري من روسيا ووقفت الحكومتان البريطانية والفرنسية موقفا غامضا مترددا ، مخافة ان يؤدي تدخلهما الى اتساع شقة هذا الصراع الدموي الهائل ، فيمتد الى اوروبا بأسرها ..

وواصلت الحكومة الجمهورية الاسبانية النضال دون هوادة . غير ان المساعدات الحربية الكبيرة التي قدمتها المانيا وايطاليا للجنرال فرانكو جعلت انتصاره امرا مؤكدا . واضطرت مدريد الى التسليم في ٣٠ آذار سنة ١٩٣٩ بعد حرب مريرة هلك فيها نحو مليون من الانفس ، ودمر الكثير من نفائس اسبانيا وثروتها . واقام فرانكو حكومة ديكتاتورية ما زالت متربعة في دست الحكم الى اليوم .

- ٢ -

هتلر وسياسته العسكرية

ضم النمسا وتشيكوسلوفاكيا

كان هتلر بطبيعته عدوا لدودا للشيوعية . فاصلى الشيوعيين الالمان حربا قاسية وسلط عليهم عذابا اليما . ورأى في اليابان العسكرية وايطاليا الفاشية حليفتين طبيعيتين . فوثق علاقاته السياسية بهما وفي خريف سنة ١٩٣٦ امضت اليابان والمانيا ميثاقا ضد الشيوعية . ثم انضمت ايطاليا الى هذا الميثاق : فقد زار موسوليني في اواخر ايلول سنة ١٩٣٧ المانيا ، حيث اعلن الزعيمان وسط مظاهر الحماس الشديد اقامة محور برلين — روما ، بوصفه تحالفا سياسيا ذا اهمية لا تقدر « لخير اوروبا وحفظ السلام في ربوعها » . وما انقضى زمن طويل حتى افلح هتلر في عقد حلف كبير معاد للشيوعية ينتظم المانيا واليابان وايطاليا واسبانيا وهنغاريا ..

واشعرته محالفاته الجديدة بالامان ، وملأت قواته البحرية الجديدة نفسه بالثقة ، وشجعه تقاعس حكومتي فرنسا وبريطانيا ، وتدهور الروح المعنوية في شعبيهما ، وعزلة الحكومة السوفياتية ... شجعته هذه العوامل كلها على الشروع في تحقيق سياسات كبيرة الاطماع من التوسع الاقليمي.

وكان هتلر كبسمارك — يعارض في بدء تسلمه مركزه الرفيع اي توسع استعماري، وكان يرى ان على المانيا ان توجه انظارها صوب الاراضي الواقعة على تخومها الشرقية ، مؤثرا ان يكون هذا التوسع على حساب روسيا في اوكرانيا ...

وعني عناية خاصة بان تكون علاقاته ودية ببريطانيا ، وتاق الى تعزيز المعاهدة البحرية التي عقدها معها سنة ١٩٣٥ . ذلك انه رغم اعتزازه بقوة الريخ الثالث الذي اقامه ، وبطش الجحافل الالمانية التي ابدع تدريبها ، فانه كان يخشى ان يثير غضب تلك الدولة اذا ما تعارضت سياسته مع مصالحها الاستعمارية الكبيرة .

ولكنه اكره في نهاية الامر – كما اكره بسمارك من قبله – تحت ضغط الرأي العام الالماني ، ان يطرح وراء ظهره السياسة ، وان يطالب بارجاع المستعمرات الالمانية السابقة ، وكان اكثرها قد وقع غنيمة في ايدي بريطانيا عقب الحرب العالمية الاولى . فانطوت هذه المطالبة على اكثر من تلميح لانكلترا بما وصل اليه مركزها الدولي من تدهور نتيجة لضعفها العسكري .

عندئذ عادت الحكومة البريطانية الى سياسة توثيق تحالفها مع فرنسا . بعد ان اشرف هذا التحالف على التداعي والانهيار . وقدم (نفل تشيمبرلين) رئيس الوزارة في ١٧ شباط سنة ١٩٣٧ الى مجلس العموم طلبا برصد اربعمائة مليون جنيه تنفق في سنة واحدة على اعادة تسليح بريطانيا ، على ان يزداد هذا المبلغ الى الف مليون وخمسمائة مليون جنيه تنفق على التسلح في بحر خمسة اعوام .

وفي العام التالي ، اعلن ان انكلترا قد اخذت على عاتقها الدفاع بقوة السلاح لا عن فرنسا وبلجيكا فحسب ، اذا ما وجه ضدها اعتداء خارجي ، بل ان هذا التعهد يمتد الى البرتغال ومستعمراتها والى مصر والعراق ايضا .

وصرح (تشمبرلين) في خطاب آخر القاه في ختام شباط سنة ١٩٣٨ : « بان عصبة الامم ، كما تتألف اليوم ، عاجزة عن تدبير الضمان الجماعي لاي عضو من اعضائها .. لذلك ينبغي الا نخدع الامم الصغيرة الضعيفة في الاعتقاد بأن عصبة الامم تستطيع ان تحميها من الاعتداء » .

ولم تمض اسابيع ثلاثة على القاء هذا البيان حتى تجلى صدقه ... عندما بدأ هتلر بتنفيذ برنامجه في التوسع بضم النمسا الى الريخ الالماني الثالث . فقد كانت النمسا بلادا يتألف غالبية اهلها من الجنس الجرماني . وكانت دولة صغيرة ، لا حول لها ولا قوة . تحتل مركزا استراتيجيا هاما في طريق المانيا الى كل من ايطاليا وتشيكوسلوفاكيا . لذلك قر رايه في اواخر سنة ١٩٣٧ على العمل على ادماجها بالمانيا ، وارجاع نحو سبعة ملايين الماني يقطنون عبر الحدود الى حظيرة الوطن الاكبر .

وفي ١٢ آذار سنة ١٩٣٨ ضرب هتلر ضربته ، وارسل قواته المسلحة الى النمسا ، في نفس الوقت الذي قام فيه طابور خامس بالسيطرة على قوات الجيش والبوليس النمسوية . وبعد يومين اعلن هتلر رسميا اتحاد النمسا بالمانيا . وبذلك تمكن ، دون ان يطلق رصاصة واحدة ، من ضم سبعة ملايين نسمة الى الريخ ، وجعل ممر (برنر) حدا فاصلا بينه وبين ايطاليا ، وتطويق جناح تشيكوسلوفاكيا ، واقامة حاجز فعال بين روسيا وفرنسا .

وقبل ان تفيق الدول الديمقراطية من وقع هذه الضربة ، كان هتلر قد اعد العدة لتوجيه ضربته التالية . وكانت غنيمته في هذه المرة اثمن واوسع . ذلك ان تشيكوسلوفاكيا كانت بلادا غنية بصناعاتها ومواردها الخام . وكانت تقف حائلا دون وصول الالمان الى وادي الدانوب . وتملك جيشا واسطولا جويا قويين . فتطلع هتلر الى الاستحواذ على معداتهما الكبيرة ، وكان في الدولة التشيكوسلوفاكية نحو ثلاثة ملايين ونصف مليون من الالمان يقطنون مقاطعتي بوهيميا ومورافيا على طول تخوم المانيا الجنوبية .

وكانوا قد ضموا الى تشيكوسلوفاكيا بمقتضى معاهدة فرساي . وكان يطلق عليهم اسم « السوديت » . وكانوا جميعا .. يتلهفون الى الانضمام الى الوطن الام . وان رغبت العناصر المعتدلة بينهم ان يتم هذا الانضمام دون اراقة دماء .

واستخدم الالمان جميع وسائل الدعاية في حض السوديت على المطالبة بالاتحاد مع اخوتهم الالمان في المانيا . واخذ هتلر يرسل بروقه ورعوده الى التشيك مهددا منذرا ، بينما انتهج سياسة الوعيد تارة والملاينة تارة اخرى مع فرنسا وبريطانيا .

ونجحت أساليبه ايما نجاح . فقد اندلعت في تموز سنة ١٩٣٨ الفتن في بلاد السوديت ، وهددوا جهارا بالانفصال ... وثارت المشاجرات في داخل البرلمان التشيكوسلوفاكي .

ورات الحكومة البريطانية ان تسعى الى التخفيف من حدة النزاع . فبعثت في اوائل آب بلورد رنسيمان احد وزرائها ، بوصفه مجرد وسيط شخصي ليساعد الفريقين على ايجاد حل لتسوية الخلاف .

غير ان (هنلاين) زعيم السوديت قطع مفاوضاته مع

الدكتور بنيش رئيس الجمهورية التشيكوسلوفاكية ولـورد رنصيمان ...
كما حدثت في ليلة ١١ ايلول سنة ١٩٣٨ مصادمات دموية بيـن البوليس التشيكوسلوفاكي والثوار السوديت في عدد من المدن السوديتية . فكـان لذلك اسوأ وقع في المانيا ، وارتفعت الصيحات مطالبة بالثأر للـدم الالماني الذي اهرق- خلال قمع هذه الاضطرابات ،وفي هذه اللحظة الدقيقة تدخل (نفل تشيمبرلين) على نحو مثير ... فقد طار في الخامس عشر من ايلول الى برختشادن ... الملاذ الجبلي لهتلر . فصـرح لـه الزعيـم الالماني بانه « ليس ثمة شيء في مقدور المـرء ان يصنعه للحيلولة دون غزو تشيكوسلوفاكيا ، ما لم يمنح السوديت حق تقرير مصيرهم ، وما لم يمنحوا هذا الحق على وجه السرعة » .

فقدمت بريطانيا وفرنسا على الاثر وفي ١٩ ايلول مذكرة مشتركة الى الحكومة التشيكوسلوفاكية تشيران فيها عليها بالمبادرة الى التنازل لالمانيا عن اي اراض يقطنها اكثر من ٥٠٪ من الـسوديت .

وبعد اربعة ايام بعثت المانيا بمذكرة تضمنت ضرورة تقديـم الحكومة التشيكوسلوفاكية منحا اكثر . وفي ٢٦ ايلول القى هتلر خطابا اعرب فيـه عن عدم ثقته بالمرة في اخلاص الحكومة التشيكوسلوفاكية فرد عليه الدكتور بنيش بأن بلاده لن ترضخ للتهديد ، وانها سوف تقاوم القوة بالقوة .

وكان نفل تشيمبرلين يروم تجنب الحرب ، او على الاقل كسب الوقت الذي يمكن لبلاده فيه ان تستكمل استعدادها الحربي . فتقدم لهتلر بضمان الحكومة البريطانية لنقل الاراضي السوديتية التـي يثبت الاستفتـاء انـه تقطنهـا اكثريـة المانيـة الى الريخ .

واقترح عليه عقد مؤتمر من الدول العظمى الاربع في ميونيخ . فوافق هتلر على هذا الاقتراح ، كما وافق عليه ايضا موسوليني .

وجاء الى ميونيخ الاقطاب الاربعة : هتلـر وموسوليني وتشيمبرلين ودالاديه (رئيس وزراء فرنسا وقتئذ) . وبعـد مفاوضات قصيرة وصلوا الى اتفاق وقعوه في ٢٩ ايلول ، وبمقتضاه تنزل تشيكوسلوفاكية عاجلا عـن اقاليم معينة تقطنها اغلبيات كبيرة من السكان الالمان ، وتجري فـي اقاليم اخرى استفتاءات توضع تحت اشراف دولي . كما يوكل الـى لجنة دولية تخطيط الحدود الجديدة بين المانيا وتشيكوسلوفاكية ، واتفق الكبار الاربعة على وضع تسويـة لمطالب هنغاريـا وبولونيا لدى تشيكوسلوفاكيا في مدى ثلاثة اشهر .

وعاد تشيمبرلين الى لندن ، وخاطب مواطنيه قائلا : « لقد جلبت لكم السلام مع الشرف » . ولكن ونستن تشرشل الـذي وقف موقف المعارض لسياسة التهدئة ، ردّ عليه قائلا :

لقد كان على بريطانيا وفرنسا ان تختارا بين الحرب والعار . ولقـد اختارتا العار . ومع ذلك فستقتحم الحرب نفسها عليهما » .

ولقد صحت نبوءة تشرشل قبل ان يمضي عليها عام واحد .

واذعنت تشيكوسلوفاكيا مرغمة على هذه التسوية . وعبـر الجند الالمان الحدود في اول تشرين الاول ... وفي اليوم عينـه اعلنت بولونيا ان تشيكوسلوفاكيا قد نزلت لها عن مدينة تشن

وفي اليوم التالي احتل المدينة الجند البولنديون . وتقدم الهنغاريون ببعض المطالب التي تضمنت ضم انحاء في ولايـة سلوفاكيا تقطنها اغلبية هنغارية . ورضيت تشيكوسلوفاكيا في الثاني مـن تشرين الثاني بتحكيم المانيا وايطاليا لتسوية هذه المطالب .



المانيا كما اصبحت بعد التسوية وقبل اعلان الحرب العالمية الثانية

- ٣ -

فشل اتفاقية ميونيخ

فشل سياسة « التهدئة »

ارجأت اتفاقية ميونيخ موعد اعلان الحرب العالمية الثانية عاما تقريبا ، ولو انه كان عاما حافلا بالمخاوف والازمات والاحداث الجسام ..

فقد اخذت الغيوم التي لبدت الجو السياسي وحملت في طياتها نذر الحرب ـ اخذت تنقشع ، وصفا الموقف في الظاهر ، ولو الى فترة قصيرة . فقد اصدر هتلر وتشيمبرلين في صباح ٣٠ ايلول تصريحا مشتركا يعبران فيه عن رغبة امتيهما بالا تشهر احداهما السيف في وجه الاخرى ، ويعربان عن « تصميمهما القاطع على استخدام طريق المشاورة في حل جميع المسائل التي تهم البلدين » .

وفي ٦ كانون الاول وقع فون ربنتروب وزير خارجية المانيا والمسيو بونيه وزير الخارجية الفرنسية ـ وقعا في باريس تصريحا مشتركا اكدا فيه اهمية ابقاء العلاقات السلمية بين الدولتين واعلنا انه ليس بينهما من مشكلات الارض ما يفرّق بينهما .

واكد هتلر بنفسه في هذه الاثناء ان اعادة المستعمرات الالمانية ليست بالمشكلة التي تدعو الى امتشاق الحسام . كما ادلى مستر ملكوم مكدونلد وزير المستعمرات البريطانية في ٧ كانون الاول سنة ١٩٣٨ ببيان في مجلس العموم ، قال فيه : « ان اعادة اية مستعمرات لا يدخل الآن في مجال

السياسة العملية » ولو انه اعرب في الوقت نفسه عن استعداد الحكومة البريطانية لدراسة اية مقترحات تعرض عليها « لتوزيع المواد الخام توزيعا اقرب الى المساواة » .

ومع ذلك فقد تعكر الجو السياسي في غضون شتاء ١٩٣٨ ـ ١٩٣٩ بين فرنسا وايطاليا حين ارتفعت في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٩٣٨ اصوات في مجلس النواب الايطالي صائحة : « تونس ؟ قورسيكا ! جيبوتي » . فافضى (دالاديه) في ٢٦ كانون الثاني سنة ١٩٣٩ بتصريح اعلن فيه ان بلاده غير مستعدة لان تنزل عن اية بقعة تمتلكها ..

وكانت اتفاقية ميونيخ نصرا دبلوماسيا باهرا لهتلر ـ ما في ذلك ريب. ولقد شجعه نكوص بريطانيا وفرنسا عن اتخاذ موقف حازم ازاء نقضه مرة بعد اخرى احكام معاهدة فرساي ، وخوفهما من خوض غمار حرب اوروبية ... كما ان المشكلات الداخلية التي جابهت الوزارة الفرنسية نتيجة محاولتها موازنة الميزانية وتنظيم الصناعة وزيادة الانتاج ، ادّت الى قيام الاضرابات فيها وازدياد التذمر بين طبقاتها الدنيا ـ كل هذا شجع هتلر على التمادي في السير بخطته حتى آخر الشوط المحتوم . فقبض بيد من حديد على البلاد التي ضمت الى الريخ ، وطرد اليهود البولنديين المستوطنين في المانيا .

وزاد الطين بلة اغتيال شاب من يهود بولندا يقطن باريس .. لفون رات السكرتير الثالث للسفارة الالمانية بها .. مما جعل المانيا تشدد الوطأة على اليهود في بلادها ..

كما قبض على عدد كبير من افرادها ، وزج بهم في السجون ، وفرضت على اليهود عقوبات فادحة ، وكيل لهم من الاهانات والذلة اشكالا والوانا.. وكذلك شددت الحكومة الالمانية ضغطها على الحكومة التشيكوسلوفاكية كي تقصي اليهود من المناصب العامة ، وتنفصل عن عصبة الامم .

فاضطر (بنيش) الى تقديم استقالته ، وفر من بلاده . وانتخب مكانه في ٣٠ تشرين الثاني الدكتور اميل هاشا .. رئيسا للجمهورية .

وحدث ان اعلنت في ١٤ آذار سنة ١٩٣٩ ولاية سلوفاكيا استقلالها عن تشيكوسلوفاكيا . فاراد هاشا ان يرغم تيسو رئيس وزارة سلوفاكية على الاستقالة . فاستنجد (تيسو) على الفور بهتلر « ليحميه »

من هذا الافتئات . فدعا هتلر هاشا الى برلين ، حيث اجبره على الموافقة ، لا على مطالب سلوفاكيا فحسب ، بل على التوقيع على وثيقة تجعل في الواقع تشيكوسلوفاكيا ايالة المانية .

وتدفقت الجنود الالمانية على براغ ، وجعلت بوهيميا ومورافيا ولايتين تابعتين للريخ ، وسلوفاكيا محمية المانية .وفي الوقت نفسه غزت هنغاريا الضالعة مع المانيا مقاطعة روتينيا ، وادمجتها في بلادها ، وبذلك امحت الجمهورية التشيكوسلوفاكية من عالم الوجود .

وكان لتقويض هذه الدولة الناشئة آثار غاية في خطورة الشأن في الموقف الدولي الاوروبي . فقد ارسلت كل من فرنسا وروسيا والولايات المتحدة وبريطانيا مذكرات قوية اللهجة الى الحكومة الالمانية ، تحتج فيها على تقطيع اوصال تشيكوسلوفاكيا والقضاء على استقلالها .

وفي تلك اللحظة انتهجت الحكومة البريطانية ، بتأييد قوي من الحكومة الفرنسية ، سياسة جديدة : هي سياسة المقاومة لاعتداءات هتلر . فاعلن (تشيمبرلين) في مجلس العموم بان حكومته تقدم ، بالتعاون مع الحكومة الفرنسية ، « كل معونة ممكنة للحكومة البولندية على الفور في حالة اعتداء اية دولة على ارضها » .

واقتفى الزعيم الايطالي خطى زميله الالماني . فارسل قوة حربية الى البانيا في ٧ نيسان ، فلاذ ملكها (زوغو) بالفرار الى اليونان .

وفي الثاني عشر من ذلك الشهر ، التأم عقد جمعية تأسيسية البانية قررت عرض التاج الالباني على الملك فكتور عمانوئيل ، الذي غدا يلقب رسميا « بملك ايطاليا والبانيا وامبراطور الحبشة » .

وانتابت المخاوف ساسة بريطانيا وفرنسا من ان تكون اليونان الفريسة الثانية . فاصدرت كل من الدولتين في ١٣ نيسان تصريحا يؤكد عزمهما على تقديم كل مساعدة ممكنة لتلك البلاد في حالة غزوها ، ومدا نطاق هذا التأكيد الى رومانيا ايضا .

وبادرت بريطانيا وفرنسا الى فتح باب المفاوضات مع روسيا وبولندا وتركيا واليونان ورومانيا لعقد « اتفاق ودي بلقاني » . واقدمت الحكومة البريطانية في ٢٧ نيسان على فرض نظام التجنيد الاجباري في بلادها . فعد هتلر هذا الاجراء عملا عدائيا موجها ضد المانيا ، ورد عليه في اليوم

التالي في خطاب القاه بمجلس الريشتاغ اعلن فيه ان المانيا لا تعد الاتفاقية البحرية المبرمة بين الدولتين سنة ١٩٣٥ ملزمة لها بعد الآن .

واخذت الخلافات بين بريطانيا وفرنسا وبين المانيا تتسع وتقوى وحول الزعيم الالماني حملاته العنيفة الى بولندا . فأخذت الصحف الالمانية تحمل حملات شعواء على « الارهاب الذي لا يطاق » الذي تلقاه الاقلية الالمانية على ايدي الحكومة البولندية ، وتطالب بضرورة وضع نهاية لذلك الجور البالغ .

وتقدم هتلر الى الحكومة البولندية يطالبها باعادة مدينة « دانتزغ » الحرة ومنطقة واسعة من الممر البولندي الى المانيا .

وعد تصريح بريطانيا في ٦ نيسان سنة ١٩٣٩ الخاص بضمانها سلامة الاراضي البولندية من كل اعتداء — عد هذا التصريح تحديا يهدد السلام الاوروبي ، وخرقا لنصوص وروح المعاهدة التي كان قد ابرمها مع بولندا في كانون الثاني سنة ١٩٣٤ ، والتي نصت على تحريم الحرب تحريما قاطعا بين القطرين ، وعلى ضرورة استخدام المفاوضات المباشرة لتسوية جميع الخلافات التي تنشأ بينهما .

وسلط هتلر على البولنديين حرب اعصاب خفية ، منذرا اياهم بالويل والثبور اذا لم يرضخوا لمطالبه ... وتقدم في الوقت نفسه الى بريطانيا يعدها بان يضمن الامبراطورية البريطانية مقابل اطلاق يده في بولندا . فكان الرد البريطاني الذي تلقاه حازما جاء فيه : « ان حكومة جلالة الملك مرتبطة بالتزامات نحو بولندا ، وانها تنوي الوفاء بتعهداتها » .

وكان موقف روسيا ازاء هذه الاحداث الخطيرة لغزا غامضا. فقد جرت مفاوضات بينها وبين فرنسا وبريطانيا منذ آذار سنة ١٩٣٩ للوصول الى اتفاق بين هذه الدول للعمل يدا واحدة على مقاومة اي اعتداء يأتي من جانب المانيا ، وارسلت فرنسا وبريطانيا بعثتين حربيتين قامتا بمحادثات طويلة مع هيئة اركان الحرب الروسية .

وتمكنت بريطانيا في ايار سنة ١٩٣٩ من عقد حلف مع تركيا يقضي بالتعاون بينهما في حالة نشوب حرب في شرق البحر الابيض ، ووصلت فرنسا وتركيا الى اتفاق مماثل في الشهر التالي ، بعد ان سويت بينهما مشكلة سنجق اسكندرونة بان وافقت فرنسا على سلخه من سوريا وضمه الى تركيا . وامضت الدول الثلاث : تركيا وفرنسا وبريطانيا في ١٩ تشرين

الاول معاهدة توثق عرى التفاهم بينها ، وتؤكد اتحاد اهدافها وقوة تضامنها .

وسارت المفاوضات بين روسيا وبريطانيا وفرنسا متعثرة يسودها الارتياب والتخوف . فقد اشترطت روسيا للحصول على موافقتها على عقد معاهدة تحالف بين الدول الثلاث ان تقبل الدولتان الديمقراطيتان وضع دويلات البلطيق ، كثفيا ولتوانيا واستونيا « تحت وصايتها » .

غير ان هذه الدويلات لم تكن تقبل راضية الاندماج في جارتها القوية، وكانت لتوانيا قد عقدت صاغرة معاهدة عدم اعتداء مع المانيا في ٢٢ آذار سنة ١٩٣٩ ، وتنازلت لها بمقتضاها عن (ممل) ، وعقبتها لتفيا واستونيا في عقد معاهدتي عدم اعتداء مماثلتين مع المانيا في اوائل حزيران ، كما ابدت فنلندة رغبة صريحة في الوقوف موقف الحياد الدقيق .

وفوجيء العالم بتحول خطير في الموقف الدولي حينما اعلن له توقيع المانيا وروسيا في موسكو في ٢٣ آب سنة ١٩٣٩ معاهدة عدم اعتداء بينهما . وحوت هذه المعاهدة ملحقا سريا حدد فيه نفوذ كل منهما في دويلات البلطيق وبولندا وبسارابيا .

وكانت المانيا قد وقعت في برلين معاهدة تحالف مع ايطاليا في ٢٢ ايار تعهدت فيها الدولتان بان تقدم كل منهما للاخرى كل تأييد سياسي ودبلوماسي ، اذا ما هددت مصالح احداهما . وان تمنحها كل تأييد عسكري اذا ما نشبت حرب بين احداهما ودولة اخرى .

وكان اخفاق الحلفاء في الوصول الى عقد معاهدة مع روسيا عاملا فاصلا في استفحال الموقف الدولي سواء ذلك ان عقد المعاهدة الروسية الالمانية قد شجع تشجيعا قويا الزعيم الالماني على تشديد الخناق على الحكومة البولندية . وكانت الكثرة الكبرى من اهل دانتزغ يطالبون بالعودة الى الوطن الام ـ المانيا ـ وقامت الصحافة الالمانية بحملة نارية على الحكومة البولندية تتهمها بسوء معاملة الاقلية الالمانية في بلادها ، واتهمت الجرائد الالمانية بريطانيا بتشجيعها بولندا على هذا العدوان .

وبذلت في آخر لحظة محاولات فاشلة لصون السلم ، والاحجام عن اراقة الدماء . فارسل (تشيمبرلين) خطابا شخصيا الى هتلر في ٢٢ آب يطلب منه العمل على تجنيب اوروبا حربا مخربة دموية .
وارسل اليه دالاديبه مثل هذا الخطاب في ٢٦ من ذلك الشهر .

ووجه الرئيس فرنكلن روزفلت في الثالث والعشرين نداء الى ملك ايطاليا يدعوه فيه للتوسط في النزاع المتفاقم ، كما ارسل في الرابع والعشرين نداء الى هتلر ورئيس جمهورية بولندا يناشدهما تسوية خلافاتهما بالطرق السلمية . واصدر البابا بيوس الثاني عشر نداء حارا يحث فيه دول اوروبا على التمسك باهداب السلام . وتضافر ليوبلد الثالث ملك بلجيكا مع فلهلمينا ملكة هولندة في عرض وساطتهما على الفريقين المتنازعين (٢٨ آب).

بيد ان الحوادث جرت سراعا في الايام الثلاثة الاخيرة من السلم . فقد رجت بريطانيا هتلر ان يعيد فتح باب المفاوضات مع بولندا . وقبل هتلر في مساء ٢٩ آب هذا الرجاء في شيء من التردد .

ولكنه اشترط ان تبعث بولندا مفوضا تخوله حق قبول الشروط الالمانية ، على ان يصل الى برلين في اليوم التالي . فرفضت بولندا هذا العرض ، وان كانت قد حاولت في الحادي والثلاثين ان تتصل بالمانيا بالطرق الدبلوماسية المعتادة عن طريق سفيرها ببرلين .

وفي مساء ذلك اليوم اذاع الراديو الالماني الشروط التي تقبل المانيا ان تجري المفاوضات على اساسها .

وفي ظهر ٣١ آب احاط موسوليني الحكومتين البريطانية والفرنسية علما باستعداده لدعوة مؤتمر تعقده الدول الاوروبية الكبرى للتوسط في النزاع . ولكن في الساعات الباكرة من صباح اليوم التالي بدات المصفحات الالمانية تشق طريقها داخل بولندا ، والطائرات الالمانية تمطر الوان الدمار والهلاك على المطارات والسكك الحديدية والسكان المدنيين .

فارسلت كل من الحكومتين البريطانية والفرنسية انذارا نهائيا الى الحكومة الالمانية في ذلك اليوم تطلب منها سحب قواتها الغازية من الاراضي البولندية . ولكن زعيم الريخ الالماني رفض قبول هذا الطلب . وفي اليوم الثالث من ايلول اشهرت بريطانيا وفرنسا الحرب على المانيا .

- ٤ -

الحرب العالمية الثانية
(١٩٣٩ - ١٩٤٥)

سحق بولندا

مضى على انتهاء الحرب العالمية الثانية سنوات معدودات فقط . ولهذا يتعذر على المؤرخ المعاصر ان يصل الى جميع الحقائق والمعلومات الصحيحة التي تمكنه من ان يكتب في الوقت الحاضر تاريخا بعيدا عن الهوى ، خاليا من المفتريات التي تلازم بطبيعة الحال دعاوي الحروب واشاعات المغرضين وميول ذوي المصالح .

في اول ايلول سنة ١٩٣٩ شقّ الجيش الالماني الجبار الذي خلقه الريخ الالماني الثالث - شق طريقه عبر بولندا ، فبدأ بذلك اعظم حرب دموية في تاريخ العالم ، واكثرها نفقة وخسائر .. واوسعها نطاقا ، واشدها تدميرا ... فانه بينما كان القتال في الحرب العالمية الاولى مقصورا الى درجة كبيرة على قارة اوروبا ، جعلت الحرب العالمية الثانية من القارات كلها - فيما عدا اميركا الجنوبية - ساحة هائلة واسعة الرحاب للطعن والنزال . واكرهت الدول جميعا - حتى تلك التي لم تشترك فيها بالفعل - ان تتحمل في درجة كبيرة او صغيرة متاعبها وآلامها وان تكتوي بنارها وويلاتها ، وان تحس بكوارثها وفواجعها .

وبدأ الدور الاول للحرب بغزو بولندا ، وانتهى بسقوط فرنسا في شهر حزيران سنة ١٩٤٠ . وقد بدأ القتال دون ان تعلن المانيا رسميا الحرب على بولندا . وقامت القوات الالمانية بحرب خاطفة دامت اسبوعين مروّعين لا مثيل لهما رعبا وفتكا وتدميرا في الحروب الحديثة . فقد حولت فيهما الاساطيل الجوية الالمانية الهائلة مدن بولندا وقراها الى انقاض وركام. واضطر البولنديون الى الارتداد امام القوات المصفحة الكاسحة التي جردت عليهم . وما ان وافى اليوم السابع من ايلول حتى كان الالمان قد استحوذوا على حوض سيليزيا الصناعي ، وحطموا اقوى خطوط المقاومة البولندية ، واخذوا يدنون في سرعة مخيفة من وارسو .

وفي فجر اليوم السابع عشر من ايلول عبرت الجنود الروسية - طبقا لبند سري في اتفاقية ٢٣ آب - عبرت حدود بولندا الشرقية ، واستولت على الاراضي التي كان الالمان والروس قد اتفقوا فيما بينهم على ان تكون حصة روسيا من الغنيمة . واكرهت فلول الجيش البولندي على التسليم اما الى الروس او الى الالمان . واستبسلت حامية وارسو في الدفاع عن قصبة البلاد . ولكنها اجبرت على التسليم للالمان في ٢٨ ايلول .

وبذلك انتهت كل مقاومة منظمة بولندية . وتمكنت المانيا بخسارة ضئيلة نسبيا في الرجال والعتاد من ان تخضع لسلطانها واحدا وعشرين مليون نسمة ، وان تضع يدها على موارد بولندا المظيمة في الزراعة والصناعة .

وفي اليوم عينه الذي سقطت فيه وارسو في يد الالمان ، وقّعت في موسكو معاهدة المانية روسية حددت مناطق الاحتلال الروسي والالماني في تلك البلاد المقهورة ، واعلنت الدولتان الملأ بانهما « سوتا نهائيا المشكلات الناشئة عن انهيار الدولة البولندية ، وارستا اساسا وطيدا لسلام دائم في شرق اسيا » .

وبعد ان انتهي من سحق بولندا ،تقدم هتلر ومولوتوف وزير خارجية روسيا في ٦ تشرين الاول يعرضان في ثقة الظافر المفاوضات لعقد الصلح طبقا للاعلان الروسي - الالماني المشترك .

ولكن بريطانيا وفرنسا لم تعيرا هذا العرض اي التفات . وكذلك اشاحتا بوجههما عن العرض الذي تقدم به ليوبلد الثالث ملك بلجيكا وفلهلمينا ملكة هولندا ، حينما اهابا في السابع من تشرين الثاني بالدول

المتحاربة ان تسعى جاهدة الى تسوية خلافاتها عن طريق المفاوضات والعمل على اعادة السلام الى ارجاء اوروبا .

ولكن رغم التحالف الذي ابرم بين المانيا وروسيا ورغم اعلانهما المشترك الانف ، لم تشعر روسيا باطمئنان حقيقي الى حسن نوايا الزعماء النازيين ازاءها . فراحت تعمل في همة ونشاط في تعزيز حدودها الجديدة وتوطيد مركزها في البحر البلطي . فطلبت من دويلات ذلك البحر منها بعض الامتيازات الاقتصادية والحربية . فاجابتها تلك الدويلات دون ابطاء الى مطالبها .

ففي التاسع والعشرين من ايلول وقعت استونيا معاهدة مع روسيا لتبادل المساعدة ، وقدمت لها عددا من القواعد البحرية والجوية ، وسمحت لتفيا ولتوانيا لروسيا في اوائل تشرين الاول بمرابطة بعض الحاميات العسكرية الروسية في نقط معينة داخل حدودهما .

ثم قدمت روسيا عددا من المطالب لفلندة ، ومن بينها التنازل لها عن بعض الجزر في خليج فنلندة ، وميناء بتسامو .. وهو الميناء الوحيد في المنطقة المتجمدة الشمالية الذي لا يتجمد ماؤه خلال شهور الشتاء ، وكذلك التنازل عن النصف الشمالي لبرزخ كاريليان الواقع بين بحيرة لادوجا وخليج فنلندة .- ولكن فنلندة وقفت موقفا عنيدا امام جارتها الجبارة . فجردت روسيا عليها قواتها الحربية. وما لبث العالم ان وقف مدهوشا . ومعجبا اشد الاعجاب بالبسالة النادرة التي ابداها الفنلديون في الصمود اربعة اشهر كاملة امام غريمهم المارد في ذلك القتال غير المتكافىء . واخيرا اضطرت فنلندة الى القاء سلاحها في اوائل اذار سنة ١٩٤٠ وعقدت صلحا مع روسيا احتفظت فيه باستقلالها ولكنها اكرهت على التنازل عن بعض الاراضي الواقعة على تخومها الشرقية ، وعن جزيرة هانغو الاستراتيجية . وبعد اشهر قلائل استحوذت روسيا على دويلات البلطيق الثلاث الانفة ، وانتزعت ولاية بسارابيا من رومانيا . وبذلك اكملت روسيا - كما هيء لها - نظامها الدفاعي ضد جحافل المانيا النازية حينما يجيء « اليوم الموعود » .

وكانت روسيا تحكم طبق دستور اقرّ سنة ١٩٣٦ ، وعرّف فيه الاتحاد السوفياتي بانه دولة تعاهدية تتألف من احدى عشرة جمهورية اشتراكية متساوية الحقوق ، اتحدت بمحض اختيارها لمصالحها المشتركة . ولا يزال هذا الدستور معمولا به الى الان ، الا في ناحية واحدة.

فقد عدل في شباط سنة ١٩٤٤ ، كي تعطى كل من الجمهوريات المؤسسة للاتحاد حق انشاء قوميسارات (وزارات) منفصلة لشؤون الدفاع والسياسة الخارجية .

ومع ان كل حركات « التطهير » و« تصفية » اعداء الجمهورية السوفياتية امر عادي في تلك البلاد الرحيبة الواسعة ، الا ان العالم روع بنوع خاص بحركة تصفية هائلة جرت في آب سنة ١٩٣٦ ، حينما قدم زينوفييف وكامينيف اللذان كونا مع ستالين « الحكومة الثلاثية » المطلقة التي ادارت دفة البلاد منذ موت لينين سنة ١٩٢٤ - حينما قدم هذان القطبان الشيوعيان مع زمرة من كبار الشيوعيين الروس الى المحاكمة بتهمة تنظيم عصابات ارهابية لاغتيال ستالين وكبار اعوانه . وحكم عليهم بالاعدام ، واعدم اكثرهم ، وفي حزيران سنة ١٩٣٧ حوكم سرا المارشال تكهاشفسكي رئيس هيئة اركان الجيش ، مع سبعة من كبار القواد الروس ، وحكم عليهم بالاعدام ، واعدموا رميا بالرصاص . وتلا هاتين المحاكمتين القبض على مئات الالوف من المدنيين والعسكريين ، وقدموا الى محاكمات صورية ، وحكم عليهم بالاعدام او السجن اوالمنفى الى سيبيريا او اغتيلوا في الخفاء دون تقديمهم حتى الى مثل تلك المحاكمات ، او فصلوا من خدمة الحكومة والهيئات العامة .

ويعتقد ان اكثر هؤلاء الذين « صفوا » كانوا ضالعين مع المانيا النازية وانهم كانوا يسعون الى تغيير سياسة روسيا الخارجية ومحاولة التقريب بينها وبين المانيا .

ولذلك فانه حينما غزا الالمان روسيا في مطلع صيف سنة ١٩٤١، وقف الروس صفا مرصوصا في وجه الغزاة وقدموا بزعامة ستالين جبهة متحدة نظمت تنظيما محكما من الناحيتين السياسية والصناعية . والحق انه لامر ذو مغزى ان تجري عملية « تصفية » اخرى مماثلة في المانيا في بواكير سنة ١٩٣٨ . فقد اعدم او سجن او فصل عدد كبير من الضباط الالمان الذين اشتبه في انهم يؤثرون تعاون بلادهم مع روسيا السوفياتية.

انهيار الجبهة الغربية

اما في الغرب فقد سارعت الحكومة الفرنسية الى تعبئة الجيش على اثر اعلانها الحرب . ومع ذلك فأن الفرنسيين لم يلتفوا حول الوطن في

الروح التي ملأت جوانحهم عام ١٩١٤ ... ولم تهتز قلوبهم حينما نفخ في بوق الحرب يدعوهم الى تلبية النداء « بان الوطن في خطر » .

ذلك ان فرنسا لم يكن على رأسها وقتئذ زعماء ممتازون يقودون صفوفها ويظفرون بثقتها . وكانت الفوضى السياسية وخراب الذمم والفساد الاجتماعي قد اناخ على الهيئات العامة . ورفض الحزب الشيوعي الفرنسي وشيعه المنضمة اليه ان يؤيد حربا « رأسمالية » .. واشاع في نفوس الكثيرين من افراد الطبقات الدنيا عدم الرضا عنها.. واثار الاضطراب وبثّ القلق في صفوف الامة . اضف الى ذلك ان سياسة التهدئة التي انتهجها ساسة بريطانيا وفرنسا الى ماقبيل اعلان الحرب ، جعلت جانبا كبيرا من الراي العام مستعدا لتحمل كل استفزاز اذا كان هذا يجنبهم مكاره الحرب وخطوبها ... ومع ذلك فقد كانت فرنسا متأهبة الى درجة كبيرة لملاقاة العدو . وكان يمتد على طول الحدود الفرنسية الالمانية خط « ماجينو » الذي مثل اعلى درجة من درجات تطور الدفاع العلمي بلغتها اوروبا حتى ذلك الحين » . ولكن هذا الخط الدفاعي المنيع الذمار لم يمتد على طول الحدود الواقعة بين فرنسا وبلجيكا . فقد اكتفى رجال الهندسة العسكرية الفرنسية بتحصين تلك الحدود بوضع حزام من الاسلاك الشائكة ، واقامة الاعمدة العائقة لسير الدبابات ، وحفر الحفر لصيدها . وشيد الالمان داخل حدودهم في مواجهة خط ماجينو ، خط سيغفريد او « السور الغربي » . وهي منطقة حصنت على نمط مشابه لنمط ماجينو نفسه .

وقد جعل وجود هذين الخطين الدفاعيين المنيعين من العسير على الجيوش المتحاربة القيام بحركات حربية خاطفة على طول جبهة المانيا الغربية .

في اليوم التالي لاعلانها الحرب على المانيا بدات انكلترا بانزال طلائع قواتها بأرض فرنسا . واخذت هذه القوات تحتل تدريجيا الاماكن التي خصصت لها على الحدود البلجيكية ـ الفرنسية شرق مدينة ليل .

وفي الوقت الذي كانت تسحق قوات المانيا المصفحة مقاومة الجيش البولوني ، وقف البريطانيون والفرنسيون في جبهتهم عاجزين عن ان يمدوا لحليفتهم السيئة الطالع يد المعونة بالضغط على العدو المشترك ..

صحيح انه حدث خلال الاسابيع الاولى من القتال بعض النشاط على طول خط ماجينو ، كان من نتيجته اكراه الالمان على الجلاء عن ساربريكين ولكن الفرنسيين اكرهوا بدورهم على الارتداد من غابة فارندت .

ثم ساد الجبهة الغربية هدوء شامل تقريبا اثناء الاشهر السبعة الاولى من الحرب . وكانت هذه الاشهر التي ركد فيها القتال فترة غلب خلالها على الجند الفرنسيين بنوع خاص السأم الشديد ، وانتشر بينهم السخط والتبرم ، واخذ روحهم المعنوي وحماسهم الوطني ينحطان لدرجة ملحوظة .

ولكن « الحرب الصامتة » بين المانيا وعدوتيها انتهت على نحو مثير في اوائل نيسان سنة ١٩٤٠ . ذلك ان الحصول على الحديد الخام من السويد كان من الاهمية بأعظم مكان للالمان . وكانوا يجلبون هذه المادة اللازمة لصناعاتهم الحربية خلال شهور الشتاء حينما يقفل الجليد ثغور بحر البلطيق ـ كانوا يجلبون حديد السويد من ميناء نارفك النرويجية . وكان امرا طبيعيا ان تحاول بريطانيا حمل النرويج على وقف هذا النقل في مياهها الاقليمية ، وسدّ الطريق البحري في وجه السفن الالمانية .

ولذلك فبينما كان الهدوء المستتب الشامل يخيم على ميادين الحرب البرية ، اذ بالمانيا تغير في الساعات الاولى من صباح ٩ نيسان دون سابق انذار ، على الدانمارك التي كانت قد ابرمت معها قبيل ذلك معاهدة عدم اعتداء .

الهجوم على النرويج

وفي الصباح الباكر من اليوم نفسه انزل الالمان كتائبهم ، دون انذار سابق ايضا ، في نقط عدة على طول الساحل النرويجي . حدث هذا في نفس اللحظة التي كانت تضع قوة بحرية انجليزية ـ فرنسية الالغام في مياه النرويج الاقليمية التي كانت السفن الالمانية المحملة بالحديد الخام تتخذها سبيلا لها للتملص من هجوم السفن الحربية البريطانية عليها واغراقها . وما وافى مساء ذلك اليوم حتى كان الالمان قد قضوا على كل مقاومة فعالة في النرويج ما عدا اقصى الشمال ... وكانت خطة الهجوم الالمانية على النرويج من ابدع النماذج الحربية لحسن التصميم وسرعة التنفيذ ودقة التعاون بين مختلف اسلحة الجيش .

لقد حاول البريطانيون ان ينجدوا النرويج . فنزلت قوات بريطانية في نارفك (١٥ نيسان) وفي نامسس (١٦ نيسان) . ولكن الالمان تمكنوا في سهولة من سحق هذه القوات ، غير ان قوة كبيرة مؤلفة من جند بريطانيين وفرنسيين وبولونيين ونرويجيين افلحت في الاستيلاء على نارفك في ٢٨ ايار .

ولكن نظرا للاحداث الهائلة التي كانت تجري وقتئذ في الجبهة الفرنسية

سحبت هذه القوات من جنود الحلفاء في الثامن من حزيران . ولجأهاكون ملك النرويج ووزراؤه الى انكلترا حيث واصلوا منها النضال ، وغدت القوات النازية مدى اربعة اعوام سيدة النرويج .

الهجوم على فرنسا

وما كاد ينقض شهر واحد على غزو النرويج ، حتى ضرب الالمان ضربتهم الكبرى في الغرب . فقد بدأوا هجوما هائلا قبيل فجر ١٠ ايار على هولندا وبلجيكا ولكسمبروغ في آن واحد دون اي اعلان للحرب . ولم تمض ساعات قلائل حتى كانوا قد اكتسحوا لكسمبروغ . واخترقوا في الثاني عشر من الشهر خط الدفاع الرئيسي للجيش الهولندي . وقاموا بغارات جوية عنيفة على المدن الهولندية ودمرت جانبا كبيرا منها ،والقت الرعب في نفوس الاهلين . وسقطت روتردام في الرابع عشر واكره الهولنديون عقب النكبات المروعة التي حلت بهم ان يلقوا بسلاحهم في اليوم التالي ..

وفي الوقت نفسه كان الالمان يوجهون ضربات هائلة لجيش بلجيكا الصغير . وكان ملكها قد استنجد ببريطانيا وفرنسا ، فدخل جيشاهما بلجيكا طبقا لخطة موضوعة . ولكن القيادة الالمانية جردت قوات مصفحة كبيرة ، ملحقة بقيادة المارشال فون رندشتد حطمت خط دفاع الحلفاء في ١٤ ايار ، فاخترقته بين نامور وسيدان ، وعبرت نهر الميز شاقة طريقها خلال غابات الاردين التي كان يظن انه من المتعذر على اي جيش اختراقها . واتجه جزء من القوات المصفحة الالمانية غربا نحو اميان ، وجنوبا نحو ريمس .

ودخل الالمان اميان في ١٩ ايار وابفيل في اليوم التالي وزحفوا سراعا ميممين وجهتهم صوب المواني الفرنسية على القنال الانكليزي . فوصلوا ساحله في الحادي والعشرين ، وهاجموا بولون وكاليه في الثالث والعشرين ، وبدا كأن كل شيء ينذر الحلفاء بوقوع كارثة مروعة وهزيمة ماحقة ... فقد انحطت روح الجيش الفرنسي الى اسفل درك ، واخذت الفرق الفرنسية ترتد امام نار العدو الحاصدة دون انتظام . ومما زاد من اسباب الفوضى وعوامل الهزيمة امتلاء الطرق بمئات الالوف من النساء والاطفال الهاربين من وجه الغزاة لا يلوون على شيء .

وجعلت السرعة الخارقة للتقدم الالماني مركز الحلفاء غاية في الحرج . فقد حصرت القوات البريطانية والفرنسية والبلجيكية التي ارسلت في الاصل للدفاع عن البلجيك . حصرت في مثلث ، وتوارى كل امل لها

في التمكن من التقدم ..

ورأى لورد جورث ... القائد العام للقوات البريطانية ان البحر هو سبيله الوحيد لانقاذ قواته من المأزق الحرج الذي وجدت فيه . وفي منتصف ليلة ٢٧ — ٢٨ ايار سلم الجيش البلجيكي . وكان الجلاء الشهير للقوات البريطانية قد بدأ في السابع والعشرين من ميناء دنكرك . وقد تمكن ٣٣٤ الفا من المقاتلين البريطانيين وجنود الحلفاء من الجلاء تاركين وراءهم عتادهم باكمله .

وخلف في ١٩ ايار الجنرال فيجان الجنرال جاملان في منصب القائد الاعلى لقوات الحلفاء .

فقضى نحو اسبوعين في تعزيز مواقع الدفاع الفرنسية على حدود فرنسا الشمالية والشمالية الشرقية . وكانت قوات الالمان المصفحة قد حولت وجهها صوب الجنوب . وتمكنت من اختراق خطوط الدفاع الفرنسية في كل مكان ، ومزقت الجيش الفرنسي شر ممزق . فقررت الحكومة الفرنسية في ٨ حزيران الانتقال من باريس اولا الى تور ، ثم الى بوردو .

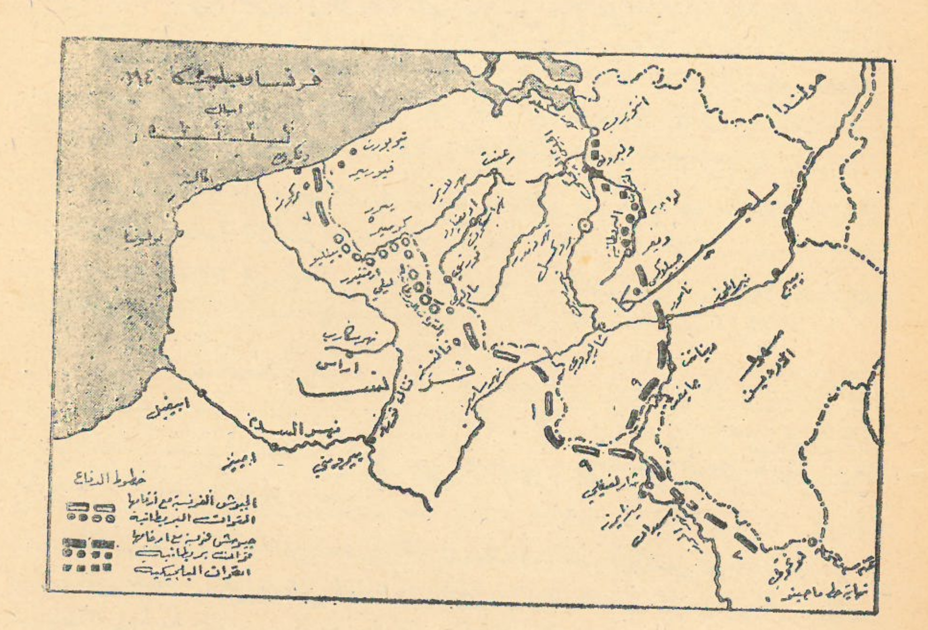
عندئذ طرح موسوليني موقف المتفرج وراء ظهره ، واعلن في العاشر من حزيران الحرب على بريطانيا وفرنسا كي لا يفوته الظفر بنصيب من الاسلاب التي غدت الان في ناظره سهلة المنال دانية القطوف ..

وسقطت العاصمة الفرنسية في أيدي الالمان بعد ايام خمسة ،فاستصرخت الحكومة الفرنسية الرئيس روزفلت وبريطانيا بان يمدا اليها يد المعونة بمساعدات جديدة في هذه اللحظة الرهيبة . ولكن صرخاتها ذهبت في الهواء ..

على الاثر سقطت وزارة (رينو) في السادس عشر من حزيران ،وخلفه في رئاسة الحكومة المارشال بيتان العجوز بطل فردان . وطلب من الالمان وقف القتال تمهيدا لعقد هدنة بين الدولتين . واتخذت الحكومة الفرنسية مدينة (فيشي) مقرا لها .

وكان الالمان قد احتلوا حتى تلك اللحظة نصف اراضي فرنسا . فأجابوا بيتان الى طلبه . وفي الثاني والعشرين من حزيران امضى المبعوثون الفرنسيون شروط الهدنة في كمبيين في نفس عربة السكة الحديدية وفي نفس البقعة اللتين كان الالمان قد وقعوا في ذلة وامتهان صك الهدنة مع الحلفاء في تشرين الثاني سنة ١٩١٨ . وبمقتضى شروط الهدنة اصبح من حق

الالمان احتلال جميع الاراضي الفرنسية الواقعة شمال وغرب خط يمتد من جنيف الى تور ، ومن هناك جنوبا الى حدود اسبانيا . ويدخل فـي منطقـة الاحتلال جميع المواني الفرنسيـة الواقعـة على القنال الانكليزي والمحيط الاطلنطي وفرض على فرنسا ان تنزع سلاح قواتها المحاربة ، ثم تسرحهـا ، فيما عـدا القوات التي يحتاج اليهـا لحفظ الامن العام ، وان تتحمل فرنسا جميع نفقـات الاحتلال وان يبحر الاسطول الفرنسي الى ثغور فرنسيةمعينة ليجـرد من السلاح ... واعلنت المانيا انه ليس لهـا ايـة نية في استخدامه ضد بريطانيـا ، او في الاحتفاظ به بعـد ابرام الصح بين البلدين .وتعهدت فرنسا ان تطلق سراح جميع الاسرى الالمان الذين كانـوا قد وقعوا في قبضة الجيش الفرنسي ،على ان تستبقي المانيـا في يدها جميع اسرى الحـرب الفرنسييـن ...



- ٥ -

معركـة بريطانيا والهجوم علـى روسيا

معركـة بريطانيـــا

اصبحت بريطانيا الان وحدها .. تكاد تكون عزلاء من السلاح في وجه عدوها الظافر الشديد المراس . وابت هذه الجزيرة العنيدة ـ رغم تنبؤات الكثيرين بأن ايامهـا قد باتت معدودات ... ابت ان تعقد مع المانيا هدنـة مماثلـة لتلـك التي عقدتها فرنسا . ويعرب عدد غير قليـل مـن النقـاد العسكريين . ومن بينهم (تشرتشل) نفسه ، عن الرأي بانه كان من غيـر المستبعد ان يظفر هتلر بقهرها ـ وبالتالي بالسيطرة على العالـم لو انه اقدم على غزوهـا بعـد انهيـار فرنسا . ولكنه بدلا من ان يرسل قواته لمطاردة البريطانيين ... حوّل وجهة جيوشه الى اتمام فتح فرنسا ودعم فتوحاته.. فأفلت من بين يديه النصر النهائي ... واعطى بريطانيا فسحة مـن الوقت استخدمتهـا خير استخدام في استرداد قواتها وتدريب محاربيها الجدد، وتعويض ما كانت قـد فقدته من عتـاد .

واراد القدر لبريطانيا ان يقبض على ازمة الحكم فيهـا في احلـك غمرتها وذروة محنتها زعيم عظيم وجبار مارد . فقد اضطر (تشيمبرلين) ازاء الحملات القاسيـة التي شنها عليه اعضاء حزبه ، على ان يقدم استقالته في ١٠ ايار ، فتسنم ونستن تشرتشل الحكم على رأس وزارة ائتلافية فـي احرج الساعات التي مرت بتاريخ بلاده . فبعث في بني قومه روحا جديـدا وتصميمـا قاطعـا على الصمود في وجه العدو حتى يكلل النصر جبينهم ،

او يهلكوا ... ولم يثنه عن عزمه الراسخ توالي الهزائم وتتابع الحوادث، فظل ينفخ في نفوس مواطنيه روحا من روحه الجبار ، ويضيء لهم قبسا خافتا وسط دياجير المحن والكروب التي اناخت عليهم .

وخاطبهم قائلا :
« سنثبت مرة اخرى ... اننا قادرون على الذود عن حياض جزيرتنا، وشق طريقنا خلال اعاصير النضال وانواء المعارك .

وسنظل نكافح تهديد الطغيان ، ولو اضطررنا الى القتال سنين عديدة.. والى القتال بمفردنا اذا اقتضى الامر ذلك .. اننالن نتقاعس ، ولن ننكص على اعقابنا ... سنواصل النضال حتى النهاية .سنقاتل في فرنسا . سنقاتل على متن البحار والمحيطات ، سنقاتل في ثقة متزايدة وقوة مطردة النمو في الجو ... وسندافع عند مراسي السفن ، وسنقاتل في الحقول وفي الشوارع وسنقاتل فوق التلال . ولكننا لن نفعل شيئا واحدا : لن نلقي بسلاحنا » ..

كانت بريطانيا وقتئذ في اشد الحاجة الى قيادة ذلك الزعيم العملاق، بعد ان اخذت اساطيل هتلر الجوية الهائلة تمطر الموت على بريطانيا ، وتنشر الخراب فيها ، طوال صيف وخريف عام ١٩٤٠ .

وكانت المانيا قد عقدت نيتها على تدميرها تدميرا منظما في الجو . وبدأت الحملات الجوية الالمانية العنيفة في ٨ آب ، فبدأت بذلك ما يسميه البريطانيون : « معركة بريطانيا » ..

وشرع الالمان يشنون غارات جوية بالغة العنف على قوافل البواخر التجارية الانكليزية ، وعلى المدن الساحلية في الجنوب الشرقي من انكلترا. ثم اعقبوا ذلك بغارات مركزة وجّه اكثرها الى المطارات ومصانع الطائرات ثم بدأت في ٧ ايلول المرحلة الثالثة والاخيرة في هذه المبارازات الجوية الهائلة . فقد قاموا بشن غارات نهارية عنيفة على لندن ، وخاصة على منطقة مينائها . واستبسل الطيارون البريطانيون اعظم استبسال في الدفاع عن وطنهم خلال معركة بريطانيا التي استمرت حتى اواخر تشرين الاول. ودمروا حسب الارقام الرسمية ١٧٣٣ طائرة المانية ، وحالوا بذلك دون أن تحوّل المانيا هجماتها الجوية الى غزو فعلي للجزر البريطانية .

ومع هذا فقد واصل الالمان غاراتهم الجوية ليلا على نطاق واسع. فاشتدت الحملات الليلية اولا على لندن ، ثم تحولت الى مدن الثغور .

فصبت الطائرات الالمانة صواعقها على سوثهمتن وبلمث ولفربول وبرستل وغيرها ، ثم نقل الالمان ميدان عملياتهم الى المدن الصناعية . فدكوا في ١٤ تشرين الثاني مدينة كوفنتري ، وانزلوا خرابا ذريعا بمدن برمنغهام ومنشستر وشفيلد والمدن الواقعة على نهر التين والكلايد .

وبلغ عدد الضحايا في هذه الغارات من المدنيين حوالي ٢٣،٠٠٠ من القتلى وعددا اكبر كثيرا من هذا الرقم من الجرحى وذلك خلال الاشهر الخمسة من آب الى كانون الاول سنة ١٩٤٠ . ولكن الشعب البريطاني ظل قوي العزيمة ثابت الجنان . فما لانت قناته امام الكوارث ، ولا وهن تصميمه من هول الشدائد . وكان اخفاق هذه المحاولة الالمانية في قهر بريطانيا عن طريق الغارات الجوية ،وارغامها بهذه الوسيلة على التسليم — كان اخفاقها من بين العوامل الرئيسية الكبرى في انزال الهزيمة بالمانيا في آخر المطاف.

واصلت بريطانيا الحرب ، تؤيدها مستعمراتها تأييدا قويا وتسخو عليها سخاء كبيرا بالرجال والعتاد . ولم يقصر عمل قوات الجو البريطانية على رد غارات العدو ، بل غزته في الوقت نفسه في عقر داره ، وان كان ذلك قد تمّ على نطاق ضيق . فقد ارسلوا طائراتهم لتدمير مصانع البترول الصناعي في المانيا الغربية والمنشآت الصناعية في الرهر والمواني واحواض السفن الالمانية . وفي ليلة ٢٥ آب اغارت الطائرات البريطانية على برلين نفسها .

ولم يقصر ميدان الصراع بين المانيا وبريطانيا على الجو ، بل اشتد سعير القتال في البحار ايضا .. فقد هاجم الالمان في غير هوادة منذ بدء الحرب السفن البريطانية المحملة بالاغذية والمواد الخام اللازمة لحياة الاهلين ولجهودهم الحربي . واستخدم الالمان في اواخر سنة ١٩٩ اول سلاح سري استخدموه في ذلك النضال : وهو الالغام الممغنطة التي كانت طائراتهم تلقيها في مداخل الموانى البريطانية . وقد منيت السفن التجارية البريطانية بخسائر فادحة في بدء استخدام ذلك السلاح الفتاك ...

ولكن لم يمض زمن طويل حتى تمكن العلماء البريطانيون من اختراع وسائل مضادة خففت الى مدى كبير من حدة وطأته وقللت من شدة فتكه .

وامكن للاسطول البريطاني ان يتعقب بارجة الجيب الالمانية القوية : « غراف سبي » وان يجبرها على الالتجاء لثغر منتفيدو ، حيث اغرقها بحارتها عند انصرام الاجل الذي حدد لبقائها فيه .

كذلك تمكنت القوات البريطانية من ان تسبق الالمان الى احتلال جزيرة

(ايسلند) وجزر (فارو) . ولكن الانهيار الحربي الذي اصاب الحلفاء في الميدان الغربي قلّل الى حين من الاهمية الاسراتيجية لذلك السبق .

القتال تمتد الى افريقيا وبلاد البلقان

كان من غايات موسوليني ،عند اعلانه الحرب على بريطانيا الوصول الى القطر المصري للاستيلاء على ثرواته واستغلال موارده الطبيعية الفنية . وشجعه ضعف بريطانيا .. عن ارسال حلة كبيرة لاحتلاله ، وعبرت هذه الحملة في ايلول سنة ١٩٤٠ الحدود المصرية ، وتقدمت حتى (سيدي براني) . غير ان الجنود البريطانيين هاجموا الايطاليين في اوائل كانون الاول ، واجلوهم عن مصر . واستولوا في٢٢ كانون الثاني سنة ١٩٤١ على طبرق القاعدة البحرية الايطالية الرئيسية في برقة . وما وافى شهر آذار سنة ١٩٤١ حتى كان الايطاليون قد طردوا من ولاية برقة ،وبلغ البريطانيون بلدة العقيلة، ووقع في يدهم خلال هذه العمليات الحربية اكثر من مائة الف اسير ايطالي ، دون ان يفقدوا سوى مئات قليلة من القتلى . فبعثت هذه الانتصارات الكبيرة التي احرزها الجنرال ويفل القائد الاعلى للقوات البريطانية بالشرق الادنى ... بعثت هذه الانتصارات بعض الثقة في نفوس البريطانيين :

كما اصاب البريطانيون بعض المكاسب الحربية الاخرى . فاحتلت جنودهم في شهر تموز سنة ١٩٤١ سوريا ولبنان اللتين كانتا خاضعتين لحكومة فيشي الفرنسية ، وبذلك قوي مركز بريطانيا في الشرق الاوسط .. وكان الايطاليون ، بعد اعلانهم الحرب ، قد تغلغلوا في تموز سنة ١٩٤٠ في اراضي كينيا ، ودخلوا السودان واكتسحوا الصومال البريطاني وهددوا تهديدا خطيرا مركز البريطانيين في عدن والبحر الابيض .

انتصارات انكليزية على ايطاليا

ولكن القوات البريطانية تحت قيادة سير الن كنجهام قامت في كانون الثاني سنة ١٩٤١ بهجمات مضادة قوية اسفرت عن نتائج باهرة، فقد تمكنت اثناء قتال لم يستغرق سوى اربعة اشهر من القضاء على الامبراطورية الايطالية في شرق افريقيا . فاقصوا الايطاليين عن (ارتريا) .وسقطت اديس ابابا في ايديهم في ٦ نيسان . وفي الخامس

من ايار . اي بعد خمسة اعوام من مناداة موسوليني . بملك ايطاليا امبراطورا على الحبشة ـ دخل الامبراطور هيلا سيلاسي عاصمة ملكه. وبعد اسبوعين سلم دوق اوستا نائب ملك ايطاليا نفسه مع عدد كبير من الضباط والجنود الى البريطانيين وقبل نهاية تشرين الثاني سنة ١٩٤١ استسلمت اخر فلول القوات الايطالية في ذلك الميدان دون قيد او شرط .

وكان موسوليني قد اعلن الحرب على اليونان في ٢٨ تشرين الاول سنة ١٩٤٠ . وهاجمها بقواته . غير ان القوات الايطالية منيت بهزائم مشينة ذات بال . فطردهم اليونانيون شر طرد من وطنهم . وحين اشرف عام ١٩٤٠ على نهايته كان اليونانيون قد اوغلوا ثلاثين ميلا في ارض البانيا .

انتهز الالمان هذه الفرصة وشنوا في غضون شتاء ١٩٤٠ ـ ١٩٤١حرب اعصاب حامية على دول البلقان . فحشدوا قوات كبيرة في هنغاريا ورومانيا . ودخلوا صوفيا في اول آذار سنة ١٩٤١ ، واكرهوا الحكومة البلغارية على الانضمام الى صفهم ، وفي اواخر ذلك الشهر نفسه قامت مظاهرات صاخبة في بلغراد لمطالبة الحكومة باعلان الحرب على دولتي المحور .

فاستقالت الحكومة اليوغسلافية وفرّ وصيّ العرش اليوغسلافي من البلاد . فاعلنت المانيا الحرب على يوغسلافيا في٦ نيسان ، وجرد هتلر جحافله عليها ، فاحتلوها بأسرها في أحد عشر يوما . واغارت طائراته على بلغراد فجعلتها خرابا يبابا ...

حرب الصاعقة

وفي ٦ نيسان ايضا غزت الجنود الالمانية بلاد اليونان ، وخفقت بنود النصر فوق زحفها . فقد ارغمت اليونانيين على الانسحاب من تراقية الغربية وشقت طريقها في خلال اسبوع واحد الى سالونيك . وتقدمت انكلترا لمساعدة حليفتها الجديدة بالرجال والذخيرة . ولكن العون الذي ارسلته لها لم يكف لانقاذ الموقف . فساقت الكتائب الالمانية امامها سوقا القوات اليونانية والبريطانية والاسترالية والنيوزيلندية ، واجبرتها على الانسحاب من موقع بعد موقع ..

وعندئذ اضطر الجيش اليوناني الى التسليم في الحادي والعشرين من نيسان . ورفرفت في السابع والعشرين الراية الالمانية ذات الصليب المعقوف

فـوق الاكروبوليس ..

ومن ثم تدفقت القـوات الايطاليـة المهزومة على اليونان ، ولبى البلغار دعوة الالمان الى احتلال مقدونية وتراقية . وكان الاسطول البريطاني قد اجلى الى كريت قرابة اربعيـن الفـا مـن جنود بريطانيا والمستعمرات المستقلة ، تاركين وراءهم الجانب الاكبر من عتادهم ..

وواصل الالمان تعقبهم ، فشنوا في ٢٠ ايار هجومـا عنيفا عليهم بقوات انزلوهـا بكريت من الجو . وطردوا البريطانيين من تلك الجزيرة . وبذلـك انتهى الطـور الاول من اطوار الصراع في سبيل السيطرة على موارد بـلاد البلقـان ومواقعه الستراتيجية . ولم يدم القتال في ذلك الطور سـوى اسبوعيـن حاق خلالهمـا بقـوات بريطانيا واليونان ويوغسلافيا خسائـر فادحـة في الرجال والمعدات . وبدا للاعين كأن المانيا وايطاليا قد سيطرتا سيطرة تامة على جنوب شرق البحر الابيض المتوسط . وان كانت تركيـا حليفـة بريطانيـا قد احتفظت بحيادها ..

ثم ذهب الالمان مرة اخرى لنجدة حليفتهم في شمال افريقيا . وكـان البريطانيـون قد اضطروا الى تحويل عدد كبير من جنودهم ومقادير عظيمة من عتادهم الـى اليونـان . فضعف مركزهم كثيـرا فـي ميـدان شمـال افريقيـا . فارسلت المانيـا قائـدا مجربا من افذاذ قوادها ، عرف بسعـة الحيلـة ودقـة الخطط ، هـو الجنرال رومـل ـ ارسلته المانيا علىرأس فرقتيـن من صفوة محاربيها الاشداء . فشن (رومل) هجومـا كبيرا تكلل بنجـاح باهـر لفت اليـه الانظـار .

وكانت الصحراء الغربيـة ميدانـا مترامي الاطراف يساعد على حركات الهجوم والادبار في سرعـة كبيرة . فامكن لرومل في حزيران سنة ١٩٤١ ان يجرف امامه قوات بريطانيـا ومستعمراتها حتى بلغ مرسي مطروح ولاح كأن مصر عمـا قليل ستقـع في قبضتـه ....

هتلر يشهر الحرب على روسيـا

كان هتلر يكره روسيا الشيوعية كرها عظيما ويخشى شرها في مقبلات الايام .. وكان تحالفه معها في آب سنة ١٩٣٩ تحالف مصلحة اذ لـم يكن يجرأ على ضرب انكلترا وفرنسا او شن هجوم عليهما قبل ان يضمن حدوده الشرقية ..

وحين شغلت المانيـا في ربيـع واوائل صيف سنة ١٩٤٠ في غرب اوروبـا كمـا رأينا ، انتزع الروس ولايـة بسارابيا وشمال مقاطعةبوكوفينا من رومـانيا ، وقد تم هذا بموافقـة المانيا طبعا وان فعلت هذا في كثير من الحذر والشـك ..

كما تلا ذلك دمج روسيـا لدويلات البلطيق الثلاث : استونيا ولتفيـا ولتوانيا في الاتحاد السـوفياتي . وكذلك جرت على الحدود بعض الاحـداث التي اثارت ريب الالمان في حسن نوايـا الحكومة السوفياتية ، وهيأت الجو لنشـوب القتـال بيـن البلديـن ، في اللحظـة المواتية ..

ففي فجـر يوم الاحد ٢٢ حزيران سنة ١٩٤١ قذف هتلر بفرقـه المصفحة وملايين مقاتليه عبـر الحدود الروسية . وقال في منشوره الـذي اعلن فيه الحرب على تلك البلاد : « لقـد قررت اليوم ان اضع مصير الشعب الالمانـي وحكومة الريخ ومصير اوروبا في ايدي جنودنا » .

ووقف العالم كله مشدوها لهذه المغامرة الجسورة والمقامرة الهائلة ، وادرك على الفور انه سيكون لهذا الصراع ابعـد النتائج واخطرها ، لا علـى تاريـخ اوروبا فحسب بل على تاريخ الجنس البشري باسره .

وقد انضم الى جانب المانيا في هذه الحرب ايطاليا وهنغاريا ورومانيا وفنلندا . وفي الكفـة الاخرى وقفت بريطانيا الى جانب حليفتها الجديدة ، دون ان تتأثـر بعدائهـا المتأصل القديم لروسيا القيصرية ثم لروسيـا الشيوعيـة . فصرح ترتشل بان كل مـن يسير في ركاب هتلر هو خصم لنـا ، وان كل من ينازله هو حليف .

ووقف الرئيس روزفلت موقفـا وديـا نحو روسيا . فقد كـان يؤيـد بريطانيا قلبا وقالبـا ويرى دفاعهـا عن بلادهـا وامبراطوريتها دفاعا عـن قضيـة الحريـة والنظم الديمقراطية ، ولو انه رأىان الاوان لم يحن بعـد لنزول بلاده الى حومة الوغى الى جانبها ..

وكـان هتلر يثق بان قواته ستظفـر بنصر اكيـد بل وكان من المتوقع ان تظفـر ايضـا بنصر سهل .

ويتطلع الى الاستحواذ في حرب خاطفـة على قمح اوكرانيا وبترول القوقاز والموارد الصناعية الضخمة في وادي نهري الدونت والفولغا ، ومـن ثم يشق الجند الالمان طريقهم الى الشرق المليء بالخيرات الوفيرة والموارد الطبيعيـة الهائلـة .

كما خيل له انه يستطيع ان يبذر بذور التفرقة في صفوف الدول الديمقراطية بوقوفه موقف المحارب المختار في حرب صليبية ضد الشيوعية. غير ان هذه الاحلام العريضة والاهداف البعيدة تحطمت جميعها على صخرة المقاومة الروسية وتضافر قوات الديمقراطية ازاء الخطر المشترك .

طرق الهجوم

ولقد حدث الهجوم الالماني على خطوط قتال كبيرة ثلاثة : الهجوم الاول خلال جنوب بولندا في اوكرانيا، والثاني خلال روسيا البيضاء الى سمولنسك وموسكو ، والثالث من خلال دول البلطيق الى لينينغراد ..

واصاب الالمان نجاحا عظيما في بدء القتال ، وتغلغلوا بسرعة خاطفة حتى بدا في وقت من الاوقات وكأن هتلر يوشك ان يحقق هدفه الاكبر .. وهو اقامة خط دفاعي يمتد على وجه التقريب من نهر الفولجا الى ارشانجل في اقصى الشمال . فقد اكتسح الالمان في الميدان الشمالي دول البلطيق في وقت وجيز . ووصلت قواتهم الزاحفة صوب بحيرة (لادوجا) الى مشارف لننغراد في تشرين الاول ، وضربوا حصارهم على عاصمة روسيا القيصرية طوال ستة عشر شهرا تقريبا ..

وفي القطاع الوسط للجبهة الروسية ، استولت الجيوش الالمانية بقيادة المارشال فون بك على سمولنسك في ١٦ تموز . ثم توقفت قليلا كي تعد عدتها لهجومها الهائل على موسكو الذي بداته في اوائل شهر تشرين الاول .

وكان تقدم الالمان سريعا في اول الامر ، حتى انهم وصلوا في اوائل تشرين الثاني الى مسافة مائة كيلومتر من موسكو . وهجم الالمان هجمة صادقة على الروس في السادس عشر ولكن الروس استماتوا في الدفاع عن حاضرتهم الكبرى ، وامكنهم وقف فون بوك طوال شهور الشتاء على بعد خمسين كيلومترا من ضواحي موسكو .

وكذلك توجت اكاليل النصر هجمات الجيوش الالمانية بقيادة المارشال فون رندشتد في القطاع الجنوبي . فقد اكتسحت تلك الجيوش – مع معاونة تلقتها من الجيش الروماني – اكتسحت اوكرانيا ، وشقت طريقها خلال بسارابيا على طول ساحل البحر الاسود الى اودسا . فسقطت (كييف) في ايدي الالمان في ١٩ ايلول ، و (اودسا) في ١٦ تشرين الاول و (خاركوف) في ٢٤ من ذلك الشهر ..

وفي خلال ايام خمسة اخترقوا شبه جزيرة القرم ، واستحوذوا على

جميع انحائها ، ما عدا ثغر (سيباستيول) الذي كان الروس قد احكموا تحصيناته حتى جعلوه منيعا قويا ... ثم تقدمت جيوش (رندشتد) شرقا حتى وصلت الى مدينة (رستوف) ، واستحوذت عليها في ٢٢ تشرين الثاني . ولكن الروس استرجعوها بعد اسبوع . واتخذت الجيوش الالمانية في الجنوب مواقعها الشتوية في اوائل كانون الاول على خط نهر الدونتز ..

وكانت انتصارات الالمان في هجماتهم الاولى على اكبر جانب من الروعة والفخامة ... ومني الروس خلال دفاعهم بخسائر مروعة . وفقدوا الحقول الغنية بالحنطة في اوكرانيا والاماكن الصناعية الهامة في كلا اوكرانيا وحوض الدنيبر .

وكذلك استحوذ الالمان على مناجم فحم حوض الدونتز وجميع ارجاء شبه جزيرة القرم ما عدا سيباستبول .

ومع جميع هذه الانتصارات الباهرة التي احرزها الالمان ، فان العالم ادرك للمرة الاولى خلال الحرب العالمية الثانية الطاحنة بانهم لم يحققوا آمالهم التي منوا النفس بكسبها خلال حربهم الخاطفة ، وان الجيوش المدرعة الالمانية ليست بالقوات التي لا تقهر . فقد حل الشتاء الروسي القارس البرد ، والالمان يدقون بمطارقهم الضخمة ابواب موسكو ولننفراد اللتين استعصى عليهم فتحهما . فوقفوا متعبين حيارى امام الغريم الجبار الذي لا تنفد موارده في الرجال ، رغم ما حاق به من النكبات والهزائم الماحقة ...

وجدد الجيش الالماني – الذي غدا الان تحت قيادة فون بك – هجومه في اواخر ربيع سنة ١٩٤٢ ، وظفر بمدينة كرش . وفي الوقت نفسه بدات القوات الروسية بقيادة المارشال تيموشنكو هجومها فهددت مدينة خاركوف . غير ان « فون بك » قام بهجمة مضادة عبر نهر الدونتز ردتها على اعقابها ..

وبينما كان الالمان عام ١٩٤١ يرسلون هجماتهم الهائلة في القطاعات الرئيسية الروسية الثلاثة ، فانهم اكتفوا عام ١٩٤٢ بتركيز قواتهم وهجماتهم في القطاع الجنوبي ،حيث بدأوا هجومهم الكبير في ٢٨ حزيران فاستولوا على (سيباستيول) ، وبذلك دخلت في قبضتهم شبه جزيرة القرم جميعها .. ثم زحفت القوات الالمانية شرقا بين الدونتز واعالي نهر الدون، متوجهة شطر حقول بترول القوقاز ومدينة ستالنغراد ذات الاهمية

الصناعية الكبرى . وقد اصاب الالمان نجاحا في بادىء الامر ، فقد افلحوا في ارجاع الروس القهقري الى الشاطىء الغربي لنهر الدون ، وبلغوا سفوح جبال القوقاز في آب ..

وفي نهاية تشرين الاول وصلوا الى الطريق الحربي بمقاطعة جورجيا الذي يؤدي الى تيفليس ، ولكن زحفهم اوقف في تشرين الثاني . ثم اجبرتهم الضرورات الحربية في الميادين الاخرى على الانسحاب من القوقاز. ذلك ان الجيوش الالمانية عبرت نهر الدون في اواخر شهر آب سنة ١٩٤٢ وتقدمت الى مدينة ستالنغراد ، حيث نشبت معركة دموية طاحنة قلما شهد تاريخ الحروب لها مثيلا في الضراوة واستبسال المقاتلين الذين خاضوا غمارها .

فقد قاوم الروس بحمية منقطعة النظير هجمات الالمان ، ودافعوا عن مدينتهم شارعا شارعا وبيتا بيتا . ومع ان الالمان استولوا في النهاية على معظم انحاء المدينة ، الا ان ذلك كلفهم خسارة نحو مليون مقاتل من الملايين الاربعة التي حشروها في الجبهة الروسية . وكان لهذه النكبة ابعد الاثر في ابطاء تقدمهم في الايام القادمة .

وفي ١٩ تشرين الثاني قام الجنرال زوكوف الروسي بهجمة مباغتة مكنته من الاحداق بالقوات الالمانية . واخفقت محاولات الالمان في اسعاف قواتهم . فاضطرت الى التسليم في ٣١ كانون الثاني سنة ١٩٤٣ . وكان لهذه الكارثة تأثير عميق والم ممض في نفوس الالمان .

فقد كانوا ـ كما سيجيء ـ قد اصيبوا بهزيمة فاصلة في ميدان شمال افريقيا ، حيث جرت في تشرين الاول سنة ١٩٤٢ معركة العلمين الذائعة الصيت التي كانت نقطة تحول في مصاير الحرب في ذلك الميدان الحيوي . وكاد تسليم القوات الالمانية في قطاع ستالنغراد يتفق تماما مع دخول الجيش الثامن البريطاني تونس .

-٦-

دخول الولايات المتحدة واليابان الحرب

واخيرا تحركت

كانت الولايات المتحدة منحازة بعواطفها الى جانب الحلفاء ... وقد قدمت لهم مساعدات جمة اقتصادية وحربية ، بينما احتفظت اسميا بحيادها .. وكانت تسير باطراد منذ اعلان الحرب الى الاشتراك الفعلي في القتال .. في صف بريطانيا وفرنسا ، رغم معارضة أقلية قوية من زعمائها واهلها في زج بلادهم في شؤون اوروبا وحبائلها ودسائسها ..

فعند نشوب الحرب العالمية الثانية في ايلول سنة ١٩٣٩ . اقرّ الرئيس روزفلت قانون الحياد الاميركي الذي حظر فيه تصدير الاسلحة على اختلاف انواعها الى جميع الدول المتحاربة دون استثناء . وكان هذا التشريع اضرّ ببريطانيا وفرنسا منه بالمانيا .

وكان روزفلت يعطف بكل جوانحه على قضية الحلفاء . فحضّ (الكونفرس) على تعديل احكام هذا القانون بحيث يباح للرعايا الاميركيين بيع العتاد الحربي لمن يشاؤون .. فاقرّ الكونفرس الاميركي في ٣ تشرين الثاني سنة ١٩٣٩ قانونا سمح فيه للدول المتحاربة ان تبتاع نقدا من الاميركيين ما تريد من الاسلحة . شرط الا تنقل على بواخر اميركية . وكان هذا اقصى ما استطاع الرأي العام الاميركي ان يهضمه في ذلك الحين لمساعدة بريطانيا وفرنسا .

فلما انهارت فرنسا في صيف سنة ١٩٤٠ ، ووقفت بريطانيا ومستعمراتها تحارب بمفردها الالمان الاشداء ، تعاظم اهتمام الولايات

المتحدة بمركز بريطانيا البالغ الحرج ، واشتد خوفها عليها من خطر الابادة فاعلن روزفلت في خطاب القاه بجامعة فرجينيا في ١٠ حزيران « باننا سنمد اعداء العدوان بجميع الموارد المادية التي تملكها امتنا » .

كما اعلن بمقتضى قانون هافانا الذي اعتمده في ٢٩ تموز سنة ١٩٤٠ بأن مبدا منرو يمتد الى حماية الولايات المتحدة للمستعمرات التي تملكها الدول الاوروبية باميركا . وذلك كي يحول دون انتقال مستعمرات فرنسا وهولندا (بعد وقوع هاتين الدولتين في حوزة المانيا) في اميركا الجنوبية الى قبضة النازيين . وفي آب انشأت الولايات المتحدة وكندا مجلسا مشتركا للدفاع .

وفي ٢ ايلول تمّ الاتفاق بين الولايات المتحدة وبريطانيا على انتقرض الاولى الثانية خمسين مدمرة اميركية مقابل تأجير بريطانيا الى الولايات المتحدة عددا من القواعد البحرية والجوية في جزر الهند الغربية وجزيرة نيوفوندلند لمدة تسع وتسعين سنة .

واعتمد روزفلت في ١١ آذار سنة ١٩٤١ « قانون الاعارة والتأجير » الشهير الذي جعل من الولايات المتحدة « المصنع الاكبر للديمقراطية » ، والذي وهبت بمقتضاه تلك البلاد لحليفاتها مواد حربية وغذائية وشحونات اخرى خلال سني الحرب قدرت قيمتها بما بين اربعين مليار دولار وخمسين مليار دولار . وقد تنازلت الولايات المتحدة بعد انتهاء العمل بهذا القانون في آب سنة ١٩٤٥ – تنازلت عن جميع هذه المبالغ الطائلة لحليفاتها . كما قدّم روزفلت العون على الفور لبريطانيا والصين ، ثم مدّ نطاق هذا القانون الى روسيا حينما دخلت الحرب في جانب الحلفاء ، بعد اعتماد القانون باشهر ثلاثة .

وكذلك وضعت حكومة الولايات المتحدة يدها على جميع سفن المحور التي كانت قد أضطرت الى البقاء في موانيها خوفا من الوقوع في اسر الاسطول البريطاني اثناء عودتها الى بلادها ، ثم استحوذت ايضا في نيسان سنة ١٩٤١ على جزيرة (جرنيلند) ، ووضعتها تحت حمايتها المؤقتة ، ووهبت بريطانيا في ايار خمسين سفينة لنقل البترول ، واستولت على السفن الفرنسية اللاجئة بثغور الولايات المتحدة ، وفي حزيران جمدت ثروات رعايا دولتي المحور ، واغلقت جميع قنصلياتها بالولايات المتحدة . واحتل الاسطول الاميركي جزيرة (أيسلند) بالاشتراك مع البريطانيين .

وتقابل الرئيس روزفلت وونستن تشرشل في ١٤ آب في خليج

ارجنتيا بجزيرة نيوفوندلند ، حيث وضعا « ميثاق الاطلنطي » الزائع الصيت الذي حوى « بعض المبادىء المشتركة التي بنت عليها الدولتان آمالهما لاقامة عالم افضل » في المستقبل .

وتتلخص هذه المبادىء في القضاء على التوسع الاستعماري وعدم الموافقة على اجراء تغييرات في حدود الدول لا تتفق ورغائب الشعوب صاحبة الشأن ، ونادى الميثاق بحق كل امة في اختيار نوع الحكومة التي ترضى بها ، وبمنح الحكم الذاتي للشعوب المحرومة منه ، وتخويل جميع الدول لا فرق بين المنصورة والمقهورة منها ، تخويلها الحصول على المواد الخام ، وتوفير التضافر الاقتصادي بين جميع الامم . وأكدّ الميثاق نية الدولتين في السعي والجهاد في سبيل تحرير العالم من الحروب ، ومن الخوف ومن العوز وكفالة حرية البحار لجميع الدول ، والامتناع عن استخدام القوة كأداة لتسوية الخلافات الدولية .

وهذا الميثاق صورة مكررة من مبادىء الرئيس (ولسن) الاربع عشرة الشهيرة . فكأن الزعيمين باعادتهما تسجيلها في وثيقة رسمية في هذه الظروف قد اعترفا بحكمة تلك المبادىء التي نادى بها (وودرو ولسن) قبل ذلك بربع قرن . وجاء ذلك شاهدا آخر على اخفاق العالم في السير بمقتضاها خلال الفترة التي توسطت الحربين العالميتين .

وكان السبب المباشر لدخول الولايات المتحدة الحرب هو تطور الاحداث في الشرق الاقصى . وازدياد التوتر بينها وبين اليابان .

وكانت المعارك قد امتدت في الصين بين الجيوش اليابانية وجيوش شيان كاي شك . وكانت بريطانيا والولايات المتحدة تمدان قوات الصين ببعض المعونة الحربية عن طريق بورما والملايو ، فرغبت اليابان في احتلال هاتين المستعمرتين البريطانيتين ، حتى تقطع تلك الطريق ، وتستغل مواردهما الطبيعية الكبيرة . ورنت ايضا بناظرها الى انتهاز فرصة انشغال الدول الاستعمارية العظمى في الحرب ، لتحقق آمالها في اقامة امبراطورية الشرق الكبرى التي حلم اليابانيون بتشييدها .

ووجد زعماء اليابان العسكريون في المانيا النازية وايطاليا الفاشية حليفتين طبيعيتين . فاعلن وزير الخارجية اليابانية ان سياسة بلاده ستقوم على « معاهدة الدول الثلاث » ، اليابان والمانيا وايطاليا . وطلبت اليابان من حكومة فيشي الضعيفة السماح لها ببناء مطارات في الهند الصينية . فرضخت للطلب . فردت الولايات المتحدة على هذا الاجراء بتقديمها قرضا للصين ، وفرضها حصارا جزئيا على اليابان .

وبدأ التوتر يشتد بين الدولتين في تموز سنة ١٩٤١ حين اعلنت اليابان في الخامس والعشرين منه انها اخذت على عاتقها حماية مستعمرة الهند الصينية الفرنسية . فرد روزفلت في اليوم التالي على ذلك الاعلان باتخاذه اجراءين خطيري الشأن كبيري الدلالة : بان ضمّ القوات المسلحة لجمهورية الفلبين الى جيش الولايات المتحدة ، وعين الجنرال دجلاس ماك آرثر قائدا اعلى لقوات الولايات المتحدة في الشرق الاقصى ، واصدر امرا بتجميد الاموال والممتلكات اليابانية في الولايات المتحدة . وفعلت بريطانيا وهولندا مثله . فقطع بذلك عن اليابان جميع مواردها من المطاط والحديد الخردة وزيت البترول . فوطد حينئذ اقطاب العسكريين اليابانيين العزم على اعلان الحرب على تلك الدول بعد ثلاثة او اربعة اشهر . وارسلت الحكومة اليابانية وفدا الى الولايات المتحدة ، لازالة اسباب الاحتكاك بين الدولتين ، او سعيا لكسب الوقت لاستكمال تأهبها الحربي .

الهجوم

وبينما كانت المفاوضات تدور في واشنطن بين الفريقين ... سمع الاميركيون والعالم دون سابق انذار ان قاذفات القنابل اليابانية المنقولة على حاملات الطائرات أخذت في الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والخمسين من صباح يوم الاحد ٧ كانون الاول ... تقذف الطرابيد وتمطر القنابل على الاسطول الاميركي في المحيط الهادي الذي كان يرسو في قاعدته البحرية الكبيرة في (بيرل هاربر) بجزر هاواي . وبذلك قضت اليابان بضربة واحدة على التفوق البحري الاميركي في ذلك المحيط .

وفي ظهر ذلك اليوم هاجمت الطائرات اليابانية الخارجة في جزيرة فورموزا مطارات الجيش الاميركي بالقرب من مانيلا ، فانزلت بها خسائر مروعة . واخذ القواد المحليون الاميركيون ورجال الحكومة في واشنطن على غرة تامة ، وكادت الامة الاميركية لا تصدق انباء ذلك الهجوم الغادر . وسرعان ما انقلب عدم تصديقهم الى غضب هائل وتصميم قاطع على الانتقام من ذلك الهجوم الدنيء غير المستفز » . فقطعت المفاوضات على الفور ، واعلن الكونفرس في اليوم التالي قيام حالة حرب مع اليابان . وبعد ايام ثلاثة اعلنت المانيا وايطاليا الحرب على الولايات المتحدة . وكان موقف الحلفاء الحربي حينما نزلت اميركا حومة الوغى — يبعث على شيء كثير من اليأس . فقد كانت جيوش هتلر المظفرة تسيطر على اوروبا الغربية ودول البلقان ، ومتوغلة في قلب روسيا التي بدت لمعظم المراقبين كأنها تشرف على

القاء سلاحها امام قوة عدوها القاهرة . وكانت اسبانيا تخضع لسلطان دكتاتور عسكري يدين الى مدى كبير بوجوده في منصة الحكم للمساعدات الحربية القيمة التي كانت دولتا المحور قد قدمتاهما له ، ويتأهب في اية لحظة للانحياز الى جانبهما . وقد اوردت اسراب الغواصات الالمانية التي انتشرت في المحيط الاطلنطي سفن الحلفاء موارد التهلكة ، واغلق البحر المتوسط في وجه سفن الحلفاء ، فاضطرت الى استخدام طريق راس الرجاء الصالح القديم في اسفارها الى مصر والهند ، وغدا شمال افريقيا من تونس الى حدود مصر الغربية خاضعا لسلطان المحور . وهدّد (رومل) تهديدا خطيرا مركز البريطانيين كله في الشرق الادنى واخذ يطمع في الوصول الى قناة السويس ، ومنها يقفز الى فلسطين وسوريا . وبذلك يجبر — اكبر الظن — تركيا على الانحياز الى جانب المحور . كما هددت المانيا القوقاز وما بعد القوقاز بالاجتياح .

وكذلك اخذت النكبات الحربية في الشرق الاقصى تتعاقب على الحلفاء الواحدة في اثر الاخرى في سرعة مخيفة خلال الاشهر الثمانية التالية لدخول اليابان الحرب . فانه في اللحظة التي كانت الطائرات اليابانية تضرب الاسطول الاميركي الراسي في ميناء بيرل ضربة اقعدته عن العمل ، كانت قواتها البرية تنزل في (سيام) وشمال شرقي الملايو . ولم تطل مقاومة سيام اكثر من اربع وعشرين ساعة . ففتح سقوطها الطريق امام الجيش الياباني الى الملايو . وفي ١٠ كانون الاول اغرق اليابانيون في هجوم جوي صادق البارجتين البريطانيتين ويلس والبرنس اوف وايلس .. فشل السلاح البحري البريطاني في الشرق الاقصى ، وسهلت هذه النكبة على اليابانيين تحقيق جميع اهدافهم الرئيسية في آسيا الجنوبية الشرقية . فسقطت هونغ كونغ في ٢٥ كانون الاول سنة ١٩٤١ ، ورابول — القاعدة التي كانت تحمي اوستراليا — في كانون الثاني سنة ١٩٤٢ ، وسقطت سنغافورة التي كان البريطانيون قد انفقوا على تشييد حصونها نيفا وثلاثين مليون جنيه ، واعتمدوا عليها كل الاعتماد في الدفاع عن تلك الجهات . سقطت في ١٥ شباط بعد ضربها بالقنابل يومين . وسقطت ، الواحدة تلو الاخرى ، سومطرة وجافا وبالي وتيمور وغيرها من جزر الهند الشرقية الآهلة بالسكان الوادعين النشيطين ، وذات الموارد الثمينة من آبار البترول والمزارع الكبيرة للمطاط . وبتسليم جافا في ٩ آذار انهار نهائيا حاجز الملايو ، واصبح الطريق البحري الى اوستراليا مفتوحا في وجه اليابانيين . وحول جانب من القوات اليابانية وجهته بعد سقوط (الملايو) الى بورما ، حيث تقدم باطراد

رغم المقاومة الصادقة التي لقيها من مقاتلي الحلفاء الذين كانوا يشملون بعض الكتائب الصينية ، فبلغت القوات اليابانية في وقت وجيز خليج مرتبان ، واكرهت الجنود البريطانيين على الارتداد . وسقطت (رانجون) عاصمة بورما واهم ثغورها في السابع من آذار ، ومندلاي – المدخل الجنوبي لطريق بورما – في اوائل ايار . وبلغت الجيوش اليابانية بعد ذلك باسبوع اكياب على خليج بنغال . ودافع الاميركيون عن (باتان) و (كوريجيدور) دفاعا باسلا مجيدا ، يعاونهم الجنود الفليبيون . حتى اضطر اخيرا الجنرال كنج الى التسليم مع جنوده البالغ عددهم ١٢،٥٩٠ اميركيا ، واكثر من ٦٠ الف فلبيني ... والجنرال وايذايت الى التسليم مع جيشه البالغ ١١ الفا من الاميركيين ، ونيفا وخمسين الفا من الفلبيين .

وبذلك تقوّض في اقل من ستة اشهر الجانب الاكبر من الامبراطوريات الاستعمارية الخاضعة لبريطانيا وهولندا والولايات المتحدة في الشرق الاقصى . ولم يهو قطر في التاريخ الحديث مقام الجيس الابيض وهيبته كما هوى الى الدرك السحيق الذي انحدر اليه في ذلك الحين . كما انه لم تسم قط مكانة الشعوب الاسيوية وتعظم صولتها ، كما سمت مكانتها وعظمت صولتها في شهر حزيران سنة ١٩٤٢ ...

واخيرا توقف الاندفاع

والى هنا وصلت قوة الدفع الياباني الى منتهاها نتيجة للامطار الموسمية الغزيرة التي يشتد هطولها في ذلك الفصل ، ولاضطرار اليابانيين الى تعزيز مراكزهم وتوطيد سيطرتهم على الفتوحات الكبيرة التي اتموها خلال هذه الاشهر الخمسة . وبذلك نجت الهند من الغزو الياباني . وتوقف الزحف الياباني في جزر المحيط الهادي ، بعد ان استولوا على (غينيا الجديدة) وجزائر سليمان في آذار سنة ١٩٤٢ ، ونزلوا في ٨ نيسان بجزر الاميرالية .

ما لبث الاميركيون بعد هذا ان اتخذوا خطة الهجوم . فقاموا بغارات جوية على مراكز اليابانيين المتعددة ، ووجهوا في ١٨ نيسان غارة جوية الى طوكيو احدثت اضرارا لا تذكر ، ولكنها القت بعض الذعر في نفوس اليابانيين .

واصيب اليابانيون في مطلع ايار بهزيمة بحرية كبيرة في معركة بحر المرجان ، فيما كانوا يحاولون الاستيلاء على ميناء مورسبي ، وهي قاعدة ذات موقع استراتيجي هام في غينيا الجديدة . وكان الجنرال ماك آرثر قد

اتخذها النقطة التي سيبدأ منها « طريق العودة » . وكانت هذه الموقعة الاولى التي احرز فيها الاسطول الاميركي نصرا حاسما في الحرب العالمية الثانية ، كما كانت ايضا المعركة البحرية الاولى في تاريخ العالم التي قامت فيها الطائرات المحمولة على حاملات الطائرات بتدمير بوارج الخصم ، دون ان تشاهد اية سفينة من سفن الاسطولين المشتبكين في المعركة سفن العدو ، ثم اتبع الاميركيون هذا الفوز بنصر بحري آخر في اوائل حزيران ، اغرقوا فيه أربع حاملات طائرات كبيرة يابانية ، خلال هجوم اليابانيين على جزيرة (مدواي) . وكانت هذه المعركة من المعارك البحرية الفاصلة ، فقد حالت دون تنفيذ اليابانيين خططهم الرامية الى الاستيلاء على جزر كالدونيا الجديدة وفيجي وصاموا ..

وتوقف القتال شهرين قام الفريقان في غضونهما بتضميد جراحهما ، والاستعداد للجولة التالية . وقد دامت هذه الجولة ستة اشهر من الاشتباكات الدموية البالغة العنف التي جرت على مقربة من (بونا جونا) في غينيا الجديدة لامتلاك جزر جوادال .

ويتعذر علينا ان نصف هنا بالتفصيل هذه المبارزة الطويلة الامد البالغة الشراسة ، والتي تعج بالوان البسالة وصنوف الشقاء .. يكفي ان نشير الى معركة جزيرة (سافرو) التي باغتت في الساعات الاولى من صباح ٩ آب مجموعة من الطرادات اليابانية قسما من الاسطولين الاميركي والاوسترالي ، وكادت تدمره عن آخره .. فقد اغرقت اربعة من الطرادات الاميركية والطرادات الاوسترالية الخمسة ، دون ان تصاب القوة البحرية اليابانية الا بخسائر طفيفة فكانت معركة جزيرة (سافرو) أسوا هزيمة لحقت بالاسطول الاميركي في تاريخ البحرية الاميركية ، وكان لها نتائج بعيدة الاثر .. كذلك نشبت معارك حامية بين حاملات الطائرات في جزر سليمان الشرقية في ٢٤ آب وعند جزر سانتا كروز (٢٦ – ٢٧ تشرين الاول) ، كما كانت تنشب معارك جوية كل يوم تقريبا في غضون تلك الاشهر الستة .

التحام الاسطولين

واخيرا التحم الاسطولان الاميركي والياباني في معركة جوادال المروعة (١٢ – ١٥ تشرين الثاني) ... التي خسر فيها الاميركيون طرادين وسبع مدمرات ، وفقد اليابانيون بارجتين وطرادا ومدمرتين وعشر نقالات ، فازداد الاميركيون ثقة في النتيجة النهائية للنضال . وما جاء التاسع من شباط

سنة ١٩٤٣ حتى كان اليابانيون قد اخلـوا جزر جوادال ... ومـع ان اليابانيين بزوا في بادىء دخولهم الحرب انفسهم في سرعة زحفهم وقـوة بطشهم ... ومع ان دول المحور كانت تحتل حتـى صيف سنـة ١٩٤٢ مساحات شاسعة من اراضي اعدائها ، فان هذا النضال العالمي الضروس بدا للمراقب غير المتحيز وكانه ناشب بين قوتين تكادان تكونان متعادلتين ، ففي الكفة الواحدة نرى المانيا وايطاليا واليابان وعددا من الدول الصغيرة التـي سارت في فلكها ، وفي الكفة المقابلة نرى بريطانيا ومستعمراتها المستقلـة ذوات الموارد الطبيعية الهائلة ، وروسيا والولايات المتحدة والصين ومعظم دول اميركـا الجنوبيـة .

تفـوق الحلفاء

وكان للحلفاء بالتأكيد تفوق ظاهر في عـدد المقاتلين الذين يستطيعون انزالهم الى ساحات القتال .. والعمال الذين ينتجون العتاد الحربي ، وقـد خفض الى حد ما من قيمة هذا التفوق استيلاء المانيا واليابان على مساحات شاسعة جدا من اراضي اعدائهما الآهلة بالسكان ، الغنية بالموارد الطبيعية . وبذلك امكن للالمان واليابانيين ان يسخروا ملايين العمال من الامم الخاضعة لهم للعمل بمصانعهم الحربية ، وان يستغلوا قمح اوكرانيا ورومانيا ، وبترول رومانيا وجزر الهند الشرقيـة ، ومناجم القصديـر ، ومزارع المطـاط ، والكينين في بلدان الشرق الاقصى .

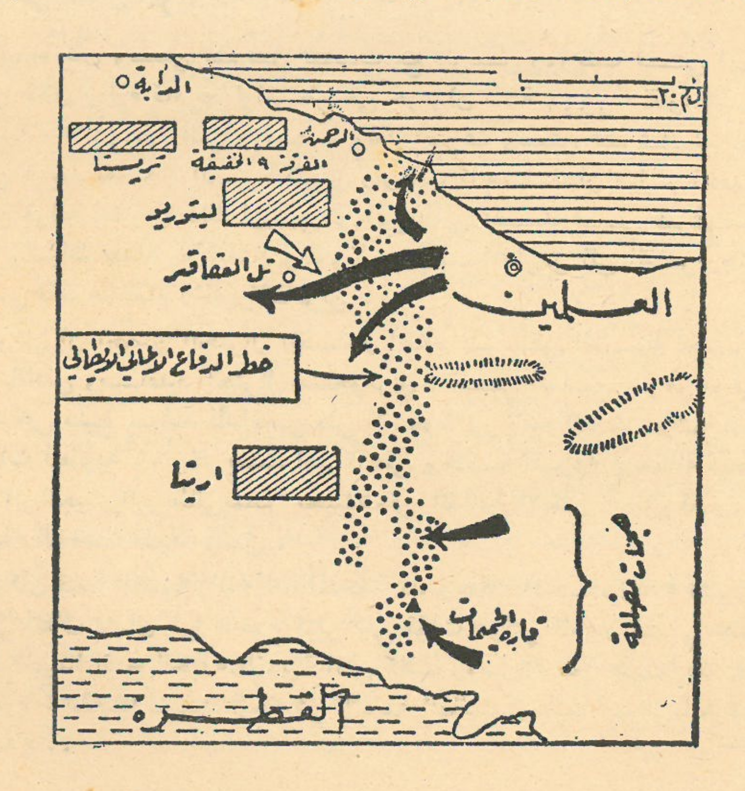
وكان الحلفاء في الكفة الاخرى يسيطرون على الجزء الاكبر مـن موارد البترول والحديد في نصف الكرة الغربي ... كذلك كانـوا يتفوقون علـى اعدائهم في امرين خطيرين : الاول ، فـي تضافرهم وتمكنهم مـن توحيد صفوفهم . فلم يكن في داخل بلادهم طوابير خاصة تخـدم الخصوم ، ولا مثيرو فتن وقلاقل ، ولا قوات مقاومة ، كالذين غصت بهـم الاقطار التـي احتلتها دول المحور مثل فرنسا وبولونيا واليونان ويوغسلافيا ، ولا متآمرون كهؤلاء الذين حاولوا اغتيال هتلر وقلب حكومته في اول صيف سنة ١٩٤٤ ، مما يقلل من جهود تلك الدول ويستنزف قواتها .

وكان الامر الثاني الذي تفوّق به الحلفاء توفيقهم الفريد فـي مجال الزعامة ، فقد وجدت بريطانيا خلال اشد ساعات محنتها اعظم زعيم حربي تولى تسيير دفتها منذ عهد لورد تشاتم : وذلك في شخص ونستن تشرشل ، وكذلك حالف التوفيق الاميركيون في ان قـاد صفوفهم فرنكلين روزفلت الذي اوتي قسطا وافرا من قوة العزيمة وصلابة الارادة والحنكة السياسيـة

والنجدة الحربية . وكان كلا الزعيمين محبوبا في بلاده وفي بـلاد حلفائه ظافرا بثقة شعوبها .

اما دول المحور فلم تتمكن من ان تحقق فيما بينها اتحادا حقيقيا فـي الاهداف السياسية ، او توحيدا للخطط الحربية ، او اشتراكا فـي انتاج الاسلحة او تبادلا للاسرار العلمية . وكانت ايطاليا بالوعة استنزفت جانبـا كبيرا من قوة حليفتها المانيا . وقاتلت اليابان في ميادينها الخاصة لتحقيـق مصالحها الخاصة ، دون ان تحفل بالمصالح الالمانية .

مثال ذلك ، كان الهجوم الياباني علـى ميناء (بيرل هربر) مخالفـا لرغبات هتلر والقيادة العليا الالمانية اللذين كانا يفضلان ان تتـرك اليابـان اميركا جانبا ، ولو الى حين ، وان تنقض على روسيا من الشرق ، ولـم تكن حتى خطط الجيش الياباني متناسقة مع خطط الاسطول الياباني . ولم يكن لدول المحور هيئة اركان عليا موحدة توفق بين اعمال جيوشها المتعددة فـي ساحات القتال بقارات اوروبا وافريقيا وآسيا .



-٧-

الحلفـاء يبدأون هجومهم

الحرب في شمال افريقيـا

بينما كان ونستن تشرشل يتحدث مع الرئيس روزفلت في البيت الابيض خلال زيارة قام بها لواشنطن في حزيران سنة ١٩٤٢ ، نقلوا اليه نبأ استيلاء الالمان على طبرق بليبيا . ولقد اعترف ونستن تشرشل لخاصته يومئذ بانه يعد نفسه « اتعس انكليزي زار اميركا منذ ان سلم الجنرال برجوني قواته لعدوه » ذلك ان الجيش البريطاني فقد في طبرق معظم دباباته وكميات هائلة من العتاد والمؤونة ، واصبح الطريق الى القاهرة وقناة السويس مفتوحا امام الالمان الظافرين ..

وكان ان تحصن الجنرال الكسندر القائد البريطاني العام لجيوش الشرق الادنى ومساعده الجنرال منتجومري ، في العامين ، وهو موقع استراتيجي منيع يساعد المدافعين على الصمود في وجه العدو ، ريثما تصل الامدادات المطلوبة .. وقد بعثت اميركا على وجه السرعة اربعمائة دبابة كبيرة الى الجيش البريطاني بمصر بحيث تمكن القائدان الانكليزيان من وقف رومل في زحفه الخاطف صوب النيل .

وكان قادة انكلترا والولايات المتحدة قد وصلوا اثناء زيارة تشرشل هذه الى اتفاق بشأن شن هجوم كبير على قوات دولتي المحور في شمال افريقيا تمهيدا لفتح الجبهة الغربية التي كانت روسيا ، تلحّ عليهما بفتحها في اوروبا ، تخفيفا لضغط الجيوش الالمانية الهائل عليها في الجبهة الشرقية ...

واتفق على ان تزحف غربا القوات البريطانية في مصر في نفس الوقت الذي يغزو فيه جيش اميركي – بريطاني بقيادة الجنرال منتجومري في ليل ٢٣ تشرين الاول سنة ١٩٤٢ ، ليخترق خطوط الدفاع الرئيسية للقوات الالمانية بقيادة (رومل) بعد معركة حامية في العلمين . واخذ الجيش الثامن يجرف امامه الالمان باطراد ودون توقف . فطاردهم ١٣٥٠ ميلا في اثنين وثمانين يوما . واستعاد طبرق في ١٢ تشرين الثاني ، وسقطت في يده العقيلة في ١٤ كانون الاول وطرابلس في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٩٤٣ . مما اضطر رومل الى الاحتماء بخط مارت الحربي وراء حدود تونس ، وهو منطقة كان الفرنسيون قد حصنوها تحصينا منيعا ، كي يردوا هجمات الايطاليين عليهم فيما لو فكروا بذلك ...

كما نزلت القوات الاميركية والبريطانية التي جاءت من الاطلنطي لاحتلال افريقيا الشمالية الفرنسية – نزلت على مقربة من (الدار البيضاء) ووهران والجزائر في الثامن من تشرين الثاني سنة ١٩٤٢ ، وتمكنت من الاستيلاء على هذه البلاد دون ان تلقى اية مقاومة تقريبا من الفرنسيين ، وان كان هؤلاء لم يظهروا سوى رغبة زهيدة في التعاون مع الغزاة . وكان رد الالمان على نزول الحلفاء بشمال افريقيا ان بعثوا بقواتهم الى تونس واحتلوا في ١١ تشرين الثاني جميع الاراضي الخاضعة لحكومة فيشي ، فيما عدا طولون التي كان يرسو بمينائها الاسطول الفرنسي ، ولكن الالمان دخلوا هذا الثغر بعد ذلك باسبوعين للاستيلاء على الاسطول خوفا من فراره وانضمامه الى الحلفاء – غير ان الفرنسيين آثروا اغراقه بأيديهم .

واخذ رومل الآن يواجه قوات العدو الزاحفة من جبهتين : الجيش الثامن البريطاني من الشرق ، والجيش الاول البريطاني يعاونه فرقة اميركية وعدد من الكتائب الفرنسية من الغرب . وقد حاولت القوات الالمانية مرتين : الاولى في شباط والثانية في اوائل آذار سنة ١٩٤٣ – حاولت شنّ هجمات عنيفة عليها تحدث التواء في خط هجوم الحلفاء في جنوب تونس . ولكنها اخفقت في كلتا المرتين ..

ومن ثم تتابعت هزائم الالمان ، واضطروا الى الارتداد بلدة بلدة .. وموقعا موقعا .. امام جيوش اعدائهم المظفرة . ففي ليلة ٢٠ آذار هجم الجيش الثامن هجمة صادقة على خط مارت واخترقه . وما جاء اليوم السابع من نيسان حتى تم الاتصال بين جيوش الحلفاء الزاحفة شرقا وغربا بعضها ببعض . وفي ٥ ايار قام الحلفاء بهجمة شديدة انهت القتال في ميدان شمال افريقيا . فدخلت الكتائب الاميركية « بيزرتـه » ، ودخل الجيش

الاول البريطاني تونس في ٧ ايار . ولم يمض اسبوع بعد ذلك حتى استسلمت جميع قوات المحور في ذلك الميدان لاعدائها . وقد بلغ عدد الاسرى منها نحو ربع مليون جندي كانوا يؤلفون بعضا من خيرة الفرق الالمانية والايطالية .

وكان (رومل) قد غادر افريقيا قبل ذلك مع كبار معاونيه الى المانيا ، حيث وكل اليه هتلر اعداد العدة لمواجهة نزول جيوش الحلفاء المرتقب بفرنسا . ولكنه لقي مصرعه في صيف سنة ١٩٤٤ . وتضاربت الروايات في كيفية مقتله . فمن قائل ان هتلر أجبره على اكتراع السمّ حين كشف ضلعه في المؤامرة التي دبرت لاغتياله في تموز سنة ١٩٤٤ واقصاء النازيين عن كراسي الحكم . اما الرواية الرسمية فأعلنت انه قتل في حادث اصطدام جرى لسيارته خلال غارة جوية للحلفاء .

استسلام أيطاليا

وكان من أهم نتائج النصر الكبير الذي ظفر به الحلفاء انهيار روح الايطاليين المعنوية ، وترددهم في القتال ، ونشاط المتآمرين على موسوليني للقضاء على نظام حكمه ، ومضى الحلفاء في تطهير البحر الابيض المتوسط من قوات العدو البحرية حتى يتمكنوا من استخدامه في نقل جنودهم ومهماتهم الحربية .. فهجموا في اوائل حزيران سنة ١٩٤٣ على جزيرتي بنتلاريا ، ولمبيدوسا الحصينتين واستولوا عليهما . ثم نزلوا بصقلية وما انتهى شهر آب حتى كانت تلك الجزيرة بأكملها قد وقعت في أيديهم . وكان موسوليني قد استقال من منصبه في ٢٥ تموز . ثم القي القبض عليه وسجن في معتقل خاص . وخلفه في رئاسة الحكومة المارشال بادوليو ، فشرع على الفور الاتصال بالحلفاء لوقف القتال . وعقد الهدنة .. وقد امضيت هذه الهدنة في ٣ ايلول . وكان من أهم شروطها استلام الايطاليين بدون قيد او شرط ، وتوقف قواتهم البرية عن القتال وتسليمهم اسطوليهم البحري والجوي الى الحلفاء ، وضمانهم استخدام الحلفاء لجميع الموانيء والمطارات الايطالية ..

فلما عرف الالمان بخبر هذه الهدنة احتلوا روما في ١٠ ايلول وسيطروا على جميع مرافق البلاد ، ولا سيما في الشمال . ففر المارشال بادوليو ورجال حكومته الى مراكز الحلفاء ، واعلنوا الحرب على المانيا وعدّت ايطاليا دولة محاربة في صفوف الحلفاء . ونزل البريطانيون في كالبريا بجنوب ايطاليا في ٣ ايلول ،ونزل الاميركيون في سالرنو جنوب نابولي في ٩ ايلول . فركز الالمان فورا قواتهم في قطاع سالرنو . وزحفت

وحدات من الجيش الثامن البريطاني وأستولت على مدن تارنتو وبرنديزي وباري ، واتصل البريطانيون بالاميركيين ، وقاموا معا بهجمات صادقة طردت الالمان من سالرنو . وسقطت نابلي في اول تشرين الاول في ايدي الاميركيين ، فتراجع الالمان للاحتماء بخط دفاعي اقاموه عند نهر الفلتورنو ..

ثم تمكن الاميركيون في منتصف تشرين الاول من عبور النهر ودفعوا الالمان امامهم الى ما وراء نهر الجارليانو .

وفي ٢٠ كانون الثاني سنة ١٩٤٤ عبرت قوات الحلفاء نهر الجارليانو، وانزلوا بعد ذلك بيومين بعض كتائبهم في انزيو كي يقطعوا على مؤخرة الالمان خط الرجعة . ولكن المارشال كسلرنج القائد الاعلى للجيوش الالمانية بايطاليا استطاع ان يوقف تقدم الحلفاء قرابة اربعة اشهر في الاقليم الجبلي القريب من كاسينو . فلم تتمكن جيوش الحلفاء من اقصاء غريمها من مواقعه المنيعة الا في ايار ، حين اكرهت على التقهقر العاجل صوب الشمال . وسقطت روما في ايدي الجيش الخامس الاميركي في ٤ حزيران اي قبل يومين من نزول الحلفاء في نورمندي بشمال فرنسا .

وعلى الاثر اخذت المدن الايطالية تسقط في قبضة الحلفاء فسقطت لجهورن في تموز ، وفلورنسا في ١١ آب ، وبيزا في اول ايلول ، وريميني في الثاني والعشرين منه ، ورافنا في اوائل كانون الاول .

واوقف سوء الاحوال الجوية وزمهرير الشتاء زحف الحلفاء البطيء ـ لكنه الزحف المطرد ـ خلال شهور الشتاء . ولكنهم بدأوا في العاشر من نيسان سنة ١٩٤٥ المرحلة الاخيرة من الحرب في ايطاليا ، فهاجموا الالمان من كل جانبي شبهالجزيرة ، فسقطت بولونا ثم جنوه . وعلى الاثر انهارت دفعة واحدة قوى الالمان ، واخذوا يستسلمون في اعداد كبيرة ، فارسل كسلرنج مندوبين عنه كي يفاوضوا الحلفاء في شروطهم ، وتم التوقيع في ٢٩ نيسان .وبمقتضاها استسلم الالمان ، والقوا باسلحتهم دون قيد او شرط ، وتوقفوا عن القتال في الثاني من ايار .

وكان الالمان قبل هذا قد عرفوا مكان موسوليني ، فبعثوا جوا بسرية من الجنود الفدائيين انقذته من سجنه . والف موسوليني حكومة ايطالية مناصرة لهم . وعند انحسار قوتهم ، اضطر الى التقهقر معهم .

واخيرا تمكنت احدى كتائب المقاومة الايطالية من القاء القبض عليه في ٢٨ نيسان سنة ١٩٤٥ مع نفر من انصاره الفاشيين في بلدة (دنجو) على بحيرة كومو ، حيث اجريت له محاكمة صورية ، وحكم قضاته عليه بالاعدام. فاعدم هو وبعض رفاقه رميا بالرصاص . وعلقت جثهثم في بعض ميادين تومو وميلان المقر القديم لرئاسة الحزب الفاشي .

الحرب في روسيا

وكان الاميركيون والبريطانيون قد ارسلوا كميات ضخمة من العتاد الحربي الى الروس عن طريق ايران وبحر قزوين بعد ان احتلت قوات بريطانية وروسية مواقع استراتيجية في ايران في آب سنة ١٩٤١ .

وما أن اشرف عام ١٩٤٢ على الانتهاء حتى كان الزحف الالماني الهائل على الاراضي الروسية قد بدأ في الانحسار ، وتحوّل المدّ بعد هزيمة الالمان الدموية في (ستالينغراد) الى ارتداد عاجل . فاكرهوا على الجلاء عن القوقاز . ثم عن حوض الدونتز ، واسترجع الروس مدينة خاركوف .. كما تحوّل الروس في القطاع الشمالي الى الهجوم .

وما جاء منتصف كانون الثاني سنة ١٩٤٣ حتى كانوا قد تمكنوا من رفع الحصار عن لينغراد .

وفي نهاية شباط قام المارشال تيموشنكو بهجوم ظافر على الالمان في جنوب بحيرة (المن ، وحرّر موسكو من تهديديهم لها ، وهو التهديد الذي ظل مصلتا عليها منذ اواخر سنة ١٩٤١ .

وكانت هجمات الروس في جبهاتهم متفقة في توقيتها مع هجمات الحلفاء في شمال افريقيا ثم في ايطاليا وقد توقف القتال اثناء الشتاء في جميع القطاعات . ثم استؤنف الصراع الهائل في تموز سنة ١٩٤٣ بهجمة المانية قام بها على نتوء (كورسك) . فشن الروس هجمات مضادة عنيفة على طول الجبهة الممتدة في (اورال) الى البحر الاسود ، وأخذوا يتقدمون تقدما مطردا . فاستردوا (سمولنسك) في اواخر ايلول ، (وكييف) في ٦ تشرين الثاني. وجرفوا الالمان امامهم الى خط الدنيبر جنوبا ، وما انصرمت سنة ١٩٤٣ حتى كان الجيش الروسي قد حرّر فعلا ثلثي الاراضي التي كان الالمان قد احتلوها من ارض الوطن ..

وحوّل الروس هجومهم الرئيسي في كانون الثاني سنة ١٩٤٤ الى الجبهة الشمالية ، حيث اخترقوا خطوط الالمان حول لننغراد ، واكرهوهم على الارتداد من مواقع ظلت في قبضتهم منذ سنة ١٩٤١ . فاضطرت القوات الالمانية الى الانسحاب حتى نهر النارفا وولايات البلطيق .

وفي الوقت نفسه واصل الروس تقدمهم المطرد في قطاعات اخرى من ميدان الحرب . فسقطت رفنو ولوك في اوائل شباط سنة ١٩٤٤ ، وتراجع

الالمان من اوكرانيا ، ومنوا بهزيمة كبرى بالقرب من (كورسون) حيث تمكن الروس من تطويق عشر فرق المانية وابادتها قتلا واسرا . واستمر النصر حليف الروس خلال شهر آذار ، قبل ان ينهمر المطر وتذوب الثلوج التي تغطي الارض ، فيجبر المتحاربون على وقف القتال حتى حلول الصيف . فعبروا انهار بوج و(دنيستر) و (بروث) وانتزعوا اودسا في ١٠ نيسان .

ثم غزا الروس شبه جزيرة القرم ، واستعادوها بأكملها في اسبوع ، فيما عدا (سيباستبول) التي امتنعت عليهم حتى اوائل شهر أيار . وبذلك اقترب الروس من الاراضي الالمانية والممالك البلقانية التي كانت تدور في فلك هتلر . ففي الشمال وقف الروس على حدود استونيا ، وفي الوسط وصلوا الى مقربة من حدود بولونيا ، وفي الجنوب تجاوزوا حدود رومانيا .

الحرب الهجومية في غرب اوروبا

ورأى البريطانيون والاميركيون ان يمهدوا لفتح الجبهة الغربية باوروبا بارسال غارات جوية هائلة لضرب الجسور والسكك الحديدية والموانى والقنوات والمصانع في المانيا وفرنسا ضربا متواصلا لا هوادة فيه ولا رحمة لعرقلة طرق النقل ، والقضاء على الانتاج الالماني والقاء الفزع في قلب غريمهم .

واخذ الحلفاء في بادىء الامر يقومون بغارات جوية فتاكة على اهداف معينة في المانيا والاقطار التي احتلتها ، وازدادت باطراد تلك الغارات كثرة في العدد واتساعا في النطاق ، وشدة في التدمير منذ ربيع سنة ١٩٤٢ . فأمطرت الطائرات البريطانية بالقنابل مصنع آلات الديزل في (اوجز برج) في نيسان . وفي ليل ٣٠ ايار بدأت الغارة الاولى من سلسلة الغارات الكثيرة التي كانت الواحدة منها تتألف من الف قاذفة قنابل او اكثر حينما اغار البريطانيون على طولون ثم تعاقبت غاراتهم على المدن الصناعية (اسن) و(برمن) و(اسنابريك) الالمانية ثم جاء دور الاميركيين ، فبدأوا في كانون الثاني سنة ١٩٤٣ سلسلة من الغارات النهارية الكبيرة التي كانت كل غارة منها تتألف من عدد هائل من قاذفات القنابل الضخمة . واستخدمت في تلك الغارات قنابل اعظم فتكا وطرقا جديدة ادق احكاما في اصابة المرمى . وزود الحلفاء انتصاراتهم في البحر الابيض وايطاليا بقواعد جوية اقرب الى الاهداف الواقعة في وسط المانيا ومواقع استخراج البترول في رومانيا .

واستمرت هذه الغارات الجوية الكبيرة طوال سنة ١٩٤٣ وازدادت عنفا وتدميرا في العام التالي . ولقد استمر تفوق الحلفاء في الجو دون منازع الى ان وضعت الحرب اوزارها . وتبدو ضخامة الحرب الجوية التي شنوها في غرب اوروبا من الارقام التالية : فقد ارسلت القوتان الجويتان البريطانية والاميركية خلال الحرب ١،٤٤٢،٢٨٠ من قاذفات القنابل و٢،٦٨٦،٨٠٠ طائرة مقاتلة .

والقت هذه القاذفات ٢،٦٩٧،٤٧٣ طنا من القنابل والمتفجرات على الاراضي الالمانية والاقطار التي احتلتها . وقد القي اكثر من نصف هذه الكمية على المانيا ، ونحو السبع على مراكز الالمان بفرنسا ونحو السبع ايضا على ايطاليا . وبلغ مجموع الرجال من طيارين ومهندسين وغيرهم ممن استخدموا في طيرانها ١،٣٣٥،٠٠٠ رجل ، وفقد الحلفاء خلال غاراتهم اكثر من اربعين الف طائرة و ١٥٨،٠٠٠ طيار . وخسر الالمان خلال الحرب ٥٧،٠٠٠ طائرة ، وقتل نحو ٣٠٠،٠٠٠ رجل .

وقتل واصيب في المانيا من جراء هذه الغارات نحو مليون شخص من المدنيين . ودمر فيها ٣،٦٠٠،٠٠٠ بيت ومبنى تدميرا كليا ، كماخربت كل مدينة كبيرة المانية تخريبا كاد يكون تاما ..

وقد ابدى الالمان حقا رباطة جأش وبسالة وتجلدا وقوة احتمال نادرة المثال . واحتفظو الى اخر الشوط المرير بروح معنوية رفيعة . واستمروا يواصلون اعمالهم الحربية وواجباتهم المنوطة بهم في مختلف ميادين الصناعة ، رغم الخراب الشامل الذي احاط بهم من كل جانب وواصلوا القيام باعمالهم الى ما قبيل نهاية الحرب ..

فقد انتجت المانيا سنة ١٩٤٢ ، ١٥الف طائرة .. وسنة ١٩٤٣، ٢٥ الف طائرة ، وسنة ١٩٤٤ ، ٤٠ الف طائرة و٣٥٧ غواصة ، رغم الغارات الجوية الهائلة التي امطرتهم تدميرا وموتا ورعبا طيلة هذه السنين . ومع ان طائرات الحلفاء القت نحو ٢٠ الف طن من القنابل على مصانع المطاط الصناعي الالمانية ، فقد ازداد انتاج هذا المطاط اطرادا حتى صيف سنة ١٩٤٤ . ومثل هذا استمرت الزيادة اطرادا في صنع الصلب والمصفحات والمتفجرات . ولكن غارات الحلفاء الجوية اثرت تأثيرا حاسما في انقاص كمية البترول الصناعي الذي انتجته المانيا ، وفي عرقلة طرق النقل ...

وفي المرحلة الاخيرة من هذه المبارزات الجوية الضخمة التي جرت في سماء غرب اوروبا استخدم الالمان مقذوفات ضخمة هي عبارة عن قنابل طائرة نفاثة ذات مدى بعيد رمز اليها اصطلاحا بحرف « ف » عرفت بحرف ف ٢ . وكان الالمان يطلقون هذه المقذوفات الصاروخية من قواعد شيدوها على طول شواطىء فرنسا وبلجيكا وهولندا على القنال الانكليزي وبحر الشمال . ولكن خبر هذا السلاح الرهيب وصل الى سمع اقلام المخابرات البريطانية . فركز السلاح الجوي البريطاني جهدا كبيرا في مهاجمة وتدمير مصانع تلك المقذوفات وقواعدها ، ورغم الاحتياطات الكثيرة التي اتخذت ، فقد اخذ الالمان يقذفون لندن بهذه القنابل الطائرة في ١٣ تموز سنة ١٩٤٤ ، اي بعد نزول قوات الحلفاء على ساحل نورمندي بسبعة ايام . ثم بدات الهجمات الاولى بالقنابل الصاروخية في ٨ ايلول . ولقد الحقت هذه المقذوفات خسائر كبيرة في ارواح الانكليز واملاكهم ، حتى قضى الحلفاء على خطرها في شهر تشرين الاول حين اكملوا احتلال مملكتي الاراضي المنخفضة .

الايام الاخيرة للحرب

لقد اخذت هذه الحرب المدمرة المروعة تقترب في خطى خبيثة الى الارض الالمانية . واخذت بريطانيا واميركا تعملان في همة ونشاط هائلين استعدادا لفتح الجبهة الغربية لتحرير الدول والشعوب التي سطا عليها الالمان في حروبهم الخاطفة في ربيع سنة ١٩٤٠ ، ولنقل ميدان القتال الى ارض العدو .. وعين الجنرال ايزنهاور في كانون الاول سنة ١٩٤٣ قائدا اعلى لقوات الغزو ، وعين الجنرال منتجومري قائدا للجيوش البريطانية التي تحت امرة ايزنهاور .

وبدأ غزو الحلفاء في صباح ٦ حزيران سنة ١٩٤٤ حين اخذوا ينزلون جنودهم على الساحل الشمالي الفرنسي بين شربورج والهافر وكانت قد اتخذت جميع الاستعدادات الممكنة لتسهيل عملية نزول الجنود ونقل المهمات الحربية الى البر . فصنع في بريطانيا مرفآن صناعيان هائلان ، ونقلا قطعا عبر القنال الانكليزي وجمعت اجزاؤها على رقعة من الشاطىء الفرنسي .

وكان الحلفاء يسيطرون على البحر والجو . وقد مكنهم تفوقهم الجوي من تدمير مواصلات العدو وموارده ، ومكنهم تفوقهم البحري من ارسال

العتاد والمؤونة والامدادات الى قواتهم الغازية دون عناء كبير .

وبدأ الحلفاء عملية الغزو بارسالهم جوا قوات كبيرة من الجند المدربين، امكنهم ان ينتزعوا رقعة من الساحل الفرنسي اتخذوها قاعدة بحرية بعد ان وطدوا اقدامهم بها . ثم وجهوا اهتمامهم الى انتزاع (شربورج) و (كان) من القوات الالمانية . فاستولى الاميركيون في ٢٦ حزيران على (شربورج) ، وانتزع البريطانيون (كان) في ٩ تموز بعد قتال مرير . وبذلك امتلك الحلفاء مرفأين كبيرين على ساحل نورمندي مكناهم من انزال جنودهم وعتادهم في سهولة ويسر ..

ومن ثم اخذ سقوط المدن الفرنسية يتوالى في تعاقب سريع . فأستولى جيش اميركي على (سان لو) ، وسقطت(نانت) في ١٠ آب . وبعد اسبوع حررت (سارتر) و(اورليان) . واحرز الجنرال منتجومري انتصارا حاسما على مقربة من (فاليز) ، وعبرت وحدات بريطانية نهر السين في ٢٥ آب ، وطاردت الالمان الى السوم . وحرر اعضاء حركة المقاومة الفرنسية السرية باريس ... في ٢٣ آب ، ودخل الجنرال ديغول قائد القوات الفرنسية التي حاربت في جانب الحلفاء ... بعد يومين باريس دخول الظافر المنصور .

وفي نفس الوقت تقريبا الذي اخترق فيه الحلفاء خطوط الالمان الى نهر السين ، انزلوا جنودهم على ساحل الرفييرا الفرنسي بين طولون ونيس فأبدى الالمان هناك مقاومة ضعيفة نسبيا .وبعد ان وطد الحلفاء مراكزهم على شاطىء فرنسا الجنوبي ، شرعوا يطاردون الالمان . فسقطت (طولون) و(مرسيليا) في اواخر آب و(ليون) في ٢ ايلول . وما انتصف ذلك الشهر حتى كانت معظم اراضي فرنسا فيما عدا موانيء المحيط الاطنطي ومقاطعتي الالزاس واللورين — قد حررت .

الى الامام

اخذ الحلفاء بعد ذلك يشددون ضغطهم على الجيش الالماني الذي يحتل بلجيكا وهولندا . ذلك ان القوات البريطانية والكندية كانت قد استحوذت على اميان ، وعبرت السوم ، واستولت على آراس ، واجتازت حدود بلجيكا ، وحررت بروكسيل في ٣ ايلول و(انتورب) في اليوم التالي وانضمت في ٥ ايلول الجنود الاميركية بعد تحريرها (شارلروا)و(نامور) الى الجيش البريطاني . وفي منتصف ايلول وصلت قوات الحلفاء الى نهر

الالماس والرين الادنى . ووقع جنوب هولندا في قبضة البريطانيين .ووصلت القوات الفرنسية الى مالهوزن واستحوذ الاميركيون على (ستراسبورج)..

وبذلك وصل الحلفاء الى حدود المانيا الغربية ، حيث عقد الالمان تصميمهم على الوقوف في وجه العدو وقفتهم الاخيرة . فاسقط الحلفاء من طائرات كبيرة جنودهم في جنوب شرقي هولندا كي يظفروا بمعبر للنهرين ، ولكي يطوقوا خط (سيجفريد) من الشمال . ولكنهم اخفقوا في محاولتهم وخف تقدمهم في منتصف تشرين الاول . ذلك ان خطوط امداداتهم طالت كثيرا وابتعدت مسافات كبيرة عن المراكز الرئيسية لتموينهم ، فتوقفوا قليلا كي يركزوا قواتهم لعبور نهر الرين والتقدم في الاراضي الالمانية .

واخذ الالمان الان في كلتا الجبهتين الشرقية والغربية يذودون عن ارض الوطن ، ذلك ان الروس عبروا برزخ كاريليان ،واخترقوا خط مانرهيم، وساقوا في الشمال الالمان امامهم بين بحيرتي لادوجا واونيجا . فاضطر الفنلنديون الى القاء سلاحهم قبيل ختام آب سنة ١٩٤٤ وبمقتضى احكام الهدنة التي وقعوها مع الروس ، تعهدوا بان ينسحب جنودهم الى الحدود التي رسمتها معاهدة سنة ١٩٤٠ بين الدولتين ، وان يسلموا (بتسامو)الى روسيا ، وان يدفعوا لها تعويضات حربية قدرها ثلاثمائة مليون دولار..

وفي نفس الوقت الذي جرت فيه هذه الاحداث بدأ هجوم روسي في جبهة روسيا البيضاء في اواخر شهر حزيران . فسقطت في ايديهم بلدة فيتبسك في ٢٦ حزيران سنة ١٩٤٤ حيث احدقوا بخمس فرق المانية وابادوا معظمها واضطرت بقيتها الى التسليم وفي الوقت نفسه قام الروس بهجوم قوي في بولونا ، فاستولوا على مينسك عاصمة روسيا البيضاء . وتقدموا على جبهة طولها مائتي ميل . وما لبثت جحافلهم ان تدفقت على دويلات البلطيق وبولونيا وسقطت مدن بولونيا الحصينة في ايديهم ، الواحدة بعد الاخرى . ووصلوا الى نهر الفستولا . فصاروا بذلك على مدى عشرة اميال من وارسو . فقام اهل هذه العاصمة في وجه المحتلين . ولكن الحامية الالمانية قمعت الثورة بشدة ، وهدمت دون شفقة ما كان قد تبقى من مباني العاصمة ..

وكان الروس قد اخذوا يسرعون في زحفهم عبر اراضي الدويلات البلطية الواقعة شمال بولونيا . فسقطت في ايديهم في تعاقب سريع ايسكوف ونارفار وادفنسك ، وسقطت (كوناس) عاصمة لثوانيا في اول آب ، غير ان الالمان جمعوا شملهم على حدود بروسيا الشرقية ، واستماتوا في القتال . فتمكنوا من اعاقة الزحف الروسي بعض الوقت .

وقام الروس بهجوم جديد في البلقان في آب . فظفروا بمدينة (ياسى) برومانيا . واكرهوا الالمان على الارتداد عبر نهر الدنيستر، فاعلنت رومانيا على الفور قبولها عقد هدنة مع روسيا . ثم اعلنت الحرب على المانيا، ودخل الجند الروس بوخارست وواصلوا زحفهم على الدانوب . وتعاونت الكتائب البلغارية مع قوات المقاومة اليوغسلافية بقيادة المارشال تيتو في تعقب الجنود الالمان المتراجعين من البلقان ومضايقتهم وانزال الخسائر بهم، ما وجدوا الى ذلك سبيلا .. واجتازت القوات الروسية في اوائل تشرين الاول حدود بلغاريا من جهة رومانيا ، وزحفت سريعا نحو العاصمة(بودابست) غير ان الجيوش الالمانية والهنغارية تصدت لها . وجرى قتال حامي الوطيس بين الفريقين رغم انضمام القائد العام الهنغاري وجانب من قواته الى صفوف الروس ، ولكن هنغاريا اضطرت اخيرا الى الاستسلام ، ووقعت هدنة مع الروس في ٢٠ كانون الثاني سنة ١٩٤٥ .

وفي تشرين الاول سنة ١٩٤٤ . انزل البريطانيون بعض قواتهم في بيتراس باليونان وكان مركز الالمان في تلك البلاد غاية في الحرج . فاخلوها على جناح السرعة ، بينما كانت القوات البريطانية وقوات المقاومة اليونانية المطاردة تطاردهم . وما تصرم العام حتى كانت اليونان برمتها قد حررت .

وكذلك اضطرت الجيوش الالمانية من الشرق ،ومن الجنوب ، ومن الغرب ، على الارتداد في عجلة الى داخل حدود الدولة الالمانية ذاتها . وبهذا دخلت الحرب في طورها الاخير . وبدأ نصر الحلفاء واضحا ظاهرا ... وعلى الرغم من ان الالمان قاموا في الجهة الغربية بهجمة صادقة فى الاردن في منتصف كانون الاول سنة ١٩٤٤ ، وافلحوا في صد الزحف الاميركي نحو (كولون) وكان غرضهم من ذلك الهجوم الاستيلاء على مدينة (لييج) حيث جمع الحلفاء مقادير هائلة من المؤن والعتاد ... وعلى الرغم من نجاحهم الجزئي في هذا الهجوم العنيف ، فان الحلفاء تمكنوا في اوائل العام الجديد من صد هذه المغامرة الاخيرة . بعد ان عاق هجوم الالمان هذا زحف الحلفاء على اقليم السار اسابيع ستة ..

وفي ٨ شباط سنة ١٩٤٥ شرعت القوات البريطانية والكندية هجومها في جنوب شرق (بجمجن) .. ثم تلاه على الاثر هجوم الحلفاء العام على طول الجهة الغربية . فاستولوا على (تولون) ... وعبر الجيش الاميركي الرين، وسقطت (كبلنتز) في منتصف آذار ، وطهر الشاطىء الغربي لنهر الرين

شمال نهر الموزل من الجنود الالمان ..
وفي الجنوب سقطت مدن السار الواحدة بعد الاخرى في ايدي القوات الاميركية والفرنسية . وما وافى اليوم الخامس والعشرون من آذار حتى كان الحلفاء قد قضوا على كل مقاومة المانية منظمة غرب الرين .
وفي الشمال عبرت الجيوش التي تحت امرة المارشال منتجومري الرين الادنى في اربع نقط ، وتقدمت مائة وستين كيلومترا شمالا وشرقا في أحد عشر يوما . وبذلك افلحت في تطويق الرور الغني بمصانعه الكبيرة ومناجم فحمه وحديده الوفيرة الانتاج . وانتهت مقاومة الالمان فيه في١٨ نيسان .

وزحف الحلفاء الان في قلب المانيا ، حيث كانت غاراتهم الجوية الهائلة قد نشرت الدمار في مدنه ، والقت الرعب البالغ في نفوس الاهلين . واخذت جيوش الحلفاء تضيق الخناق على الالمان دون هوادة . وما لبثت كل مقاومة المانية فعالة ان انهارت ، واخذت المدن الالمانية او بعبارة اصح ، اخذت انقاض المدن الالمانية تستسلم للحلفاء واحدة بعد الاخرى .

امافي الجبهة الشرقية فقد جدد الروس هجومهم من نواح عدة. فبعد ان استولوا على (وارسو) في كانون الثاني سنة ١٩٤٥ ،اكتسحت قواتهم الاراضي البولونية ، ودخلوا (بودابست) ، وتقدموا في اعالي نهر الطونة الى النمسا في نهاية آذار . وبلغت قواتهم فينا في منتصف نيسان ، وشرعوا يشنون هجومهم العظيم على برلين في ١٦ نيسان. واستبسل الالمان في الدفاع عن عاصمتهم . وبعد خمسة ايام كان الروس يقاتلون في ضواحيها . وكان الحلفاء الغربيون قد وصلوا ايضا الى نهر الالبه . فتقابلت جيوش الحلفاء الزاحفة من الشرق ومن الغرب في (طورجاو) ....

ولقد سقطت برلين في الثاني من ايار بعد معارك شرسة جرت في الشوارع وفي المنازل . وبسقوط عاصمة البلاد انهارت مقاومة الالمان انهيارا كاد يكون تاما في جميع الميادين .

ذلك انه في اليوم نفسه الذي سلمت فيه برلين ، القت الجيوش الالمانية في ايطاليا سلاحها . واستسلمت بعد ذلك بيومين الجيوش المقاتلة في شمال غربي المانيا وفي هولندا وفي الدانمارك .
وبذلك انتهى بين الانقاض والخرائب المروعة الريخ الثالث الذي فاخر هتلر بانه سوف يعمر الف عام من الدهر . وهلك هتلر بين اطلاله وركامه.

فقد انتحر مع نفر قليل من اخلص اعوانه في اليوم الاول من ايار في المخبأ العميق الذي شيده تحت دار المستشارية ، مؤثرا الموت على الاسر والهوان ..

وفي السابع من ايار وقع الجنرال يودل رئيس هيئة اركان الحرب الالمانية وثيقة التسليم من غير قيد او شرط في رئاسة اركان حرب الجنرال ايزنهاور بريمس .

الحرب مع اليابان

والا وبعد ان كسب الحلفاء النصر على دولتي المحور الاوروبيتين ، ركزت الولايات المتحدة وبريطانيا جميع مواردهما في قتال اليابان التيوقفت بمفردها بعد سقوط حليفاتها صرعى ، وكان اليابانيون قد بلغوا اقصى مدى لفتوحاتهم في ختام عام ١٩٤٢ . فلما كان العام التالي بدأ الحلفاء هجومهم .. فشرعالبريطانيون يرهقون القوات اليابانية ارهاقا متصلا في ميدان بورما بهجماتهم المباغتة على خطوط مواصلاتها بنوع خاص ، وعلى ايدي جنود دربوا تدريبا خاصا على قتال الغابات الاستوائية ..

وقام اليابانيون في آذار سنة ١٩٤ بهجوم كبير في (أسام) محاولين اختراق وادي براحما بوترا ، لنقل الحرب الى الهند . ففشلوا بعد قتال طاحن دام اشهرا ثلاثة وفرّت فلولهم لا تلوي على شيىء عبر نهر (شيندون) . وتلا ذلك قتال متصل حامي الوطيس دام ستة اشهر واستمر حتى حلول موسم الامطار الغزيرة .

وفي اوائل سنة ١٩٤٥ عبرت القوات البريطانية نهر (شندون)، وتمكنت من فتح طريق ليدو الموصل عبر بورما من الهند الى الصين . واستولت من الجنوب على (مندلاي) في آذار ،و (رانجون) في أيار . وبذلك هزم اليابانيون هزيمة فاصلة في بورما ، واخذ الحلفاء يعدون العدة لانزال قواتهم في الملايو ، ولكن اليابانيين القوا سلاحهم قبل وضع خططهم موضع التنفيذ .

وكذلك ضعفت سيطرة اليابانيين على المحيط الهادي . واخذت قوات الحلفاء تحتل من جديد خلال النصف الثاني من سنة ١٩٤ مجموعاتالجزر الصغرى في ذلك المحيط . ففي اوائل ايلول قام الجنرال ماك ارثر بهجوم في غينيا الجديدة انتهى باحتلال قواته جزر جلبرت ، وجزر مارشال، وجزر

الاميرالية ، في بواكير عام ١٩٤٤ .

وتم للحلفاء في اخر الامر التفوق برا وجوا وبحرا ، وغدوا في مركز يمكنهم من تهديد مواصلات اليابانيين وخطوط تموينهم . ونزلت القوات الاميركية في كانون الاول سنة ١٩٤٤ في جزيرة (ليت) بجزر الفلبين، وظفرت بمرسى قوي ، ووفقت في سحق الاسطول الياباني على مقربة من جزيرة (لوزون) في معركة الفلبين البحرية الثانية في ٢٣ تشرين الاول . واستمر القتال دائرا شهرين حتى حلت باليابانيين الهزيمة النهائية في جزيرة ليت . واستولى الاميركيون في اوائل كانون الثاني سنة ١٩٤٥ على لوزون ، كبرى جزرالفلبين . ودخلوا مانيلا عاصمة تلك الجزر في٤ شباط .

ومن ثم بدأ قتال طاحن دام خمسة اشهر اخرى ، تمكن في نهايته الجنرال ماك ارثر من ان يعلن في٥ تموز تحرير جزر الفلبين تحريرا تاما من العدو . واخذ الاميركيون يدنون شيئا فشيئا من الجزر اليابانية الرئيسية . فاستولوا في آذار سنة ١٩٤٥ على جزيرة (اوحيما)واكملوا في منتصف حزيران فتح جزيرة (اوكيناوا) الواقعة بين جزيرة (فورموزا) واليابان . فاضطرت القوات اليابانية الى الارتداد في جزر غينيا الجديدة، وبريطانيا الجديدة ، وبورنيو رغم مقاومتها المستميتة ... كما الحقت قاذفات القنابل الاميركية خسائر مروّعة بالاهلين والاملاك في غاراتها المتعددة على اليابان ، فدمرت نصف مدينة (يوكاهاما) ومنيت طوكيو و(اوزاكا) وغيرهما بخسائر فادحة ..

وكان مركز اليابانيين حرجا الى اقصى درجات الحرج ، حينما احرز الحلفاء في اوائل ايار انتصاراتهم العظيمة على المانيا ، واكرهوها علىالتسليم وعلى الرغم من ان اليابان استطاعت حتى في هذا الطور الاخير من اطوار النضال ان تلحق خسائر كبيرة بالحلفاء ، الا ان النصر كان قد افلتنهائيا من يدها .

وعلى اثر انعقاد مؤتمر بوتسدام ، قدمت اميركا وبريطانيا والصين انذارا نهائيا الى اليابان (٢٦ تموز سنة ١٩٤٥) تخيرها فيه بين الاستسلام دون قيد او شرط ، او ان ينزل بها الحلفاء « الخراب التام المعجل » .

ومع ان الحكومة اليابانية كانت لمحت عن طريق روسيا عن رغبتها في وضع نهاية للحرب ، الا انها تجاهلت انذار بوتسدام ، بيد انه حدث في ٦ آب سنة ١٩٤٥ ان القت طائرة اميركية على هيروشيما القنبلة الذرية الاولى التي استخدمت في الحرب . فاحدثت تدميرا وتقتيلا لم يشهدالتاريخ

لهما مثيلا من قبل . فقد دمر تدميرا تاما اربعة اميال مربعة من مباني تلك المدينة ، وبعد ايام ثلاثة القيت القنبلة الذرية الثانية على(ناجازاكي) فأنزلت بها نفس الخسائر المروعة في الارواح والاملاك . فقد قدّر عدد القتلى من اليابانيين في هيروشيما وحدها بثمانين الف قتيل ومائة وعشرين الف جريح ، وصار مائتا الف نسمة بلا مأوى .

وكانت روسيا قد اعلنت في اليوم السابق (٨ آب) الحرب على اليابان ، وارسلت جنودها على الفور لغزو مقاطعة منشوريا .

وكانت روسيا قد اعلنت في اليوم السابق(٨ آب) الحرب على زعماء اليابانيين الى عقم الاستمرار في النضال . فطلبوا في ١٠ آب عقد هدنة وفقا للشروط التي وضعها الحلفاء في بوتسدام . وفي الخامس عشر اعلن الامبراطور هيروهيتو قبول هذه الشروط .وفي الثاني من ايلول وقع المندوبون اليابانيون وثيقة التسليم على ظهر البارجة (مسودي) الاميركية التي كانت قد ألقت مراسيها في خليج طوكيو .

وبذلك وضعت اوزارها اعظم حرب مروعة عرفها التاريخ بعد اندلاعها بستة اعوام كاملة .. حرب اتخذت من الكرة الارضية باسرها تقريبا ميدانا شاسع الاطراف لنيرانها الاكلة ومناجل الموت الحاصدة ، وخلفت في اعقابها الجوع والشقاء والفوضى .

القسم الثاني

المعارك الحاسمة

في الحرب العالمية الثانية

انتهى ما كتبه المؤرخ الانكليزي عن الحرب العالمية الثانية موجزا حوادثها ، ملقيا اسباب الحرب على الدول الديموقراطية ، التي بلعت كل ثروات الدنيا واستغلت كل شعوب العالم ، فلم تعد والحالة هذه بحاجة الى حروب ومغامرات ، وانما كانت بحاجة الى سنوات من الهدوء لتهضم ما بلعته واستلبته من اسلاب الحرب العالمية الاولى ..

وقد عرض المستر فيشر الى هذه الناحية في عبارة قصيرة ، كما اعترف بعقم المعاهدات التي عقدت ابتداء من فرساي الى غيرها وكيف انها كانت معاهدات نعم فيها الظافر بالاسلاب دون غيره فارضا على الدول المغلوبة شروطا قاسية لم يكن بامكانها احترامها ووفاءها خصوصا المانيا ..

هذا الظلم الشنيع الذي اصاب المانيا المغلوبة بعد الحرب الاولى هو الذي خلق الجو الذي ظهر فيه هتلر يدعو الى تمزيق معاهدة فرساي واستعادة المانيا لحقوقها واستقلالها لاراضيها كاملة غير منقوصة ..

وكذلك نبدأ في الصفحات التي تلي وصف المعارك الحاسمة في الحرب العالمية الثانية ، بعد ان احطنا بالحرب احاطة مختصرة تامة تشفي غليل القارىء المثقف .. ثم زدناه بوصف الساعات والحوادث التي قلبت الموقف وبدّلت الدنيا ،وغيرت وجه الارض والحرب من حال الى حال ..

- ١ -

الهجـــوم على بولونيـــا

الفن العسكري في معركة الحديد والنار

ابتداء الحــرب

بدات الحرب العالمية الثانية في الساعة الرابعة والدقيقة الخامسـة والاربعين من صباح اليوم الاول من شهر ايلول ١٩٣٩ ..
وهو اليوم الذي عينه (هتلر) في الامر الذي اصدره الى قيادةالجيش الالماني ، لتنفيذ الخطـة البيضاء الخاصة ببولونيا في هذا اليوم ، وهـــذه السـاعـة .. .قبل اليوم السابق (٣١ آب) ..

ولقد سبق الحرب عيون هتلر ورجال استخبارات المانيا الذين توزعوا ارض بولونيا قبل المعركة ، ودرسوا اوضاعها ، وكتبوا تقاريرهم عنها ..
كمـا سبق الحرب الاقليات الالمانية ، التي كانت تمثل طابورا خامسا يعمل لصالح الالمان .. والذين اخذوا بالاستعداد لليوم المرتقب ..

حتى أن بعض الجنود البولونيين الذين كانوا يتراجعون في معركـة من المعارك ، كانوا يقابلون عند وصولهم الى بعض المدن البولونية القائمة على الحدود او القريبة منها ، بالرصاص والنار تطلق عليهم من المنازل ، والاوكار ، والسطـوح ..
وبدات الحرب دون ما اعـلان رسمي ولا انذار استبق الهجوم ..

كان غزوا مدبرا ، أحكمت اجزاؤه ، وثبتت خططه ، ووزعت فرقه ، لتطبق على بولونيـا في الموعـد المحدد والساعـة المقررة ..

وكانت هذه الحرب من غرائب الحروب وعجائبها ، فقـد وقف منها سكـان برلين موقف الذهول والاناكار .

كانوا يظنون حتى السـاعـة الاخيرة ان (هتلر) سوف يجد مخرجـا للقضيـة البولونية يغنيه عن الحرب مجنبا المانيا مشاكلها ومتاعبها ، ولما وقعت الواقعـة لم يصدقوا أنفسهم .. وتذكر القدامى منهم كيف اقبلـوا علـى الحرب العالميـة الاولى مهلليـن ضاحكين مختالين مزهوين ، وكيف استقبلوا هذه الحرب الثانيـة بالصمت والانكار والاسف الشديد ..

لم يكـن هناك في المانيا من يريد الحرب ، الا من كان يدور في فلك (هتلر) من النازيين والانصار ..

ولم يكن هناك في العالم من يرغب في الحرب .. ومع هذا فقدوقعت الواقعـة ، وتكلم المدفع ، وانفجرت القنابل ، وصوت الرصاص ..

بدات الحرب العالمية دون اعلان حرب .. لم تعلن المانيا الهتلرية الحرب على بولونيا .. ولكن طائراتها بدات الحرب بضرب كل مركز عسكري ، وكل مطـار وكـل طائرة كانت تجثم في هذه المطارات ..

كما تحركت الفرق المدرعـة تشق طريقها عبر الحدود البولونية الـى الداخل، وخلفهـا السيارات المدرعة تحمل المشاة الى المراكز التي حددت لها وكـان عليهـا مهاجمتهـا واقتحامهـا والاستيلاء عليها ..

ولقد انتهى امر سلاح الطيران البولوني بعد يومين من ابتداء الغـزو الهتلري ، فقد تمكن سلاح الطيران الالماني من تمزيقه وهو علـى الارض ، بحيث لم يتمكـن البولونيون من حشد جيوشهم كاملة للمعركة ، وبحيث لم يستطيعـوا منازلة القوات الغازيـة ، وهم في عدد ضخم ونظام موفور ..

كذلك بدات الحرب الصاعقة ، حرب الحديد والنار ، وحرب الطائـرات والمدافع ، وحرب القنابل والحرائق ، فاذا بالجيش البولوني او بهذه الفرق التي تؤلف الجيش البولوني تتراجع امام الزحف ، مرتدة الى خلف الانهـر لعلهـا تستطيع العثـور على مكـان يمكنها من جمع شملها ، وحزم امرها ، واتخاذ مراكز للدفاع بعد ان عزّ عليها الهجوم ، واصبح شيئا عسيرا بعيد المنـــال ..

الساعات الاولى

في الساعات الاولى من صباح اليوم الاول من شهر سنة ١٩٣٩ ،حلقت في الجو مئات الطائرات ، من المطارات العسكرية الالمانية القائمة على الحدود البولونية واندفعت نحو الارض البولونية ، تنثر الدمار ، وتوزع القنابل من صغيرة وكبيرة على المراكز العسكرية البولونية وعلى الجسور والمطارات ، وتجمعات الجيوش والحصون وتزرع الرعب والخوف في قلوب الآمنين من سكان المدن الواقعة على الحدود ، وخلف الحدود ..

وكذلك بدأت الحرب العالمية الثانية المخيفة الهائلة التي كانت ستزرع الرعب في العالم مدى سنوات ست . والتي كانت ستعم اكثر امم الارض قوة وسلاحا ، وحضارة ، والتي كانت ستمكن هتلر من السيطرة على القارة الاوروبية مدى ثلاث سنوات كاملات ، سيطرة تامة ، لا مثيل لها في تاريخ العالم ، والتي كانت ستنتهي الى ما تنتهي اليه من تفشي البؤس ، وموت الملايين من المحاربين ، وتدهور الاقتصاد العالمي ، وارتفاع الاسعار ، وازدياد الخلاف بين شعوب الارض ، وانقسام العالم بعد انتهائها الى معسكرين شرقي وغربي ، فازداد التوتر ، وعم الخوف ، وعز السلام في الارض ..

وفي اليوم الثالث من شهر ايلول جلس الملايين من مختلف الشعوب والجنسيات الى الراديو ، ينتظرون ما يكون عليه موقف انكلترا وفرنسا من الغزو الالماني لبولونيا ..

وسمع هؤلاء وقلوبهم على ايديهم ، في ساعة من اليوم نفسه، خطاب المستر شمبرلن رئيس الوزارة الانكليزية في مجلس العموم البريطاني يعلن فيه للعالم قرار الحكومة البريطانية باعلان الحرب على المانيا ، وفاقا للعهد الذي قطعته على نفسها بمساعدة بولونيا ، حين تواجه غزوا او حربا من دولة اخرى ..

وفي اليوم نفسه ، وبعد ساعات من التردد ، اعلنت فرنسا الحرب على المانيا ايضا ، وتحت الضغط الانكليزي عليها .

وايدت دول الامبراطورية الانكليزية قرار لندن ، واعلنت الحرب على المانيا الا حكومة ايرلندا التي وقفت على الحياد .. ورفضت الدخول في حرب لا شأن لها فيها ولا علاقة ..

وكذلك بدأت الحرب التي ارادها هتلر محدودة ضيقة .. تتسع ..

وبدأت بذور التحالف العظيم ضد هتلر بالظهور صغيرة في اول الامر ، ثم شملت العالم كله بعد ذلك .

ولو نظرنا الى الموقف العسكري نظرة عابرة لوجدنا ان الفروق لم تكن عظيمة بين الخصوم من حيث القوة العددية .. ولكننا اذا تعمقنا وبحثنا الموقف من جميع اطرافه وجدنا ان المانيا كانت في حالة عسكرية لم يكن ينعم بمثلها خصومها ..

كان الجيش الالماني في ايام السلم اقل من مليون جندي ، واما في الحرب فكان بالامكان رفعه الى عشرة ملايين جندي ، واما الجيوش الانكليزية والفرنسية والبولونية فكانت اكثر عددا في زمن السلم ، وكان من الممكن زيادة هذا العدد اضعافا مضاعفة في الحرب ، ولكن القوة العددية لم تكن العامل الحاسم في حرب اصبح مدارها على الاسلحة الميكانيكية التي بدلت الحرب راسا على عقب ، وجعلت الكثرة العددية امرا هينا لا قيمة له .. اذا كانت تنقصها المعدات الميكانيكية ووسائل الدفاع الجديدة ..

السلاح الالماني

ولما بدأت الحرب كان لدى المانيا عدة فرق مصفحة وخلف هذه الفرق مصانع عسكرية كثيرة مستعدة لتغذية هذه الفرق، وتعويضها عما تخسره في المعارك من سلاح ومعدات حربية ورجال ..

واما الحلفاء فلم يكونوا ينعمون بشيء من هذا ، كان سلاحهم عتيقا لم يتبدل كثيرا عن السلاح الذي استعملوه في الحرب العالمية الاولى ، والذي اصبح لا يصلح للحرب الجديدة والمعدات الحربية الحديثة ..

وكان لدى المانيا ما يزيد عن عشرة الاف طائرة ، وكان بامكان مصانعها ان تزودها بما لا يقل عن الف ومائتي طائرة في الشهر ، بينما لم يكن عند الحلفاء ما يزيد عن ثمانية الاف طائرة لم تكن جميعها من الطراز الاول ، ولم تكن مصانعها لتزودها باكثر من سبعمائة طائرة في الشهر الواحد ..

وكان الامر الاهم طبعا تطور الحرب لدرجة انها اصبحت فنا من الفنون ، وعلما حسابيا دقيقا تجب مراعاة النسبة فيه ليكون النجاح مضمونا والفوز مقررا .

وكان الالمان في السنوات التي سبقت الحرب ، قد ادخلوا من التعديل على خططهم العسكرية ، بقدر ما نام الحلفاء على خططهم العتيقة ، وكانت الحرب الاهلية الاسبانية التي وقعت قبل ذلك مدرسة تدربت فيها هيئة اركان حرب الجيش الالماني على استعمال الاسلحة الجديدة ، وخرجوا منها بنتائج مهمة كان لها اثرها في مصاير الحرب العالمية الثانية ، بحيث قلبت الاوضاع العسكرية راسا على عقب ، وادخلت فيها عوامل جديدة لم تكن بالحسبان ..

وكان من اهم هذه العوامل توحيد هيئة اركان الحرب الالماني سلاحها الحربي كله بعضه مع بعض ، بأن مزجوا السلاح الجوي بالسلاح البري ، المؤلف من المشاة والمدفعية والفرق المصفحة بحيث اصبحت هذه الكتل الحربية كتلة واحدة يهيمن عليها ، ويسيطر على مقدراتها ، ويسيرها رجل واحد ، بينما كان الحلفاء لا يزالون يعتبرون اللاح الجوي سلاحا ثانويا منفردا يصلح للدفاع ، بخلاف الالمان الذين اجروه للهجوم والدفاع معا ..

وإذا كان الالمان قد سيطروا بجيوشهم وطائراتهم على الارض الاوروبية وجوها ، فقد سيطر الحلفاء باسطولهم على البحر ،ولكن سيطرة الاسطول على البحر لم يكن لها من الاهمية في اوائلهذه الحرب مثل ما كان لها في اواخرها ، خصوصا وان الغواصات الالمانية كانت تستطيع انزال الاضرار البالغة بسفن الشحن ، وتهديد التجارة البحرية ، والحد من وصول الاعتدة والاغذية الى الخصوم بمقدار أذهل الحلفاء في السنوات الاولى من الحرب ، وانزل بهم من الخسائر فوق ما يتصوره العقل ..

ولكن الغواصات الالمانة في الوقت نفسه ، وبرغم ما قامت به من الجهود الجبارة لوقف الامدادات التي كانت تصل الى الحلفاء من امركا ،ومن مختلف انحاء العالم لم توفق كل التوفيق ، ولم تتمكن من فرض الحصار المطلوب حول الجزر البريطانية ، فظلت بريطانيا تحصل علىبعض حاجاتها ، وان لم يكن على اكثرها ، بواسطة نشاط اسطولها البحري رغم ما لحقه من خسائر ..

ومن المفروض في حرب عامة اذا كان احد الخصوم ينعم بافضلية حسنة في الاسلحة والاعتدة والرجال ان يوفق في المعارك الاولى ، ولكنه لا يستطيع الاحتفاظ بانتصاراته هذه الا اذا كان هناك من يمده دائما بما يخسره من الاسلحة والاعتدة والرجال ، وهذه حالة لم يكن ينعم بها هتلر لمدةطويلة،

واما الحلفاء فكانوا ينعمون بها ، وكانبمقدورهم ان يحصلوا على ما يريدونه من اميركا وغير اميركا ما امتدت الحرب وطال امدها .
وهذا هو السبب الاول فيإنجاحهم اخيرا ، وتفوقهم على خصومهم في المعارك الساحقة التي استبقت انتهاء الحرب ..

ولست انكر ان الالمان كانوا يدركون مواطن الضعف فيهم من هذه الناحية ، وكان جل اعتمادهم في النصر على ان لا يمكنوا الحلفاء من اطالة الحرب الى الوقت الذي يصبحون فيه خطرا يهدد حركة الحرب الالمانية ، فكان ان اجرى هتلر حرب الصاعقة ، واجراها في سبيل وفق فيه كل التوفيق اول الامر ، فلما لم يظفر بانكلترا ، ثم حارب روسيا .. كان ذلك اول امارات الفشل المنتظر ، وكان من الصعب عليه ، الا اذا وفق لاخضاع روسيا ، ان يحتفظ بانتصاراته الاولى الى النهاية .

بولونيا في الميدان

ولما بدات الحرب ، لم يكن باستطاعة انكلترا وفرنسا ان تمدا او تساعدا بولونيا في كثير او قليل ، كان كل ما يمكنهما عمله اعلان الحرب على المانيا ، وحشد الجيوش في الساحة الغربية ، ثم انتظار الفرصة المناسبة وارتقاب نتيجة المعركة الدائرة بين الالمان والبولونيين .

ولم تكن نتيجة هذه المعركة بعيدة ، ولا كان ارتقابها طويلا ، فقد ادارت المانيا فيها المعركة على هواها ، واجراها اركان القيادة العليا وفاقا لخططهم المقررة ، كان الزحف سريعا ، وكان الهجوم ساحقا ،وكان التدمير تاما ، وكان الفشل سريعا ..

وكانت المعركة من القوة والهول بحيث ادهشت نتائجها العالم اذ لم يكن اعظم المتشائمين يظن انها لن تطول الى اكثر من أيام معدودات ، وان دولة تعد ثلاثة وثلاثين مليونا من الانفس تسقط الى الارض في اسبوعين ..

وكان اكثر ما ادهش العالم تمكن الالمان رغم المقاومة العنيفة من الوصول الى حصون العاصمة وارسو بعد اسبوع من هجومهم ، وبعد اسبوع ثان كان كل شيء قد انتهى .. وكان الجيش الالماني ، لما هاجمت روسيا بولونيا بدورها ، يحارب فلولا من البولونيين لا جيشا منظما ، ولا قوات عسكرية تستطيع الصمود او الدفاع .

ويجب ان نذكر في الوقت نفسه انه رغم القوة الهائلة التي هاجمت بولونيا .. فقد استطاعت هذه الدولة ان تقف في وجه الالمان ، مثل الوقت الذي وقفت فيه فرنسا امامهم في الربيع القادم .

القوة الالمانية

حشد الالمان لسحق بولونيا ٧٣ فرقة ، منها اربع عشرة فرقة مدرعة ، واربعة الاف طائرة ، والاف الدبابات والسيارات المدرعة ..

واما البولونيون فقد وضعوا قدام الالمان ٣٥ فرقة من المشاة و١٤ كتيبة من الفرسان ، والف طائرة ، وفرقة مدرعة واحدة ..

هذه هي الارقام التي اعلنوا عنها في اميركا وانكلترا وبلاد الحلفاء الاخرى ، ولكن الواقع ان البولونيين قد حشدوا اضعاف هذه القوة ، وكان الشعب كله معهم يناصرهم ويؤيدهم ، ويحارب معهم ، وقد جرت المعركة في بلادهم ، وكانوا يؤمنون كل الايمان بانهم يستطيعون الصمود اشهرا ريثما يتمكن الحلفاء من انقاذهم ، او ارسال المدد لنصرتهم ومعاونتهم ، او القيام بهجوم في الجبهة الغربية يجبر الالمان على تخفيف الضغط عن الجيش البولوني بنقل عدد كبير من جنوده من الشرق الى الغرب .

ولكن الالمان لم يكونوا يؤمنون بهذه النظرية ، ولا كانوا يعتقدون ان الحرب سوف تطول اكثر من ايام معدودات ، ذلك انهم كانوا يعرفون قوتهم، ويعلمون عن قوة خصومهم الشيء الكثير ، وكانوا الى هذا قد اتخذوا كل احتياطاتهم ، لحرب قصيرة ، ظنا منهم انهم متى قضوا على فرنسا ، وسيطروا على اوروبا اصبح امر انكلترا هينا ، وقد ينتهي الامر الى اتفاق بينهما فيقتسمان العالم وينتهي كل خلاف .

ولكن الناحية الوحيدة التي اغفلتها السياسة الالمانية هي اخلاص موسكو لها كل الاخلاص ، فقد كانت موسكو تنظر الى هذه المغامرة والى هذه الحرب العنيفة،نظرة خاصة ، كانت تريدها حربا تضعف فيها دول اوروبا بما فيها المانيا طبعا ، حتى اذا ازف الوقت ، وسقط الجميع الى الارض من كثرة الاعياء ، والجراحات ، فرضت سلطانها ، واملت ارادتها، وكان لها ما تريده على اهون سبيل وايسره ..

ولذلك يصح ان نقول ان الاتفاق الالماني الروسي لم يكن اتفاقا صادقا بكل ما في الكلمة من معنى، فقد كانت لالمانيا اغراضها في روسيا —

وهذا امر لا شك فيه — وكان للروس اغراضهم ومصالحهم في البلقان ووسط اوروبا ، وهذا أيضا لا شك فيه ، وكان كل منهما يعمل لكسب الوقت ، وكانت روسيا ضعيفة الرغبة في اجابة المطالب الالمانية فيما يتعلق بالحبوب والبترول والاخشاب وغيرها ، لانه لم يكن من مصلحتها كما قدمنا ان تظفر المانيا كل الظفر ، او ان تنتصر كل الانتصار ، كانت تريد انتصارها وسطا ، وظفرها متواضعا،بحيث لا تصل الى اغراضها الا وهي تعبة قد فقدت اكثر سلاحها وخيرة جنودها ، وهذا الموقف يفسر لنا ما كان يقوله القواد الالمان دائما وابدا ، في دفاعهم عن موقفهم ازاء موسكو ، من انهم لو لم يهاجموا روسيا لهاجمتهم روسيا ..

العبقرية العسكرية

يجمع من ارخوا للحرب الحاضرة على ان الخطط الالمانية لغزو بولونيا قد نظمت ببراعة وبعد نظر وعبقرية، فقد خصصت القيادة الالمانية العليا ثلاثة جيوش للزحف على وارسو العاصمة ، واحد من بروسيا الشرقية واخر من (بولونيا)، وثالث من جنوب المانيا بقيادة الجنرال فون رونشدت ...

ولما بدا الزحف لم يكن بمقدور القوات البولونية ان تقف في وجه هذا الهجوم الساحق القوي الحاسم الذي استعملت فيه دفعة واحدة ، وفي وقت واحد ، جميع الاسلحة من طائرات ومدافع ودبابات ، وسيارات مسلحة، ومشاة ، واشتركت فيه كل هذه القوى على منوال واسع جدا ، وتحت قيادة واحدة ..

امام هذه القوة العسكرية الميكانيكية التي لم يشاهد مثلها التاريخ انهارت كل وسائل الدفاع البولونية واخترقت القوات الالمانية كل وسائل الدفاع القائمة على الحدود ، واخذت تطحن الجيش البولوني طحنا ..

ويقول النقاد الحربيون للمعارك الاولى : « انه لما بدا الالمان هجومهم ومزقوا خطوط الدفاع البولونية الاولى على طول الحدود البولونية الالمانية بدا الالمان يطحنون البولونيين كما يطحن المرء البيضة بعد استوائها التام في الماء الحار ...

« وبعد ان تسلل الالمان من الحدود،وتركوها خلفهم ومشوا في الارض البولونية لم يجدوا امامهم قوة محترمة تستطيع مناهضتهم او مقاومتهم او صدهم ».

وليس ينكر النقاد العسكريون على البولونيين مـا اظهروه من المقاومة والمهارة في المدافعـة عن حدودهم ، ولكن هذه المقاومة لم تكن مجدية ولا مفيدة ، لان الهجوم الالماني كـان من القوة والهول ، بحيث كـان يصعب على البولونيين الوقوف تجاهه او صده ، وكان الالمان قد استعملوا كما قدمنا جميع اسلحتهم في هجومهم . فبعـد ان شنت الطائرات غاراتها الهدامة المدمرة على مختلف وسائل الدفاع ودكتهـا دكـا ، وبعـد ان قامت المدافع المختلفة بواجبها ، تقدمت الدبابـات وتبعتهـا السيارات المصفحـة تنقـل الجنـود المشاة الى الارض المحتلة بينمـا كان المظليون ينزلون خلف جيش العـدو ، للاستيلاء على الجسور وانشاء المراكز الدفاعيـة تأمينا لمواصلات الجيش الالمانـي وسرعـة تقدمـه . . .

ولعل من اعجب ما ادهش النقاد ، ان البولونيين لم يستعدوا لاقامـة خطوط تعصمهم من عدوهم خلف الخطوط الاولى التي أقاموها على الحدود، كمـا فعل الالمان مثلا في الحرب العالميـة الاولى يوم فشلوا في الوصول الى باريس ، وارتدوا بعد معركة المارن الى خطوط جديدة اقاموها في الارض الفرنسية ، بحيث لم يتمكـن الحلفاء من اقتلاعهم منها الا في اخر الحرب . .

ولا يزال سر هذا النقص مجهولا حتى الان ، وكان من اسبابه ان اضطر البولونيون بعـد ان اخترق الالمان الحدود ، ان يتراجعوا الى المدن المختلفـة، حيث حاصرهم الالمان فيهـا وقضوا عليهم جيشا جيشا . وفرقـة فرقة .

وقد يكـون السبب ان البولونيين لم يكونوا ينعمون بعدد كاف مـن الاسلحـة المختلفة يمكنهم من انشاء خطوط جديدة للدفاع او الهجوم . .

وساعدت الطبيعـة الالمان كمـا يظهر ، فبدلا من ان تمطـر السماء الارض بوابل يجعل الطرق مليئـة بالوحول كـان المطر مـن القلة بحيـث ظلت الطرق على حالهـا ، فتمكنت القوات الميكانيكية من الانتقـال عليهـا بسرعـة مخيفـة . .

ومن الحق ان نقول ان الالمان لم يستعملوا في هذه المعركة قواتهم الجبارة فحسب ، وانمـا استعملوا ايضـا حسن الادارة ، والفن العسكري الذيـن اوصلوه الى أعلى درجاته ، فلم يكـن المشاة في هذه الحرب اسياد الموقف كمـا كانـوا في الحروب الماضيـة ، وانمـا كـان اليوم ، يوم القـــوات الميكانيكيـة التي برهنت عن اثرهـا وتأثيرهـا ، والتي ادارت الحرب على هواها ، والتي فتحت امام المشاة كل مرافق البلاد ، بعد ان قضت هي بنفسها وبمساعدة الطائرات على تجمعات العدو وخنادقه ، وارغمته على التراجع الى الوراء تاركـا كثيرا مـن ذخائره وسلاحه . .

اول الاعمـال

وكان من اول اعمال الالمان ولما بدأت المعركة في صباح اليوم الاول من شهـر أيلول سنة ١٩٩ ، أن أغار السلاح الجوي الالماني على كافة المراكـز العسكريـة البولونية ، ورماها بوابل من قنابله ومفرقعاته ، وحصر الالمان جل اهتمامهم في المطارات البولونية ، فهاجموها بعنف ، وقضوا في الجولـة الاولى على كثير مـن طائرات العدو وهي لا تزال جاثمة على الارض ، فلمـا انتهوا من هذا كان الالمان قد سيطروا على الجـو سيطرة تامة ، وان كانوا في الواقع يسيطرون على الجو قبل المعركة ، ولكن هذه الهجمات مكنتهم من القضاء على كثير من طائرات العدو وحظائر الطائرات والمطارات بحيث لم تبق هنـاك من حاجـة الى التفكير بالسلاح الجوي البولوني الذي اصبـح اسمـا لغيـر مسمـى . .

وبعـد ان تم لهم هذا ، عمدوا الى نقل جنودهم بسرعـة هائلة دون ما خوف من الطائرات البولونية التي اصبحت ضعيفة الاثر عديمة الفائـدة . . كمـا انصرفت الطائرات الالمانية بعدها الى مهاجمة الجيوش البولونيـة لتمنع البولونيين من التجمع ونقل جنودهم من مكـان الى آخر بسرعة ، قد تؤثر في تقدم الجيش الالمانـي الزاحف .

ويذكر احد الصحفيين الاميركان ممن رافقـوا الحملة الالمانيـة ، ان سيطرة الالمان على الجـو كانت قويـة حاسمة ، لدرجة انهم لما أحتلوا مدينة (لودز) مثلا ، تركـوا أنوارها مضاءة في الليل مع ان البولونيين كانـوا لا يزالون على مقربة منها ، بينمـا كانت المدن الالمانية نفسها في ظلام دامس ، لان خطـر السلاح الجوي البولوني أصبح من الضعف بحيث لا يخشى شره، ولا يـرى أثـره .

النظـام الرائـع

ويؤكد النقاد انه بعـد أن سيطر الالمان على الجو ، بدأت مجموعـات هائلة من الدبابات والسيارات المصفحة ، والمدافع الضخمة تتقدم مسرعـة في الطرق البولونية ، وكان عليهـا ان تقضي على كل مقاومة بولونية تجدها في طريقها ، وقد حاول البولونيون في بعض الحالات ، انشاء الخنادق ، في مراكز دفاعيـة جديدة ، ولكـن هذه المراكز ما كانت لتقوى على الوقوف تجاه المدافع الالمانية ، التي كانت تدكهـا دكـا وتسحقها سحقا . .

وقد ظهر للمراقبين العسكريين ان البولونيين قد حاربوا الالمان بخطط خليقة بجيوش القرن الثامن عشر ، ولكن هذا لا يعني انهم لم يحاربوا فقد حاربوا فعلا ، وقاوموا بوطنية رائعة ، ولكن هذه التضحيات كانت عديمة الجدوى امام الفن الالماني ..

واذا نظرنا الى هذه الحرب من جهة عسكرية بحتة نستطيع ان نقول بصراحة ، ان الجيش الالماني الزاحف كان في الدرجة الاولى من الكمال والنظام ، كان يتحرك كالساعة ، دونما سرعة زائدة ، وبطريقة معتدلة ... مئات الالوف من الجنود وآلاف الدبابات والسيارات المصفحة ، كانت تتقدم في طرق بولونيا كأنما هي تسير الى حفلة استعراض عظيمة ،وكان الجيش يتحرك بدقة متناهية فقد كانت الطرقات البولونية مليئةبالاعتدة الحربية والسيارات المسرعة ، والدبابات الزاحفة ، وكلها تسير بنظام عجيب ودقة رائعة ، فلا صدام ولا اصطدام ،كانما الجميع يسيرون في شارع كبير من شوارع برلين ..
وكانت الاغذية والامدادات تصل من المانيا عبر الحدود البولونية بمثل الدقة التي كان يزحف فيها الجيش ، واذا ما دمرت طائرات القتال الالمانية جسرا اصلحه الالمان حالا بينما كانت القوات البولونية تتراجع بصورة غير منتظمة .. على طرق قد دمرها عدوها ، وجسور قد هدمها سلاحه الجوي .. وليس عندها الوقت الكافي لاصلاحها ..

وفي الثامن من شهر ايلول، كان فون روتشتدت قد اصبح على أبواب العاصمة البولونية ، وبدأت مدافعه في قذف خطوط الدفاع القائمة حولها ، وبعد أيام كان الجيشان الالمانيان اللذان زحفا من الشمال قد اتصلا ، وطوقا مائة وسبعين الف جندي بولوني في (كوتنو) التيتبعد مائة ميل عن العاصمة وارسو وقضوا عليهم ..

وبعد ان قطع الالمان نهر (نارو) اصبحت العاصمة مطوقة من جميع اطرافها ، وقد انقطع عنها المدد والماء والكهرباء ، ومع انها قاومت الى اخر الشهر ثم سلمت اخيرا بعد دفاع كبير ، الا ان معركة بولونيا نفسها كانت قد انتهت في منتصف الشهر لما تمكن الالمان من تدمير الجيش البولوني ولم يبق امامهم الا استيلاء على المدن التي لم يبق من يدافع عنها ..

والواقع ان بولونيا كانت قد انهارت كدولة عسكرية تستطيع المقاومة والدفاع لما أشرف شهر ايلول على منتصفه ، فقد كان المان قد تمكنوا

من تدمير السلاح الجوي البولوني كله ، وظفروا بتمزيق الجيش البولوني، الا اقله ، وانقلبت الحرب من المعارك المنظمة الى حرب عصابات مهما طالت ... فلن تطول اكثر من ايام قلية .. ومع ذلك ، وفي هذه الايام الجاهمة تحركت روسيا في السابع عشر من الشهر ، وارسلت جنودها عبر الحدود البولونية للحصول على نصيبها من الغنيمة التي تم الاتفاق عليها بينها وبين المانيا في ميثاق عدم الاعتداء الذي عقد بين الدولتين ..



معارك الجو

٢

الهدوء يسود اوروبا بعد معركة بولونيا

حـرب غريبـة !

لعل من أغرب مظاهر الحرب العالمية الثانية موقف الحلفاء ــ انكلترا وفرنسا ــ بعد ان اقتحم الجيش الالماني بولونيا ، وبدأ بعصفهـا بسلاحه الجوي ، وفرقه المدرعة ، حتى مزّق جيشها وشتته في ايام معدودات ..

ففي هذه الاثناء، وبينمـا كان البولونيون يدافعون دفاع المستميت عن ارضهم واستقلالهم لم تحرك فرنسا ولا انكلترا اصبعا لنجدتهم ..

لم تحلق طائرة انكليزيـة ولا فرنسية فوق المراكز الالمانية لتقذفهـا بالقنابـل ..

ولا قام الجيش الفرنسي بهجوم مركز على الخطوط الالمانية ..

لقد تحركت بعض طائرات الحلفاء وحلقت في اجواء المانيا لالقاء بعض المناشير ، وتحركت بعض الكتائب الفرنسية الصغيرة فأغارت على حـدود المانيـا بحذر شديد في جهات السار ، واحتلت بعض القرى الصغيرة القليلة، ثم جثمت في مكانهـا لا تتقدم ولا تحاول ان تثيرها حربا ، تجبر القيـادة الالمانيـة على نقل بعض قواتهـا من الجبهـة البولونية الى الجبهة الغربية، للوقوف في وجه القوات الفرنسيـة المغيرة ..

واما الالمان فلم يلقـوا بالا لهذه الحركات العسكرية الصغيرة ، بل انهم في بعض الحالات تركـوا الفرنسيين يتقدمون قليلا فـي السار ، دون ان

يحاولوا ردهم أو الوقوف في وجههم موقف المقاتل ..

حتى اذا انتهت معركة بولونيا ، وتم تقسيم هذه الدولة بيـن المانيـا وروسيـا السوفيتية ، واطمأن الالمان الى حدودهم الشرقية ، بدأوا بنقـل جنودهم الى حدود فرنسا ، وما عتموا ودون ما كثير من العنـاء ان ردوا الفرنسيين عن الاراضي التي احتلوها ، ثم جثموا بدورهـم في مكانهـم ،لا يتقدمـون نحو فرنسا ، ولا يحاولون معها حربا ولا خصامـا ..

هذه الحالة الشاذة التي دامت شهورا كانت من اغرب مظاهر الحـرب العالميـة الثانيـة ، حتى لقد حار النقـاد العسكريون في تأويلها وشرحها .. تفسيرها من الناحيـة الالمانيـة كان سهلا واضحا صريحا ..

فلم يكن من رأي قيادة الجيش الالماني أن تحارب في جبهتين .. ولا كـان مـن الحكمـة العسكريـة اتخاذ هذه الخطـة ..

ولهذا وقفت موقف المتفرج امـام الحدود الفرنسية ، ريثما تنتهي من بولونيـا ..

فلمـا انتهت بانتصارها التام ، كان عليها ، ان تجمع الذخائر الحربيـة التي حصلت عليهـا في بولونيـا وكان عليهـا ان تدرس الخطط التي أجرتها في هذه الحرب ، لتعرف مدى ما اسدته الى الحركات العسكرية من فوائـد وانتصـارات ..

وهو مـا عمدت فعـلا الى درسه وبحثه ..

فقد اخذ قوادها العسكريون يدرسون مدى نجاح القوات المدرعة وفرق الدبابات في معركـة بولونيا ، وأي نوع مـن هذه الفرق كان اجدى وانفـع في التقدم، واسرع في الوصول الى الاهداف المطلوبة ..

ثم ان المانيا بعد انتصارها في بولونيا كانت تتوقع تسوية مرضيـة شريفـة مع انكلترا وفرنسا ..

لقـد انتهت بولونيا .. ولم تستطع الدولتان مساعدتهـا حتـى ولا بطائـرة عسكريـة واحدة ..

فلمـاذا الحرب بعـد ذلـك ..؟

ولايـة غاية يريد الحلفاء ان يركبوا رؤوسهم ويمضوا في هذه الحرب، بعـد انتصار الجيش الالماني وبعـد ان اصبح امام جبهة واحدة ، هي الجبهة الغربية ، التي يستطيع منهـا تسديد ضرباته العسكريـة المقبلة الى جيوش الدولتيـن ..

وفي هذه الاثناء وبينما كان الالمان ينتظرون فرصة سانحة لاعادة الاتصالات مع انكلترا وفرنسا لوقف الحرب ، وتسوية المشاكل التي نجمت عن انهيار بولونيا ، كان قواد حرب الجيش الالماني يعيدون تنظيم جيشهم ، ويصلحون ما تعطل من سلاحهم ، ويصنعون انواعا من الدبابات جديدة ، اثبتت حرب بولونيا انها اصلح للحرب والقتال من بعض الدبابات الصغيرة والفرق المدرعة التي استعملوها وخاضوا الحرب بها ..

موقف فرنسا

اما موقف فرنسا فهو من اغرب المواقف في هذه الحرب اثناء المعركة البولونية ..

لقد اعتمدت على حصون ماجينو ، واستقرت خلفها .. ظنا منها انها امنع من ان تقتحم ، وان باستطاعتها رد اي هجوم الماني من وراء هذه الحصون القوية الصلبة ..

ولكن الالمان كانوا قد اقاموا حصون سيغفريد تجاه هذه الحصون الفرنسية ، لتعصمهم بدورهم من هجمات الجيش الفرنسي..

والذي يبدو ان حصون سيغفريد لم تكن بمثل مناعة الحصون الفرنسية ..

فقد كتب الجنرال الالماني فون مالنتين الذي عين لقيادة احدى الفرق الالمانية في الجبهة الغربية والذي زار هذه الحصون ليتفقد مناعتها يقول :

« اغتنمت هذه الفرصة وزرت هذه الحصون مستكشفا فاحصا ، فوجدتها أضعف مما كنت اتصور أن تكون ..

« لقد كانت عبارة عن دعاية اكثر منها حصونا قوية يستطيع جيش الاعتماد عليها والوقوف خلفها ..

« وعندئذ ادركت هول المغامرة البولونية التي قمنا بها .. وكيف انها كانت عبارة عن لعبة من القمار ، لو حزم الفرنسيون امرهم وهاجموا هذه الحصون بكل قوتهم لتمكنوا منها وافسدوا علينا حربنا فيبولونيا..

« حتى الجنود الذين كانوا يحمون هذه الحصون ، كانوا جنودا من الدرجة الثانية ينقصهم الكثير من المران والتدريب » .

واما الكاتب برنارد فرغسون ، فقد وصف هذا الجو وصفا دقيقا

احاط فيه بالروح التي كانت تسيطر على الناس والجنود معا .. فقال :

« لقد كان لسان حال الجميع جنودا ومدنيين ، دعونا نعيش ويعيش الاخرون ...

« هذا ما كان عليه نظر الناس الذين كانوا في السار هذا العهد من الحرب ..

« وسبب ذلك ان العشرين سنة التي تقطعت بعد الحرب العالمية الاولى قد عودّت الناس على الحياة الهادئة وحب السلام ، وكره الحرب والقتال والموت ..

« حتى أن بعضهم كانوا يقولون وينادون بعدم مهاجمة الالمان وتركهم وشانهم ، ما داموا لا يريدون بنا شرا ولا ضرا ..

« وحتى انه لما تقدمت قوة المانية صغيرةواحتلت احدىالقرىالفرنسية، عدّ الفرنسيون هذا العمل بعيدا عن الذوق ، وطريقا خشنا لا يجب ان يسلكه احد منهم .. أو يحاول تقليد الالمان فيه .. »

واذا كانت الجبهة الحربية هادئة كما وصفنا ، فقد كانما خلفها مليئا بالحركة والنشاط ..

كانت المصانع في فرنسا والمانيا تستورد حاجاتها من المواد الاولية بواسطة الدول المحايدة كالبلجيك ولوكسمبورغ ..

وقد استغل (هتلر) هذه الفترة من الهدوء لبذر الشقاق والخلاف بين فرنسا وانكلترا .. فالقى في السادس من شهر تشرين الاول خطابا في (دانتزيغ) دعا فيه الى الصلح والسلام ، بعد ان انتهت معركة بولونيا ، وتم الاتفاق بين روسيا والمانيا ، على ان لا يعتدي احد منهما على الاخر، وان يترك له الحلفاء أوروبا لا يتدخلون في شؤونها وسياستها ، بعد ان فشلت سياستهم فيها ، وفشلوا في اقامة اتحاد ضده من دولها ..

وطبعا رفض الحلفاء نداءه ، وقرروا المضي في الحرب .. ولو على النحو البارد الذي وصفنا ، ريثما ينتهون من استعداداتهم ، التي تمكنهم من القيام بهجوم ضده ..

امام عناد الحلفاء ، قرر هتلر المضي في سياسته الحربية وتنفيذ خطط الهجوم في الساحة الغربية ، حتى يقضي على كل امل لانكلترا في ان تكون لها قدم في اوروبا .. ثقة منه انه ان ظفر بذلك ، ظفر ببريطانيا ،

واجبرها على قبول شرطه .. واذا تم له ذلك ظفر باوروبا وسيطر على مصائرها ومقدراتها ..

واذا كان الحلفاء قد لزموا الصمت فيما يتعلق بالحركات الحربية والعسكرية ، فانهم لم يقفوا موقف المتفرج في الميادين الاخرى ..

أثاروا الدنيا خصوصا اميركا على ديكتاتورية هتلر وسياسته العسكرية التي تهدد السلام العالمي ..

حاولوا المستحيل لحمل موسوليني على الوقوف على الحياد..

ارسلت انكلترا الى فرنسا قوة مؤلفة من مائة وستين الف جندي ، لمساعدة الجيش الفرنسي .. دون ان يقوم هذا العدد الكبير من الجنود باية حركة عسكرية .. مفضلين الوقوف موقف الدفاع ..

كما فرضوا الحصار البحري على المانيا ، ومنعوا وصول المعدات والاغذية اليها بحرا .. وان كانوا على ثقة من ان روسيا وايطاليا واسبانيا والبلاد السكندنافية والبلقان سوف تمد هتلر بما يحتاجه من هذه المواد ، ولكنهم كانوا يعتقدون ان ما يصل اليه لن يكفيه ، وانه سوف يحس بالحبل يشتد حول عنقه ..

ولكن هتلر امام هذا الموقف من الحلفاء لم يقف موقف المتفرج ، وقرر تمزيق هذا الطوق الذي يحاولون ضربه حوله ..

وبدأ على الاثر اركان حربه في اعداد خططهم لغزو فرنسا والبلاد المجاورة لالمانيا ...

بولونيا تستنجد

استصرخت بولونيا في اثناء المعركة .. فرنسا وانكلترا لمساعدتها .. فلبى الفرنسيون نداءها ، واخذوا يهاجمون المراكز الامامية الالمانية في السار .. على قدر وبشيء كثير من الحذر والاحتراس كما قدمنا ..

ولم يقابل الالمان الهجوم بمثله .. اخذوا يتراجعون رويدا رويدا حتى وصلوا الى حصون سيغفريد فاعتصموا فيها ، وتركوا الفرنسيين يحتلون عددا من القرى الالمانية الواقعة على الحدود ، بعد ان تكبدوا بعض الخسائر بسبب الالغام الكثيرة التي بثها الالمان في الارض وهم يتراجعون ..

وفي التاسع من شهر ايلول أبرقت رئاسة اركان حرب الجيش البولوني تقول :

« ان الالمان يهاجمون بولونيا بقوة عظيمة وان القوات المهاجمة تقدر بخمسين فرقة ، بينها خمس عشرة فرقة مدرعة .. ولهذا فان الحاجة تدعو الى التخفيف عن بولونيا بالقيام بهجوم قوي في الساحة الغربية على الخطوط الالمانية .. »

وفي العاشر من شهر ايلول ارسل القائد العام للجيش البولوني (ريدز سيمغلي) برقية الى فرنسا يطلب فيها الاسراع بنجدته ، فأجابه الجنرال غاملين القائد العام للجيش الفرنسي يقول في رسالة يبدو عليها التردد والضعف :

« يبدو اننا سوف نخوض حرب مواقع امام عدو منظم محصن ، ولكني لست املك حتى هذه الساعة المدفعية اللازمة للقيام بعمل على نطاق واسع ومع ذلك فقد بدات بمهاجمة المواقع الالمانية ولست استطيع في الوقت الحاضر عمل شيء اكثر مما فعلت حتى الان » .

ولم تجرأ الحكومة الفرنسية في هذا الوقت على استعمال طيرانها ضد الالمان حتى ولا على نطاق ضيق .. فبعد الهجوم الجوي الذي قام به الالمان على المطارات البولونية ، اخذت القيادة الفرنسية تخشى رد السلاح الجوي الالماني المنظم على مطاراتها ، قبل ان تتمكن من تحصينها وحمايتها بالمدافع المضادة للطائرات التي كانت قليلة العدد عند الفرنسيين ، كما كانت تخشى غارات الالمان على المدن والمراكز العسكرية مما يكون له اسوأ التأثير في المعنويات الفرنسية ..

وفي الثاني عشر من شهر ايلول احتج رئيس اللجنة البولونية في فرنسا على جمود الطيران الحليف ، وعدم قيامه بحركة ضد الالمان ، وفي اليوم نفسه اجتمع المستر شمبرلن الى المسيو دلاديه رئيس وزراء فرنسا في (ايفل) ونصحه بالحذر وعدم المغامرة .. ذلك ان الطيران الانكليزي في هذه الفترة لم يكن يقوم بضرب المدن الالمانية ، مكتفيا بالقاء المنشورات المعادية للنازية عليها ..

وفي الليلة نفسها اصدر غاملان اوامره الى الجيش الفرنسي الذي كان يهاجم الحدود الالمانية بالتوقف ، بحجة ان هذا الهجوم لن يقدم ولا يؤخر في مصاير بولونيا ..

وكذلك توقف القتال في السار ، ترك الحلفاء بولونيا لمصيرها المرعب ..

وفي الرابع عشر من شهر تشرين الاول ، اصدر غاملين أمره الى

الجيش الفرنسي الذي كان قد احتل بعض الاراضي الالمانية الالمانية بالتراجع الى حصون ماجينو .. وفي السادس عشر ، عاد الالمان فاستعادوا الارض التي تراجعوا عنها ، وهدأت الجبهة بعد ذلك .. وعم الهدوء ارضها وسماءها ..

وطالت هذه الحالة عدة اشهر ، حتى ان الجيش الانكليزي لم يفقد في هذه الاشهر كلها غير ستة من جنوده البالغ عددهم مائة وستين الف جندي .. بحيث ذهب الناس الى الظن بانهم ليسوا في حالة حرب ابدا، وحتى اخذت الصحف تقول :

« ان المدنيين في المدن اخذوا يحسدون الجنود على هذا النعيم ، حيث يصرفون نهارهم عابثين لاعبين ، وان الاخبار التي تأتي من الجبهة تقول ان احدا من الجنود لم يطلق رصاصة واحدة من بندقيته خلال الاشهر التي تقطعت .. وان بعض وحدات الجيش تصرف وقتها في تجهيز الالبسة للسكان المدنيين المهددين بخطر الغارات الجوية ..»

دعوة للسلم

كان الجنرال غاملين القائد العام للجيش الفرنسي قد عين قائدا عاما للقوات الحليفة في فرنسا ، ولم يكن هذا القائد بالتأكيد كفوءا للوظيفة التي عين لها ، ولا كان من بعد النظر بحيث يتفهم تطور الحرب الحديثة، فقد اعلن فيما اعلن عند هجوم الالمان على بولونيا ، ان بولونيا سوف تقف في وجه الجيش الالماني شهورا ، ريثما يكون الحلفاء اتموا استعدادهم وبداوا هجومهم ،ثم كذبته الايام فلم يقو البولونيون على الوقوف اسبوعين لا شهرا واحدا ..

وكان يعتقد الى هذا ان حصون ماجينو لا تقهر ، وانه لن يتمكن الالمان من خرقها ، وانه سيتركهم يهاجمونها حتى يهلكوا ويتمزقوا ، ثم دار الالمان لما بداوا هجومهم حول هذه الحصون ، فلم تقف فرنسا كلها في وجههم اكثر من اسبوعين ..

وكان هتلر في الوقت نفسه وبعد ان انتهت معركة بولونيا قد دعا خصومه الى الصلح والتفاهم ، ولكن الدولتين اصرتا على القتال حتى النفس الاخير ، وعندئذ بدا الالمان يدرسون اخصر الطرق لكسب الحرب قبل فوات الاوان ..

كانوا يعلمون ان امتداد الحرب سوف يتعبهم ويفنيهم ، وان اعداءهم هم الغانمون من طول الحرب وامتدادها ، ولهذا فقد كان من مصلحتهم انهاءها باقصر ما يكون من الوقت ..

واذا كانت الحالة في الجبهة الغربية هادئة ساكنة ، فقد كانت الحالة خلفها صاخبة مريعة .. ذلك ان الاستعدادات العسكرية للجولة المقبلة كانت تقوم على قدم وساق في المانيا فيما كان الحلفاء ينعمون بالراحة، ويظنون انها سوف تطول ..

وكان شتاء سنة ١٩٩ ـ ١٩٤٠ ، قاسيا مرعبا في الجبهة .. وقد ساعد هذا على هدوء الحالة .. وجمود كل شيء ..

وكان الفرنسيون يقفون خلف حصون ماجينو ، فيما كان الالمان يراقبونهم من خلف حصون سيغفريد .. حتى لظن بعض المراقبين العسكريين ، ان الحرب الثانية ستسير على خطوات الحرب الماضية ،وانها ستظل جامدة حتى يعكرها احد الخصمين بترك مراكزه لمنازلة عدوه ..

واما الدرس الذي كان يجب ان يتعلمه كل انسان من معركة بولونيا فقد زال مع الايام من الاذهان ، وحلت محله الطمأنينة ، وعدم توقع اي مفاجأة جديدة سريعة ..

حتى المعارك الجوية لم يظهر لها اثر ، ولا بان لها خبر . وكان الانكليز الذين صرفوا الشهور العديدة في تحصين مطاراتهم ، واخلاء المدن الآهلة بالسكان من النساء والاطفال قد وجدوا لدهشتهم ان السماء رائعة هادئة ، لا تعكرها طائرة عدوة ، ولا قنبلة قاتلة ..

لقد اكتفى الالمان والفرنسيون على الجبهة الغربية بارسال طائراتهم للتصوير والاستكشاف ، وقنع الانكليز بارسال طائراتهم الى المانيا لالقاء النشرات المعادية للنازية ..

واما المدن الكبيرة في انكلترا وفرنسا والمانيا ، فانها لم تتعرض لهجوم جوي ساحق ، كما حدث لوارسوا في بولونيا ..

وقد بدا للمعلقين العسكريين ان الحرب الجوية لن تبدأ الا بعد ان يتم الالمان استعدادتهم ، هذا من جانب الالمان ، واما من جانب الحلفاء فقد كانوا ينتظرون حركة من الالمان ليبداوا حركاتهم وهجومهم .
وفي كل هذه الاستكشافات الجوية طيلة الاشهر الستة التي تلت

معركة بولونيا ، لم يفقد أحد الطرفين غير عدد قليل من الطائرات لا يذكر ولا يغني ..

المعركة في البحر

واما في البحر فكان الامر على خلاف ذلك ..

لقد اخذ كل من الجانبين عند بدء الحرب يحاول تحطيم قوة خصمه البحرية ، واغراق سفنه التجارية ايان وجدها ،بعد ان ضربت انكلترا الحصار على المرافىء الالمانية .. فلم تسمح لسفينة تجارية بالوصول اليها .. وهو ما حصل في الحرب العالمية تماما . وقد اغرقت المانيا الباخرة التجارية الانكليزية (اثينا) في اليوم الاول للحرب ، وكان هذا اول انذار للعالم كله بان المانيا بدورها ستفرض الحصار على المرافىء الانكليزية ، وان كل باخرة تحاول نقل البضائع اليها ، سوف تتعرض للغرق ..

وبدات الغواصات الالمانية تجوب البحار ..

وكانت (الكوريجس) وهي من حاملات الطائرات اول ضحايا الاسطول الانكليزي ، فقد غرقت في السابع عشر من ايلول ، وفي الرابع عشر من شهر تشرين الاول ، تمكنت غواصة المانية بعمل بطولي نادر من الدخول الى حوض السفن في (سكابافلو) المحصن تحصينا قويا ، واغراق المدرعة (رويال اوك)وهي من قطع الاسطول الانكليزي الكبيرة ...

وما انتهت سنة ١٩٣٩ حتى بلغت خسائر الحلفاء في السفن من بحرية وتجارية ، ثلاثة ارباع المليون من الاطنان ! ..

وكانت البحرية الانكليزية تعلق اهتماما عظيما على طرادات الجيب الالمانية .. التي تذكر العالم بقصة الطراد الالماني(امدن) في الحرب العالمية الاولى ، وكيف اخذ يسطو على السفن التجارية في البحار ، ويغرق ما صادفه في طريقه منها ..

وكان طراد الجيب الالماني (ادميرال غراف سبي) اول ما ظهر من هذه القرصان – كما يسميها الحلفاء – في عرض البحر ، حيث اغرق بعض السفن التجارية الحليفة ، قبل ان تتمكن ثلاث من السفن الانكليزية من مطاردته ، واصابته ، واجباره على الالتجاء الى (مونتيفيديو) ، حيث صدر الامر من برلين الى قائده باغراقه .. حتى لا يتمكن الحلفاء من اسره والافادة منه ..

ومع ان الحصار البحري الذي فرضه الحلفاء على المانيا كان شديدا ، فانه لم يكن ليؤثر عليها التأثير المطلوب، ولا كان باستطاعته ان يحد من قوتها البحرية بعد ان جهزت المانيا نفسها الى امد محدود بكل ما تحتاجه لهذه الحرب ، ولم يكن ينقصها غير البترول الذي استعاضت عنه بالبترول الاصطناعي ، والذي اخذت تستورده من كل بلد في اوروبا، كما كان باستطاعتها ان تستورد بعض ما تحتاجه من روسيا السوفياتية ،ومن الدول المجاورة لها ..

وليس هناك شك طبعا في ان الحلفاء من حيث المواد الاولية ، كانوا اكثر حظا من المانيا ، فقد كانت البحار كلها مفتوحة امامهم ، وكانت اميركا تمدّهم بالسلاح والاغذية .. وكل ما يحتاجونه لحربهم وبقائهم..

ولعل اهم حادث وقع في هذه الفترة هو تعديل تشمبرلن لوزارته، وضم المستر ونستون تشرشل اليها وتكليفه بوزارة البحرية .. وكان انضمام تشرشل الى الوزارة ، وهو المعروف بمعارضته الشديدة لسياسة هتلر ، يعني انقطاع كل امل بالتفاهم بين الحلفاء والمانيا ..

وحدث في فرنسا تبدل وزاري ايضا .. فقد استقال (دالاديه) في شهر مارس من سنة ١٩٤٠ ،وحل محله المسيو بول رينو ، الذي كان وزيرا للمالية في وزارته ...

موقف روسيا واستعدادها

وليس هناك شك في ان احدا من الصديقين الجديدين هتلر وستالين، لم يكن يشعر بثقة نحو الاخر .. ولهذا راحت روسيا تعمل بنشاط عظيم في تحصين حدودها الجديدة على الارض البولونية التي استولت عليها بالاتفاق مع المانيا ، وتوطيد مركزها في البحر البلطيكي ..

وكان اول ما فعلته ان طلبت من دويلات هذا البحر ، منحها بعض الامتيازات الاقتصادية والبحرية ، واجابتها الدويلات المذكورة الى مطالبها.

ففي التاسع والعشرين من شهر ايلول وقعت (استونيا) معاهدة مع روسيا لتبادل المساعدة ، وقدمت لها عددا من القواعد البحرية والجوية، وسمحت (ليتفيا) او (ليتونيا) و(ليتوانيا) في اول تشرين الاول ، بان ترابط الحاميات العسكرية الروسية في نقط معينة داخل حدودها ..

فلما انتهت روسيا من هذا ، تقدمت الى فنلندا ، ببعض المطالب .. ومن بينها التنازل عن بعض الجزر في خليج فنلدا ، وميناء (بتسامو) ..

وهو الميناء الوحيد في المنطقة المتجمدة الشمالية ، الذي لا يتجمد ماؤه خلال شهور الشتاء .. وكذلك التنازل لها عن النصف الشمالي لبرزخ كاروليان ، الواقع بين بحيرة (لادوغا) ..وخليج فنلندا ..

ورفضت فنلندا هذه المطالب ، وقامت روسيا بمهاجمتها .. ووقفت فنلندا الصغيرة ، ترد العدوان الروسي القوي ، ووقف العالم مدهوشا معجبا بالبسالة النادرة التي ابداها الفنلنديون بالمدافعة عن ارضهم ،مدى اربعة أشهر ..

واخيرا اضطرت هذه الدولة الصغيرة الى القاء سلاحها ، في اوائل مارس سنة ١٩٤٠ ، وعقدت صلحا مع روسيا احتفظت فيه باستقلالها، بعد ان اكرهت على التنازل عن بعض الاراضي الواقعة على حدودها الشرقية، وعن جزيرة (هانغو) الاستراتيجية ... وبعد اشهر قليلة استولت روسيا على دويلات البلطيق الثلاث ، وانتزعت ولاية (بساربيا) من رومانيا، وبذلك اتمت نظامها الدفاعي الذي كانت تعمل له ،خوفا من الخطر الالماني .. الذي كان يجب ان تحسب له حسابا ..

الحرب الصامتة

وكذلك مضت الحرب الصامتة الهادئة على النحو الذي وصفنا .. لتنتهي فجأة على نحو مثير فريد ..

ذلك ان المانيا كانت بحاجة ملحة الى الحديد الخام من السويد ، وكانوا يجلبون هذه المادة اللازمة للصناعة الحربية خلال شهور الشتاء ، وحينما يقفل الجليد ثغور بحر البلطيق ، من ميناء (نارفيك) النروجي ، وكان من المفروض طبعا ان تحاول بريطانيا حمل النرويج على وقف نقل الحديد الى المانيا من مياهها الاقليمية ، وسد هذا الطريق البحري في وجه السفن الالمانية ..

كان الهدوء يسود الجبهة الغربية واوروبا كما قدمنا طيلة هذه الاشهر التي تقطعت بعد معركة بولونيا ، ولكن الذين كانوا يعرفون العقلية الالمانية والتنظيم الالماني كانوا يعلمون ان الالمان كانوا يأخذون عدتهم للمعركة المقبلة ، ولكن الالمان ارادوا كما يظهر .. وقبل ان يوجهوا ضربتهم الى فرنسا ان يشغلوا الناس والحلفاء بالاستيلاء على الدانمارك ونروج اولا ، ليعلم العالم بان الحلفاء لا يستطيعون شيئا لمعاونة الدول الصغيرة

ورد العدوان عنها ثانيا ، فلما انتهى هتلر من ذلك كانت الضربة الصاعقة ضد فرنسا وانكلترا والبلجيك وهولندا دفعة واحدة .. ولكن هتلر كان يقصد في الوقت نفسه عندما هاجم هولندا والبلجيك الى حمل الحلفاء على ارسال قواتهم الى الشمال حتى يخلو الجو للقيادة العسكرية الالمانية فتضرب ضربتها في فرنسا باتجاه الاردين بحيث يتمكن الجيش الالماني من تطويق الفرق التي اسرعت لنجد البلجيك من جيوش الحلفاء ..

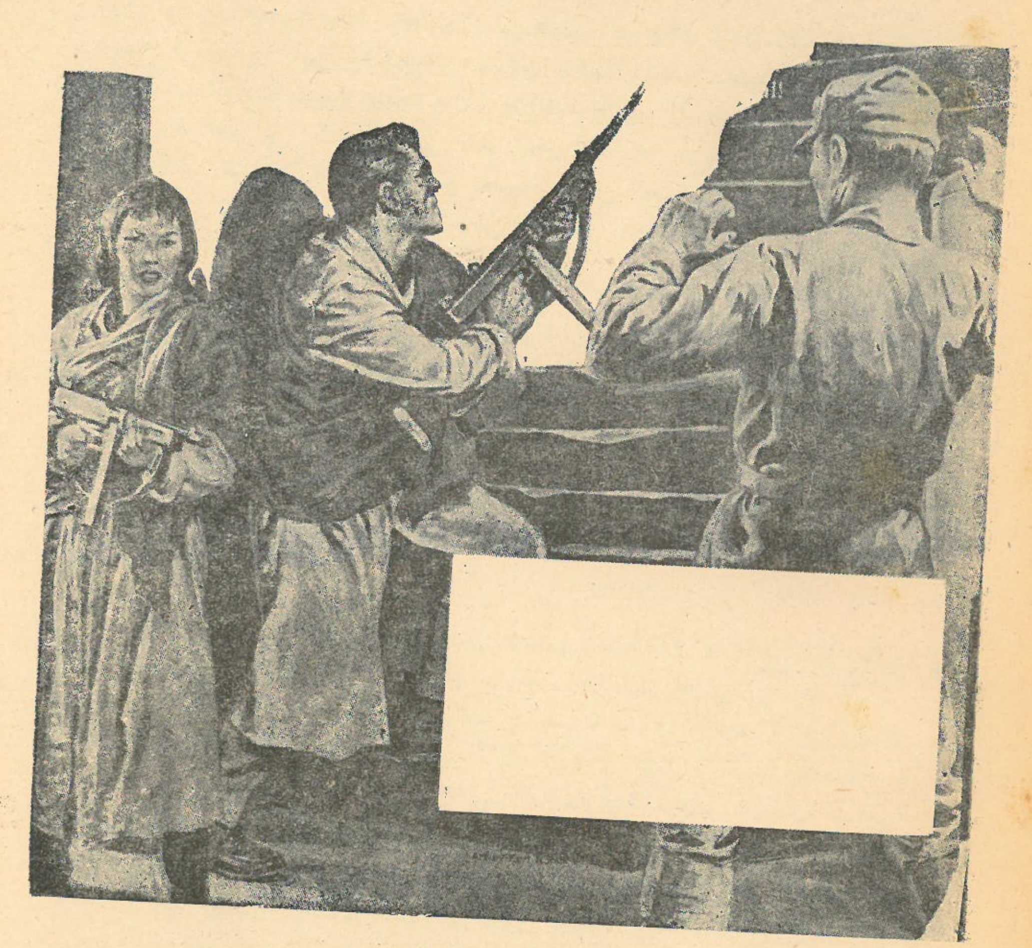
ومع ان القوات الالمانية الزاحفة اذا قيست بقوات الحلفاء لم تكن لتزيدها كثيرا جدا .. لان الزيادة في الواقع لم تكن اكثر من ٢ الى واحد، ولكن الحرب الحاضرة قد اثبتت ان المشاة ليسوا كل الجيش ، وليسوا اساس الحرب ، فان هناك القوات المدرعة ، وهذه القوات هي التي ثبتت دعائم النصر ، ومكنت الفاتحين من السيطرة على المعركة .. في هذه الحرب الجديدة ..

وهي الى هذا كانت تفوق قوات الحلفاء التي تماثلها بما يقارب الخمسة الى الواحد ..

واقبل اليوم الثامن من شهر نيسان سنة ١٩٤٠ ، هادئا رطبا كعادته ، ولم يكن احد من سكان نروج والدنمارك يظن ان هذا اليوم سيكون فصل الخطاب في مصيرهم لسنوات بعدها ، فلما اقبل الليل نشط الطابور الخامس للعمل ، وكانت البواخر الالمانية المليئة بالاسلحة موجودة في محلات معينة من المرافىء الدانماركية ، فلما أزفت ساعة العمل ، ظهر ان الخطة الالمانية كانت من الاحكام والتنسيق والسرعة بالمكان الارفع ، وما هي الا ساعات حتى استولى هتلر على الدانمارك ، وتمكن من مرافئها ومدنها قبل ان يفيق الناس من ذهولهم ..

وكان الامر مثل ذلك في نروج ... فقد اقبلت الطائرات الالمانية في الليل تحمل الجند والسلاح الى مطار اوسلو لمساعدة الطابور الخامس من سكانها ، كل موجة تحمل ثلاثة الاف من جنود الصاعقة ، وبين الموجة والثانية ثلاث دقائق فقط ، فلما اشرف النهار كانت المدينة في ايدي الالمان ..

وفي الوقت نفسه كان الالمان قد نزلوا في مرافىء المدن النروجية الاخرى بمساعدة جماعة من اهلها ، وفي اقل من اسبوع كان الالمان قد استولوا على اكثر نروج . ومع ان الحلفاء ارسلوا بعض سفنهم وجنودهم



القتال ضد اليابانيين

لنصرة النروجيين ، وانزلوا بعض قواتهم في مرفأ (نارفيك) .. فان المعركة كانت قد انتهت لانه كان بمقدور هتلر ان يرسل الى نروج من جنوده اضعاف ما يرسله الحلفاء لنجدتها ، كما انه في الوقت الذي كانت تدور فيه هذه المعارك الصغيرة في هذا المرفأ النروجي النائي بين قوات الالمان وجنود الحلفاء ، كان هتلر في مساء التاسع والعاشر من شهر مارس قد أمر قواته باحتلال بلجيكا وهولندا ..

٣

المعارك في السماء والارض
كيف سقطت بلجيكا ودهش الحلفاء
وكيف انهارت فرنسا بعد ذلك

المعارك الاولى

اذا كان الحلفاء لم يتكلفوا خسارة تذكر في المناوشات التي جرت بينهم وبين الالمان حتى الايام الاولى من شهر مايس سنة ١٩٤٠ . فقد كان عليهم بعد هذا التاريخ ، ان يحشدوا جميع قواتهم للمعركة المقبلة .. وهي معركة لم يكونوا قد استعدوا لها ، ولا كانوا قد اتخذوا لها ما تحتاجه من الاهبة والاسلحة ، الا اذا كانت اسلحة سنة ١٩١٤ ،وعقلية الحرب العالمية الاولى ، ستكون سلاحهم ورائدهم ..

ولقد استقبل الجنرال غاملان القائد الاعلى للقوات الفرنسية المعركة بعقلية الحرب العالمية الاولى ، وذهب به الخيال الى الظن بأنها ستكون حرب خنادق وحصون لا حرب حركة ، ولكن الهجمات الاولى التي قام بها الالمان على هولندا وبلجيكا وفرنسا دفعة واحدة اظهرت بجلاء ان هذه المعركة ستكون الحاسمة ، وانها ستقرر مصير فرنسا واوروبا في السنوات المقبلة ، ولقد بدأ الزحف بهجوم قوي فظيع من السلاح الجوي الالماني وقامت الطائرات الالمانية بضرب المرافىء والحصون والجسور ، وطرق المواصلات ومراكز التموين والجيوش مدى ثمانية واربعين ساعة ،وبدأ

الزحف باجتياز نهر الموز وقنال البر بالقرب من (لياج) المدينة البلجيكية المحصنة ، كما ان الهجوم الالماني على هولندا قد اهاب بالحلفاء الى الظن بان الالمان قد عدلوا خطط شليفن الحربية القديمة التي استعملوها في الحرب العالمية الاولى ، ولكن الالمان في الحقيقة كانوا قد عدلوا هذه الخطط لتوافق طريقتهم الحربية الجديدة ، وليفرضوا على الحلفاء توزيع جيوشهم بطريقة تساعد القيادة الالمانية العليا ..

وهو ما وقع فعلا .. فقد أسرعت قوات الحلفاء لمساعدة بلجيكا كما زحفت قوات منهم لمساعدة هولندا عبر البلجيك ، وفي الوقت الذي كانت فيه قوات ألمانية تسحق المقاومة في هاتين الدولتين ، كانت قوات ألمانية اخرى قد اجتازت الارض الفرنسية نفسها نحو الاردين ونحو سيدان ، ولكن الحلفاء ما عتموا بعد ساعات .. ان عرفوا ان لا فائدة من انقاذ هولندا ، ذلك انها لم تكن تستطيع المقاومة ريثما تصل اليها النجدة المنتظرة .. لان الخطة الالمانية كانت من الاحكام والبراعة بحيث لم تدع سبيلا للمقاومة . فقد اجرى الالمان حرب الصاعقة على الوجه الاكمل .. وفي الوقت الذي كانت فيه جيوشهم تخترق حدود هولندا ، كانت قوات المظليين تنزل في مطار نوتردام ، وعلى الجسور المهمة ذات المراكز الحربية العظيمة .. بحيث أصبح الجيش الهولندي بين نارين ، نار الالماني الزاحف من الحدود ، ونار المظليين الذين أصبحوا خلفه ، واخذوا يهددون طرق تموينه ومراكز دفاعه .. ويؤكد الهولنديون ان الايام الاربعة التي تقطعت بين الهجوم والتسليم كانت من أشد ايامهم هولا وخوفا .. فلما اصبح اليوم الرابع عشر من الشهر ، لم يبق امام هذه القوة الا التسليم .. وقد فعلت ..

سقوط بلجيكا

وبينما كان الحلفاء يعتمدون على لياج وحصونها لوقف الزحف الالماني اعتراهم الذعر لما سقط أعظم حصون لياج (بن امال) في اربع وعشرين ساعة ، واخذ البعض يتحدثون عن سلاح الماني جديد لاخضاع الحصون القوية ، والواقع انه لم يكن هناك من اختراع جديد ، كل ما في الامر ان الالمان درسوا خططهم الحربية بما عرف عنهم من النظام والدقة ، فبنوا نماذج للحصون البلجيكية في المانيا وراحوا يدربون جيوشهم على اقتحامها فلما ازفت الساعة ، كان كل فريق من هؤلاء الجنود قد اخذ مكانه للقيام بالعمل المخصص له ..

وكان اول ما قام به الالمان لما بداوا هجومهم ان انزلوا قوات من المظليين خلف حصون (بن امال) قبل المساء ، وكلفوهم نسف الحصون من الخلف ، بكميات من الديناميت والقنابل المدمرة ، ولما احست الحامية بالخطر ، ونشطت للمقاومة ، كانت القوات الالمانية من المشاة قد قطعت نهر الموز واصبحت قبالة الحصن المذكور ، بينما كانت (الستوكا) تقذف بقية الحصون بقنابلها لاسكاتها ، وهذا دليل صغير على دقة الالمان ودراستهم لكل صغيرة وكبيرة من وسائل الدفاع عند خصومهم ، وهو ما لم يفطن له الحلفاء الذين صرفوا الاشهر التي تقطعت بين معركة بولونيا ومعركة فرنسا في الاستسلام لمتانة حصون ماجينو ..

خطأ في التقدير

يقول (بول رينو) رئيس وزراء فرنسا يصف المعارك :

« كان من المنتظر في الاوساط العسكرية ان تطول معركة فرنسا اسابيع او شهورا على الاقل ، ولكن شيئا من هذا لم يحصل ، فقد استغرقت هذه المعركة من الوقت ، مثل ما استغرقته معركة بولونيا ، مع وجود الفارق العظيم بين قوتي الدولتين العسكرية والمالية ، ومع كون فرنسا تنعم بامبراطورية اقل ما يقال فيها انها أضعاف أضعاف بولونيا في عدد السكان والثروة ، والقوة والمنعة ، ومع وجود الاسطول الفرنسي الذي كان رابع اسطول في العالم ..

« ومهما حاول المؤرخون تعليل الاسباب التي ادت لانهيار فرنسا ، فانهم لا يعدون ما ذهبنا اليه سابقا .. وهو ان الفرنسيين او القيادة الفرنسية بصورة خاصة ، لم يدركوا التطور العظيم الذي طرأ على الفن العسكري بعد الحرب العالمية الاولى ، وظنوا ان الحرب الجديدة ستكون حرب حصون وخنادق وناموا على هذه النظريات الخاطئة ، فلما اخذتهم الحرب الصاعقة بغتة ، كان كل شيء قد انتهى ، وكان الجيش قد تمزق ، والحصون قد دكت ، والبلاد قد احتلت ..

« وكما ذهب الاميركان في صناعاتهم ولسنوات خلت الى وضع العامل في المحل الموافق لمزاجه واستعداده وشخصيته ، في مختلف اعمالهم التجارية ، اقرّ الالمان هذه الخطة في الفن العسكري ، فوضعوا كل جندي في مكانه ، فهذا للهجوم وآخر للدفاع ، وثالث للطائرات ورابع لاستعمال الاسلحة الميكانيكية ، وقد اجرى الالمان هذا التقسيم الى غاياته ، حتى

صيروه في المقدمة من اهتمامهم ، وزادوا فوق هذا ان بثوا في جنودهم روح التضحية ، واكبروا عندهم حب الوطن ، وافهموهم انهم انما يدافعون عن استقلالهم ضد العدو الذي يريد استعبادهم وقهرهم ..

« **واذا اضفنا الى هذا توحيد القيادة العامة لمختلف الاسلحة في البر والجو والبحر ، وقعنا على الاسباب الاولى التي مكنت للالمان من انتصاراتهم الساحقة ، وتقدمهم السريع .. »**

وليس هنا مجال التبسط في الدقة المتناهية التي نظم الالمان فيها هجومهم على فرنسا ، ولا في حسن تقسيم قواتهم ، التي بلغت عند بدء الهجوم على هولندا وبلجيكا وفرنسا ستة جيوش ، مؤلفة بأجمعها من ١٩٠ فرقة كان اولها يقصد امستردام ، وسادسها يمشي نحو سيدان .. ولا في الحيلة التي اتبعها الالمان فحملوا الحلفاء على ارسال بعض قواتهم الى بلجيكا لانقاذها ، بينما كانت قوات المانية اخرى تمشي نحو فرنسا ، فان هذا كله مما سبقت الاشارة اليه ، كل ما يهمنا الآن هو وصف هذه الايام الجاهمة التي مرت على فرنسا في غمرة هذه الحرب ، بقلم رئيس وزرائها المسيو بول رينو الذي أفرد لهذا البحث فصولا خاصة في مذكراته ، التي حاول فيها تبرير موقفه ، واتهام خصومه ـ بيتان ولافال ـ مع الاعتراف بأن فرنسا لم تكن في حالة عسكرية حسنة ، ولا كانت تستطيع مجابهة الخطر الالماني بصورة جدية ..

الهجوم

« بدات المعركة ، او بدا الهجوم في صباح اليوم العاشر من ايار ١٩٤٠ دون ما سابق انذار ، وبدات القوات المصفحة الالمانية ، تزحف على حدود ثلاث دول دفعة واحدة ..

وكانت الخطة الالمانية كما يقول « رينو » حمل فرنسا وانكلترا على ارسال قواتهم بسرعة لانقاذ بلجيكا ، فتقع جميع هذه القوى في الفخ الذي نصب لها ، بينما كانت قوات اخرى المانية تزحف نحو فرنسا ، وتعمل على تطويق القوات المتحالفة فيها ..

ولما علم « رينو » من السفير البلجيكي في الساعة الثانية من صباح اليوم العاشر من شهر ايار بزحف الجيش الالماني ، بدا الفرنسيون بارسال قواتهم الى بلجيكا مساعدة لها ، وتثبيتا لمعنوياتها ، دون ان يخطر لاحد في

ذلك الوقت ان بلجيكا لا تستطيع الصمود اياما ، وان انقاذها امر سابق لاوانه ..

ولما بدات المعركة ، وبرزت الخطة الالمانية جلية ظاهرة اخذ الحلفاء يعملون المستحيل ليتمكنوا من الوقوف في مكان ما ، يستطيعون فيه تنظيم صفوفهم ، وتوطيد مراكزهم ومجابهة عدوهم بكل ما عندهم من السلاح والرجال ، ولكن الالمان لم يمكنوها من شيء من هذا ، ولا كان في الخطة الالمانية مثل هذه الفكرة ، فقد كانت القيادة الالمانية ترسل قواتها الميكانيكية ودباباتها العديدة لتقسيم جيش العدو المؤلف من المشاة الى اقسام عديدة ليتمكن المشاة الزاحفون خلف الدبابات وخلف الطائرات من القضاء عليه بسهولة ..

وكان جيشا « هونتزيجر » و « كوراب » .. يرابطان على طول نهر الموت وفرعه شبير .. كما نقل جيش جيرو الى ما وراء انفرس ليرابط هناك كجيش احتياطي بعد ان ارسلت السيارات في اتجاه ـ بريدا ـ عملا باتفاق سابق مع السلطات الهولندية ـ وذلك للالتقاء بالجنود الهولنديين المرتدين من مستنقعات بيل ..

وكان الهولنديون قد سمعوا ان القوات البلجيكية بدات تجلو عن قناة البرت ، ولهذا لم يقاوموا في المستنقعات بعد ان كنا نأمل ان يستطيعوا المقاومة مدة يومين او ثلاثة ، لا سيما انهم اقاموا عدة استحكامات في هذه المنطقة ، كما أعدوا كمية من المفرقعات لنسف المنشئات قبل جلائهم عنها ..

ثم ان الجنود الهولنديين لم ينسحبوا الى (بريدا) ، بل ارتدوا الى شمالي نهر الموز كما انهم لم يتمكنوا من الحيلولة دون استيلاء القوات الالمانية على جبل مايسنك .

وقد قاوم الهولنديون ١٠٠ ساعة فقط ، ثم استسلموا بعد ذلك خوفا على مدنهم من ان يدمرها الالمان ..

وقد ترتب على انسحاب القوات الهولندية ان اضحت الفرقة التي ارسلها الجنرال جيرو الفرنسي الى منطقة بريدا ، تواجه وحدها فرقة من قوات البانزر ـ القوات المصفحة ـ تؤيدها طائرات الانقضاض الالمانية ووحدات الطلائع التابعة لفرقة أخرى ، وهكذا اضطر جيش جيرو الى الارتداد الى انفرس ..

القوات البلجيكية

وخاب املنا في القوات البلجيكية ايضا فقد كانت القيادة الفرنسية تعتمد عليهـا في وقف الزحف الالماني بضعة ايام ، ولكن البلجيكيين لم يصمدوا في خطهم على قنـاة البرت ، لان الالمان هاجموا بلجيكا غيلة واستطاعت قواتهم التي انزلتهـا الطائرات ان تحتل الجسر المقام تجاه ما يسبريخت .

ونجح الالمان في الاستيلاء على الجسر بالرغم من ان مدافع قلعة بن امال الواقعة شمالي لياج كانت تحميه ، ولكـن القلعة لم تصمد في وجه قنابل الطائـرات الالمانية كمـا ان جنود الطائرات نسفوا برجها ومراكزها الحصينة فأصبحت عديمة الاثر بعد ان جردت من — العيون — التي يضرب المدافعون الهدف من خلالهـــا ..

وعبرت فرقتان من قوات البانزر تتبعها فرقة من المشاة الذين تحملهم السيارات في قناة البرت . ويلوح ان الجيش البلجيكي لم يقم بمنـــاورة واحدة لوقف زحف جنود العدو في اثناء ارتداده .. بل واصل الارتـداد دون توقف .

المأساة الثالثة

وكانت الخطة الموضوعة التي اتفق عليها ، ان تضع القـوات البلجيكية نفسهـا تحت تصرف القيادة الفرنسية في ساحة القتال التي يرتد اليهـا البلجيكيون ، وان يواصلوا القتال هناك كما تقتضي الحالة ..

ولكن الذي حدث ان الجزء الاكبر من القوات البلجيكية المرابطة في خط لييج — ارلو . .عبرت الخطوط الفرنسية دون ان تشترك في القتال ..

وكان طبيعيا ان يوجه الجنرال بلانشار انتقادا مرا الى القوات البلجيكية التي اخفقت في تأييد قواتــه .

الثغرات الثلاث

كنا نعلم .. ان حوادث التاريخ والمواقع الجغرافية الخاصة ببلادنـا وجاراتها تساعد الجيش الالماني على شن الهجوم عبر ممرات ثـلاث وهـي: السهل البلجيكي بين نافوز والدايل ومقاطعة دنيان ومنطقة سيدان ..

وكنا نعرف ان الالمان حشدوا سبع فرق من قوات الصاعقة الميكانيكية حذاء الممرين الاخيرين ، وبناء على هذا كـان علينا ان نتخذ قرارين :اولهمـا

اغلاق الممرات الثلاثة ولا سيمـا الاخير منهـا بحشد كبير من خيرة القوات تعززها المدفعيــة المضادة للطائرات والدبابات ، وثانيهمـا : حشد فرق قوية من الاحتياطي وراء دنيان وسيدان ..

وصدرت الاوامر الى جيش كوراب بالدفاع عـن الممر الاول ،و كان من الامور الهامة ان تختار القوات التي عهد اليها بالدفاع عـن ممر دينان مـن خيرة الجنود ، وان تصل في الموعد المناسب ، ولكـن الذي حدث هو انهذه الاجراءات لم تنفذ ، اذ ان القيادة لم ترسل عددا كافيـا من الجنود ولم تكن الروح المعنويـة عند الذين ارسلوا عاليـة فقد ارسلت هذه القوات مـن الفرق الاحتياطيـة ، وكانت المدافع المضادة للطائرات والدبابات التيزودت بهـا ناقصـة الاستعداد فضلا عن انها قديمة .

ولم تصل القوات في الوقت المناسب لاحتلال مواقع نهر الموز الـذي عبره جنـود العدو بدون صعوبة في نقط تقع شمالي دانيال وجنوبها ..

ممـر سيـدان

حشدت ثلاث فرق من قوات الاحتياطي للدفاع عن سيدان ، وكانـت الفرقة الاولى التي رابطت عند الجناح الايسر من جيش الجنرال كوراب ، وكانت الفرقتان الاخريان من جيش الجنرال هونتزيجر .

وقد عرف الجميع وقتئذ ان هذه الفرق الثلاث تتألف من شيوخ قوات الاحتياطي الذيـن سلحوا تسليحا رديئا ، كـما انهـم لم يـزودوا بضباط خبيرين بشؤون الحرب والى جانب ذلك كانت روحهم المعنوية في حالـة محزنـة حقـا ..

وكانت مهمـة هذه الفرق — وهي اسوأ قـوات الجيش الفرنسي — الاحتفاظ بسيدان التي تعد بمثابة بوابة فرنسا .. بينمـا حشد الى الجنوب ٦٣ فرقة من الجيش العامل .

وكان ان انهارت فرق الاحتياطي الثلاث في سيدان بعد ان فوجىء رجالها بنوع من الحرب لا يعرفونه ، بل لم يتخيلوه في يوم من الايام ..

ارتداد البلجيكيين

وفي صباح يوم ١٩ مايس ارسل الجنرال هونتزيجر عددا من الفرسان من سيـدان الى مونتميدي عبر منطقـة الاردين البلجيكية على اثر فراغهـا

من عمليات النسف والتدمير التي عهد بها اليها ..

ولكن البلجيكيين لم ينتظروا فصائل الفرسان التي ارسلناها ،بل حدث ان ارتدت الفرقتان البلجيكيتان – من رماة الاردين – وفرقتا الفرسان الاخريان في اتجاه نامور .. وتركت الباب مفتوحا لجنود العدو ..

وفي ١٣ مايس كان الجنرال غاملان مجتمعا بالجنرال جورج في لافيرت .. عندما افادت الانباء بأن قوات العدو بدأت هجومها على سيدان وما بعد سيدان ..

ويومئذ قال الجنرال غاملان انه يجب علينا ان نقاتل الى النهاية في هذه المواقع التي اختيرت باتفاق قيادات الحلفاء ..

وفي ١٣ مايس تقلد المستر ونستون تشرشل رئاسة الوزارة الانكليزية خلفا للمستر تشمبرلن الذي استقال ، وصرح المستر تشرشل في مجلس النواب الفرنسي قائلا :

« ليس لدي ما اقدمه سوى الدماء ، والتعب والدموع والعرق ..»

قال مستر تشرشل ذلك بالرغم من الانباء الواردة التي كانت تقول ان الف دبابة فرنسية قذفت الى المعمعة لوقف الزحف الالماني الجارف ثم استطرد يقول :

– سنقاتل بكل قوانا ، واذا ما تساءل احد .. ما هو الهدف الذي نبغي تحقيقه ؟

قلت : انه النصر ، النصر بأي ثمن .. والنصر بالرغم من جميع الاهوال التي سنواجهها ..!

الكارثة

وفي سيدان بدأت الكارثة تنزل بنا ، وقد قيل لنا اننا انشأنا جيشا دفاعيا .. ولكن اين اسلحة هذا الجيش ، واين حقول الالغام التي كان يجب ان توقف العدو او على الاقل تبطيء زحفه .. واين المقاتلات التي كان يجب ان تسقط طائرات الانقضاض الالمانية .. واين المدافع المضادة للدبابات والطائرات لاسقاط قاذفات القنابل وطائرات الانقضاض الالمانية .. اين كل هذا ؟..

وقد سجل شهود العيان ان روح الفرقتين اللتين كانتا تخوضان المعركة ساعتئذ كانت منحطة ، وعزا بعضهم هذه الحالة الى تفشي الشيوعية بين هؤلاء الجنود كما صرحوا قبل بدء الهجوم بان جنود هاتين الفرقتين لم يتلقوا التدريب الواجب ،وان عددا كبيرا منهم لم يكونوا يحبون ضباطهم ..

ولما وقع الهجوم قيل ان هناك من شاهد الجنود وهم يرتدون خوذاتهم، وقد بدت مقدمة الخوذة في المؤخرة ،وسرعان ما قالوا لبعضهم : لقد وصل الالمان لينقذ نفسه من يستطيع ذلك !..

لكنه يجب على الباحث ان يقدر جيدا عنصر المفاجأة التي نزلت بهؤلاء الجنود على اثر مشاهداتهم طائرات الانقضاض الالمانية وفرق البانزر لاول مرة ..

وقد صرح عدد كبير من جنودنا بانه لما لم تكن لديهم اية مقاتلات ، فان طائرات الانقضاض الالمانية اخذت تقذفهم بقنابلها بنفس السهولة التي يطلق بها الصياد الماهر رصاص بندقيته على قطيع من الارانب ..



ريبنتروب وزير خارجية المانيا مع (بول رينو)

خلف النار

والواقع ان العامل الذي ترك اعظم الاثر في هزيمتنا هو « حملة الهمس » التي كانت ترمي الى اضعاف فرنسا في عزمها على القتال ،اذ سمعنا من يهمس في بعض الدوائر همسا بلغ الى حد القول : ان هتلر خير من ستالين !...

وفي دوائر اخرى : لماذا نموت من اجل دانتزيغ ؟

واخيـرا اضعفت الفكرة السائدة بأن القتال سيدور في التحصينات المبنيـة من الاسمنت المسلح .. مزايـا جيشنا العسكرية ..
ثم يجب ان لا ننسى ان الجيش الفرنسي كان يواجه قائدا عنيدا عرف كيف يدرب شبانه المقاتلين على الفناء وهم يخوضون غمار المعمعة ..
ويجب ايضا ان لا ننكر ان قلة عدد طائراتنا ، تلك القلة التي اعترف بها الجميع واستنكروها .. كانت فضيحة عظيمة ..
وبين مساء يوم ١٤ مايس ومساء اليوم التالي اخترق الالمان جبهتنا في سيـدان وجيفيه ودينـان ..

تعديل في القيـادة

وفي اليوم ذاته قضى المسيو دلاديه والجنرال غاملين فترة الصبـاح في مقـر قيادة الجنرال جورج ..
وفي اثناء هذا الاجتماع دق التليفون .. وكان المتحدث الجنرال بيللو قائد الجيوش المتحالفـة في بلجيكا وقد طلب من جورج عزل كوراب مـن قيادته وتعيين جيرو خلفـا لـه ..
ولما وصل الجنرال جيرو ليتسلم زمـام قيادة جيش كوراب الـذي بدأ يتبخر .. اسره الالمان ..
وعلى اثر ذلك اقترح جورج على الجنرال غاملين عزل هونتزيجر من قيادته بعد ان اقتحمت الجبهـة في سيدان ، ولكن غاملين لم يوافـق قائـلا : ان هونتزيجر كفء .. وبعد ايام صدق حكم غاملين ، فقد استطاع هونتزيجر ان يحرز نصرا عظيمـا بانقاذ قواته ..
وفي الشمال ـ في المنطقـة الواقعـة وراء الدايل ـ لم يهاجم الالمان القوات البلجيكية المحتشدة هناك .كما انهم لم يشتبكوا بالقـوات البريطانيـة ولكنهم ، شنـوا هجومـا كبيـرا على جيش الجنرال بلانشار بين الدايـل ونامـور ..
وكانت هذه القوات الاخيرة من طراز اخر غير طراز قوات كوراب ..لانها اختيرت من صفوف الجيش النظامي العامل كمـا كانت روح الجنود المعنوية رائعـة ..
وصمدت قوات بلانشار في وجه هجوم العدو ، ولكن لما صدرت الاوامر بالارتداد العام سحب بلانشار قواته الى المنطقة الانكليزية فعمت الفوضـى الساحـة كلهـا .

الخطط الاولـى

يقول الجنرال غودريان قائد الفرق المصفحة التي اقتحمت بولونيـا، وسحقت قوا تفرنسا ، في كتابه الشهيـر عن الفرق المدرعة :
« كانت القيادة العليـا للجيش الالماني تريد تنفيذ خطة شيلفن المشهورة .. التـي صار اقرارها في الحرب العامة الماضية ، ولكن بعـد تعـديلها ، والباسها ثوبا جديدا .. ولكنني والجنرال مانستين ، كنا نعارض هذه الفكرة ونحاول اقرار خطـة جديدة ، على ضوء النجاح الباهر الذي احرزناه فـي معركـة بولونيـا ..

فقد ثبت في هذه المعركة بمـا لا يـدع مجالا للشـك ، ان الفـرق المدرعة الخفيفة ، تستطيع قلب الاوضاع ، ونقل الحرب من جو الى جـو .. وانهـا تظفر بالنصر اخر الامر ، وتسيطر على ميدان القتال ..
ولما اجتمعت الى ما نستين في شهر تشرين الثاني من سنـة ١٩٣٩ ، واخذنـا باطراف الحديث حول الهجوم الجديد الذي كنـا نستعد له فـي الجبهـة الغربيـة شرح لـي خطته التي تتركز في هجوم تقوم به الدبابات والفرق المدرعـة .. في جنوب بلجيكـا ولوكسمبورغ نحـو (سيدان) في فرنسا .. واختراق حصون ماجينو في هذه المنطقـة .. وشطـر الجيش الفرنسي الى شطرين .. ثم سألني رايي في خطته كقائد اخصائي في حـرب الدبابات والفرق المدرعـة ..

وبعد دراسة الخرائط...واستعادة ما اعرفه من الذاكرة، عـن هذه الارض التي خضت المعارك فيهـا ، اثناء الحرب العالمية الاولى .. ايـدت الجنرال مانستيـن في رايه ،وقلت له ان خطته سوف تنجح بالتأكيد .. ولكني اشترطت شرطـا واحدا وهو استخدام اكبر عدد ممكن من الدبابات، والفرق المدرعـة في هذه المعركـة ..

ولكن القيادة الالمانيـة العليـا لـم توافق على هذه الخطة .. فقـد كانت تريد الاحتفاظ بدباباتها الجديدة ، فلا تدفعها في معركة واحدة دفعة واحدة .. ولكـن القدر لعب لعبته في هذه الفترة .. فسقط طيار المانـي كان يحمل تفاصيل خطـة شليفن معه ، بأيـدي السلطات البلجيكية . ولـم تتأكـد القيـادة العليـا فيمـا اذا كان الطيار المذكور قد احرق اوراقه ام لم يفعل ، ممـا اضطرهـا والحالة هذه ، الى الغاء خطـة شليفن ،والاعتماد على خطـة مانستين وخطتي ..

لقد كانت الخطة التي ايدناها تقوم على اندفاع القوات المصفحة الالمانية نحو نهر (الموز) .. بالقرب من (سيدان) ، وقطع هذا النهر ... وكان وجه الخلاف بيننا وبين القيادة . . فيما اذا كان باستطاعة القوات المدرعة قطع النهر بدون مساعدة المشاة .. وكان رأي القيادة ان تصل القوات المدرعة الى الموز ، وتقف عنده ، ريثما تصلها الامدادات من المشاة، وتبدأ المرحلة الثانية من الهجوم ..

وبعد جدل كثير ، ومناقشات ، ومناورات .. تم الاتفاق على ان تقوم قواتي المدرعة ببدء الهجوم ، وان تتقدم غيرها من القوات الاخرى ... وجعلوا تحت قيادتي الفرقة الاولى والثانية والعاشرة المدرعة .. فاخذت على الاثر اعيد تنظيم قواتي وجنودي ، وانا واثق من النصر . . كما ضموا الي فرقة من المشاة ، لمساعدتي في هجومي هذا ..

واما السبب الذي حمل الجنرال غودريان على الايمان بفعالية الفرق المدرعة ، فهو ما شاهده من ظهور الدبابات عند الحلفاء في الجبهة الغربية سنة ١٩١٦ ، وكيف تمكن الحلفاء بواسطتها من اختراق الاستحكامات والخنادق الالمانية ..

وكيف ان الحلفاء في معاهدة (فرساي) حظروا على المانيا استعمال الدبابات او انتاجها ، مما أكد له قوتها واثرها في الحرب ، فراح يدرس اثرها وما يمكن ان يفيده الالمان منها ..

وكان من نتائج الدراسات التي قام بها ، والتعديلات التي صار ادخالها على هذا السلاح الجديد ، الذي سبقت به المانيا غيرها من الحكومات الاخرى ، ان اصبح الجنرال غودريان على مثل اليقين من نجاح خطته وظفره في معركته ..

واما الحلفاء فمع انهم افادوا كثيرا من الدبابات في معركة سنة ١٩١٨ ، التي غلبوا بها المانيا ، فانهم لم يعيروها اهتمامهم بعد الحرب ، ومضوا يعتقدون ان الحرب سوف تظل حرب مراكز واستحكامات وخنادق لا حرب حركة وتقدم سريع ..

ولقد كانت فرنسا تنعم باكبر قوة عسكرية من المشاة في اوروبا ... وبأكبر قوة من الدبابات ايضا ، وكان عدد القوات المدرعة الفرنسية والانكليزية في الجبهة سنة ١٩٤٠ يقارب الاربعة الاف دبابة ، فيما لم يكن لدينا اكثر من ٢٨٠٠ دبابة ، اشترك في الهجوم منها ٢٢٠٠ .. واذن

فقد كان العدو يفوقنا عددا ، وكانت دباباته اقوى من دباباتنا .. وان كان ما لدينا منها اكثر سرعة وحركة ..

ولكن القيادة الفرنسية لم تدرب دباباتها على حرب الحركة ، بل كانت تسير على تقاليد الحروب الماضية ، من الاعتماد على حرب الخنادق والحصون ، والمراكز المستقرة .. والهجوم بين وقت واخر ، واما فرق الدبابات فكان اقلها للحركة ، واكثرها للدفاع ، وهي خطة كانت تخالف ارائي وخططي كل المخالفة ، مما أكد لي اني ناجح في خططي الجديدة ..

فلما اشرف ربيع سنة ١٩٤٠ كنا نحن الالمان على علم تام بخطط الجيش الفرنسي وطريقته في الحرب والقتال ، وكنا نعلم ان حصون ماجينو بين (مونتميدي) و(سيدان) ليست قوية جدا . . كما كنا نعرف حق المعرفة قوة الحصون الهولندية والبلجيكية .. فقد كانت كلها موجهة نحونا ، فلو اتيناها من خلفها ، لقل نفعها ..

وكانت القوات الفرنسية والانكليزية قد تجمعت في ـ الفلاندر) .. بين الموز وبحر الشمال .. واما الجيشان البلجيكي والهولندي فكانت عنايتهما منصبة على الدفاع عن حدودهما ..

وكان العدو يعتقد اننا سوف نطبق خطة شليفن في هجومنا الحاضر واتخذ احتياطاته وحشد جيوشه لمجابهة هذه الخطة ، وتقدم بقواته نحو بلجيكا لافساد خطتنا هذه ، دون ان يفطن الى اننا قد نحاول تبديلها او تعديلها على الاقل ..

وكنت في الوقت نفسه شديد الدهشة لموقف الفرنسيين وجمودهم امام خطوطنا اثناء معركة بولونيا ، فقد كنا نخوض هذه المعركة بمعظم قواتنا الضاربة ، وكان من حق الفرنسيين الافادة من انشغالنا في تلك الجبهة ومهاجمتنا واحراجنا ، ولكنهم لم يفعلوا ، فدلني هذا على انهم يواجهون هذه الحرب بشيء من عدم الاهتمام ، وانهم لا يريدون الحرب مطلقا ، مما حملني على الاعتقاد بان هجوما مدرعا باتجاه سيدان واميان وصوب مرافىء بحر المانش ، سوف ينجح لا محالة .. واذا تمكنا من الافادة من نجاحنا هذا .. امكننا شطر الجيوش التي كانت تتقدم نحو بلجيكا ، اعتقادا منها ان جيشنا سوف يتجه من بلجيكا لمهاجمة فرنسا كما فعلنا في الحرب الماضية ..

على المدن الهولندية دمرت جانبا كبيرا منها .. والقت الرعب في نفوس الاهلين ، وسقطت روتردام في الرابع عشر واكره الهولنديون عقب النكبات التي حلت بهم ان يلقوا بأسلحتهم في اليوم التالي ..

« وفي الوقت نفسه كان الالمان يوجهون ضربات شديدة للجيش البلجيكي .. وكان ملك بلجيكا قد استنجد ببريطانيا وفرنسا ، فدخل جيشاهما بلجيكا طبقا لخطة موضوعة .. ولكن القيادة الالمانية جردت قوات مصفحة كبيرة تحت قيادة الجنرال فون رندشتدت ، حطمت خط دفاع الحلفاء في الرابع عشر من شهر مايس ، فاخترقته بين نامور وسيدان، وعبرت نهر الموز ، شاقة طريقها خلال غابات الاردن التي كان يعتقد انه من المتعذر على اي جيش ان يخترقها ، واتجه جزء من قوات المصفحات الالمانية غربا نحو (اميان) وجنوبا نحو « ريمس » .. ودخل الالمان اميان في اليوم التاسع عشر،و(ابفيل)في اليوم التالي ..

ثم زحفوا سريعا صوب الموانىء الفرنسية على بحر المانش ،فوصلوا الى ساحله في الحادي والعشرين وهاجموا بولون وكاليه في الثالث والعشرين ..

وبدا وكأن كل شيء ينذر الحلفاء بوقوع كارثة مروعة وهزيمة ماحقة .. فقد انحطت روح الجيش الفرنسي بسبب هزائمه ،واخذت الفرق الفرنسية ترتد امام نار العدو الحاصدة دون ما انتظام ، ومما زاد من اسباب الفوضى وعوامل الهزيمة امتلاء الطرق بمئات الالوف من النساء والاطفال الهاربين من وجه الغزو لا يلوون على شيء ..

ولقد جعلت السرعة الخارقة للتقدم الالماني مركز الحلفاء غاية في الحرج فقد حصرت القوات البريطانية والفرنسية والبلجيكية التي ارسلت في الاصل للدفاع عن بلجيكا ،حصرت في مثلث ، وتوارى كل امل لها في التمكن من التقدم ...

ورأى اللورد غورت القائد العام للقوات البريطانية ان البحر هو سبيله الوحيد لانقاذ قواته من المأزق الحرج الذي وجدت فيه ..

واخذت الحوادث على الاثر تتابع بسرعة ..

ففي منتصف ليل ٢٧ – ٢٨ مايس سلم الجيش البلجيكي ، وكان الجلاء الشهير للقوات البريطانية قد بدأ في السابع والعشرين من ميناء (دنكرك) .. ودام اياما ، وقد تمكن ٣٣٤ الفا من الجنود الانكليز والفرنسيين وغيرهم من الجلاء تاركين وراءهم كل معداتهم الحربية ..

وكان الجنرال ويغند قد خلف الجنرال غاملان في منصب القائد العام لقوات الحلفاء .. فقضى نحو اسبوعين في تعزيز مواقع الدفاع الفرنسية على حدود فرنسا الشمالية والشمالية الشرقية ، وكانت قوات الالمان المصفحة قد حولت وجهها صوب الجنوب .. وتمكنت من اختراق خطوط الدفاع الفرنسية في كل مكان ... ومزقت الجيش الفرنسي كل ممزق .. فقررت الحكومة الفرنسية في ٨ حزيران الانتقال من باريس اولا الى (تور) .. ثم الى (بوردو) ..

وفي العاشر من شهر حزيران اعلن موسوليني الحرب على فرنسا .. كي لا يفوته الظفر بنصيب من الاسلاب بعد ان انتهت الحرب ولم تبق هناك مقاومة تذكر في الساحة الغربية ..

ثم سقطت العاصمة الفرنسية في ايدي الالمان بعد ايام خمسة .. فاستصرخت الحكومة الفرنسية روزفلت وبريطانيا ليمدا لها يد المعونة بمساعدات جدية في هذه اللحظة الرهيبة ، ولكن صرخاتها ذهبت ادراج الرياح .

وفي السادس عشر من شهر حزيران سقطت حكومة بول رينو ،وخلف رينو في رئاسة الحكومة المارشال بيتان الذي طلب من الالمان وقف القتال تمهيدا لعقد هدنة بين الدولتين ، واتخذت الحكومة الفرنسية مدينة فيشي مقرا لها في الوقت الحاضر ، وكان الالمان قد استولوا او احتلوا حتى تلك اللحظة نصف فرنسا ، فأجابوا بيتان الى طلبه .

وفي الثامن والعشرين من شهر حزيران ، امضى المندوبون الفرنسيون شروط الهدنة في (كمبيين) في نفس عربة السكة الحديدية ، وفي نفس البقعة ، اللتين كان الالمان قد وقعوا فيهما في ذلة وامتهان صك الهدنة مع الحلفاء في تشرين الثاني من سنة ١٩١٨ .

٤

انسحاب دنكرك عده الانكليز نصرا عظيما بعد انهيار فرنسا

بقلم الكاتب العسكري الشهير :
ريتشارد كولير

الاكتساح

في ١٠ مايس سنة ١٩٤٠ اجتاحت عشر فرق المانية مصفحة ١٧ فرقة مشاة هولندا المحايدة وقامت بحركة اكتساح واسعة لبلجيكا ولوكسمبورج وسرعان ما اندفعت سبع فرق للدبابات الالمانية الى مدينة سبران بفرنسا تشق طريقها بسهولة خلال غابات الامازون الجبلية وفتحت ثغرة في خطوط دفاع الحلفاء وقد كان الخبراء الحربيون يؤكدون انه لا يمكن اختراق تلك الخطوط .

وقبل هذا التاريخ بأربعة اشهر تقريبا كانت انكلترا قد ارسلت جيشا من المقاتلين البريطانيين تعداده ٣٩٠ الف مقاتل تحت قيادة الجنرال اللورد جورث الى فرنسا وكانوا يتمتعون بحياتهم تمتعا كاملا طوال هذه المدة فقد كانوا مطمئنين الى وهم زائف بأن خط ماجينو الذي يمتد ٤٠٠ كيلومتر الى الجنوب محصن لا يمكن اختراقه .

وقد شعر الحلفاء بعد اختراق الالمان للثغرة في خطوطهم ان كارثة عسكرية ضخمة توشك ان تقع لان الجيوش البريطانية والفرنسية والبلجيكية الموزعة على طول جبهة تمتد ٢٥٠ كيلو قد حوصرت واصبحت في شرك مرصود .

وفي خلال عشرة ايام اكتسح الالمان ثلاثة ارباع بلجيكا ثم انطلقت الدبابات الالمانية عبر فرنسا متجهة نحو بحر المانش فهاجمت مدينة كاليه وكان امل الجنرال جورث الوحيد في النجاة يكمن في ميناء دنكرك. وفي سبيل الوصول اليه كان عليه ان يقاتل في ممر طوله ٨٠ كيلومترا واتساعه ٢٥ كيلومترا وكانت جميع الاحتمالات تدل على ان ٣٠٠ الف جندي من جيشه البالغ قدره ٣٩٠ الفا سوف يقعون اسرى في نهاية الاسبوع .

وكلفت بريطانيا الاميرال السير برترام هيوم راساي قائد منطقة دوفر للقيام بعملية اجلاء هذه القوات عن فرنسا وهي المأمورية التي بدت لهذا القائد البريطاني بأنها لا تبشر بأي امل في النجاح .

دنكرك

كانت دنكرك هي الميناء الوحيدة الباقية في أيدي القوات البريطانية ولكنها كانت معرضة للضرب بالقنابل من الجو منذ اسبوع لذلك لم تكن السفن الكبيرة الحجم تستطيع ان تقترب من الساحل المتعرج الذي يبلغ ٤٠ كيلومترا والذي يعرف باسم مقبرة السفن مما يعني ان الجلاء يجب ان تقوم به السفن الصغيرة ولهذا امكن جمع حوالي ١٢٩ من هذه السفن .

وفي فجر هذا اليوم القى الالمان الافا من المنشورات على القوات البريطانية تدعوهم الى التسليم وكانت هذه المنشورات تحوي خرائط تظهر الجيش البريطاني وظهره للبحر محصورا داخل حدوة حصان مروعة .

ولكن البريطانيون رفضوا الاستسلام وواصلوا القتال كما قاتلت الوحدات التي تدافع عن محيط المدينة بشجاعة بينما كان الالمان يحاولون عزل الجيش البريطاني عن دنكرك .

وبعد ظهر ذلك اليوم نفسه ٢٧ مايس سنة ١٩٤٠ ابحر احد ضباط البحرية البريطانية المدعو الكابتن تينانت الى دنكرك على ظهر المدمرة (ولف هاوند) ولم تكد السفينة تغادر ميناء دوفر حتى هوجمت من الجو وظلت تهاجم حتى وصلت الى دنكرك ..وهنا هلع قلب الكابتن تينانت رعبا

حين راى الحالة التي اصبحت عليها دنكرك .. فلم يكن يتصور حتى في اسوأ احلامه مثل هذا الخراب فقد كان الدخان الاسود المتصاعد من معامل تكرير الزيت المحترقة يغطي الميناء واميال من المستودعات والارصفة تبدو مشتعلة من اقصى الميناء الى اقصاها بينما كانت القاذفات الالمانية تأتي وتروح تسقط قنابلها بلا انقطاع .

وفي السادسة من مساء ذلك اليوم هبط الكابتن « تينانت » الى الميناء وقام بدراسة سريعة للموقف الذي كان يثير الرعب فلم يكن في دنكرك ماء منذ اربعة ايام ولم يبق غير خط تليفون واحد على اتصال بلندن وبسبب غلطة في ترجمة الاوامر دمر مائة مدفع ثقيل مضاد للطائرات فاصبحت المدينة بلا دفاع ضد الغارات الجوية ، وفي ذلك اليوم فقط القيت عليها ٣٠ الف قنبلة حارقة و١٥ الف قنبلة شديدة الانفجار ، واصبحت ارصفة الميناء واماكن رسو البواخر انقاضا وخرائب وكان هناك نحو الف رجل وامرأة وطفل قتلى بين خرائب المدينة ــ ثم جاءت الفوضى في اعقاب الهزيمة فظهرت جماعات تضم عددا قليلا من الجنود الذين هرب ضباطهم واخذت تجوس خلال دنكرك يرتكبون اعمال العنف ويعتدون على الابرياء وكادت جماعة منهم تعتدي على الكابتن تينانت ورجاله وهم يسيرون في المدينة .

وبدأ تينانت يصدر اوامر سريعة لرجاله فأمر بتجميع الجنود فوق الكثبان الرملية ويتقدمون نحو البحر في جماعات تضم كل منها خمسين جنديا وعلى كل جندي الا يركب السفينة بغير سلاحه وكانت الاوامر الا ينسى اي جندي احضار بندقيته معه لاستخدامها في الدفاع عن بريطانيا نفسها .

ثم حضرت اول سفينة الى الميناء وامكن ان ينقل بها ٧٦٦٩ رجلا الى انكلترا بسلام وفي الحادية عشرة من مساء ذلك اليوم نفسه اي ٢٧ مايس سنة ١٩٤٠ استسلمت بلجيكا وهكذا اصبح الجناح الايسر للجيش البريطاني وطوله ٣٠ كيلومترا تقريبا مكشوفا للبحر .

في مجلس العموم

كانت مقاعد مجلس العموم ممتلئة باعضاء البرلمان الـ ٦٠٠ وهم يستمعون في توتر الى تشرتشل رئيس الوزراء وقد ساد المجلس صمت مفزع وقال

تشرشل ان بلجيكا قد استسلمت وان المجلس يجب ان يعد نفسه لاسوأ الاحتمالات ... وبعد دقائق قليلة اجتمع تشرشل بوزرائه وشرح لهم المستقبل المظلم بكل وضوح وختم حديثه بقوله :

« مهما حدث في دنكرك فاننا سوف نواصل القتال دون شك » .

وكانت الخسائر الفادحة في السفن والرجال في ازدياد مستمر فقد كانت اخطار عبور القنال الانكليزي لا حصر لها ــ هناك مثلا حادث المدمرة (ويكفول) وهي سفينة قديمة ، ففي اولى رحلاتها نقلت ٦٠٠ جندي الى دوفر ودون ان تنتظر التذود بالوقود عادت ثانية الى دنكرك بعد ان تفادت سبعين قنبلة من الجو ــ وفي منتصف الواحدة بعد ظهر الاربعاء كانت هذه المدمرة في طريق عودتها الى بريطانيا تحمل ٦٤٠ جنديا اخرين فضربها الالمان بطوربيد شطرها الى شطرين وظل اكثر الجنود الذين تحملهم هذه المدمرة محاصرين تحت اسطحها ومرت عليهم ساعات في هذه المحنة حتى التقطت سفينة اخرى الاحياء منها .

وساد الاضطراب التام ووسط الظلمة الحالكة التي تثير الرعب فتحت احدى كاسحات الالغام البريطانية نيران مدافعها على شبح سفينة ظنا منها انها قارب طوربيد الماني وانضمت اليها مدافع احدى السفن البريطانية الاخرى وبينما كان بحارتها يهتفون ظنا منهم انهم يطلقون نيرانهم على قارب الطوربيد الماني الذي اغرق المدمرة (ويكفول) .. ما لبثت الغلطة المشئومة ان تكشفت وتبين ان السفينتين البريطانيتين كانتا تطلقان نيرانهما على احدى السفن البريطانية .

وزادت الكارثة بشاعة عندما اصطدمت احدى السفن بسفينة بريطانية اخرى وهي تعتقد انها تنطح سفينة المانية وعندما تجمع بحارتها فوق سطحها لجمع الاسرى الالمان اكتشفوا الحقيقة الرهيبة ولم يجدوا غير اثنين من الجنود الانكليز الاحياء .

وبينما كانت السفينة الحربية روس في طريقها الى دنكرك اذ برزت وسط ضباب الفجر مقدمة المدمرة (ويكفول) ومؤخرتها وانطلقت من عنابرها السفلى صيحات الرجال المحاصرين البائسين ولم يجد قائد السفينة الحربية روس بدا من اطلاق النار على انقاض هذه السفينة رحمة بمن بقي فيها من المعذبين فاختفت السفينة عن الانظار وخفتت الاصوات المنبعثة من داخلها .

وفي فجر الاربعاء عاد الكابتن اريك يوش الى منطقة اجلاء الجنود فوق كاسحة الالغام البريطانية (هيب) وفي المياه القريبة من (لابان) شعر

يوش بشيء غريب في تلك الشواطىء .. فسأل ربان الكاسحة الكابتن جون تمبل عما تكون الظلال السوداء التي تبدو بعيدا على الشاطىء ، ولكن الربان لم يستطع الرد اذ لم يكن يعرف ما هي هذه الظلال السوداء واخيرا اتضح انها صفوف طويلة من الجنود تتلوى كالافاعي السوداء فوق التلال الرملية، وبدت ارصفة بشرية تبرز داخل البحر مسافات طويلة كانت الصفوف الامامية من الجنود تغوص في الماء البارد حتى اعناقها في انتظار السفن التي ستركبها .

هجوم الطائرات

وبعد ظهر الاربعاء ٢٩ مايس سنة ١٩٤٠ كان على الرصيف في ميناء دنكرك ١١ سفينة تستعد للابحار عندما بدأ هجوم قاذفات القنابل الالمانية المنقضة من طراز شتوكا ... وكانت مزودة بصفارات ذات صوت حاد مزعج وحين كانت القاذفات تهبط كان صراخها الجهنمي يثير الرعدة في قلوب الرجال القابعين على الشواطىء . وانتشرت القاذفات الالمانية في مروحة تحيط بالميناء بين دنكرك ولابان لمسافة اكثر من ١٤ كيلومترا

ولم يكن السلاح الجوي البريطاني قد تعلم بعد كيف يجاري تكتيك السلاح الجوي الالماني على الرغم من المحاولات الانتحارية التي بذلها ليكفل حماية جوية للجيش البريطاني المحاصر كما انقضت بعض الطائرات الالمانية على المدمرة البريطانية (جرنباو) والقت فوقها ثلاثة قنابل اخترقت الاولى مدخنتها تاركة البحارة يسبحون في سطح تغطيه الدماء والزيت ثم امتدت النيران من وسط المدمرة في ثوان ، لتغلق مدخل الميناء وتعرقل عملية الجلاء ...

واخذت الطائرات الالمانية تواصل هجومها بينما كانت اطنان من الرمال تهتز كالزلازل فتخنق اولئك الذين يختفون في زوايا مواقعهم العميقة واصيب بعض الجنود بالجنون فخلع البعض ملابسه واعلن انه المهاتما غاندي بينما احتضن البعض لعب الاطفال وراحوا يبكون وبينما كانت المقاتلات الالمانية تزمجر وهي على ارتفاع منخفض كانت مدافعها الرشاشة تنطلق دون انقطاع وجثث الرجال تطفو فوق الماء في كل مكان

وعلى الرغم من كل هذا فقد امكن نقل ٤٧٣١٠ جنود الى انكلترا في ذلك اليوم وكان الجنرال جورث قائد القوات البريطانية في فرنسا يواجه ازمة خطيرة هي ازمة قيادة جيش مهزوم . وقد استطاع حتى الان ان

يمنع الالمان من عرقلة انسحابه الا انه لا زال هناك حوالي ٢٠٠الف جندي داخل راس جسر دنكرك ، ٥٠ الفا منهم على استعداد لركوب السفن ومهما كان مصير الباقين فقد كان جورث مصمما على ان يشارك جنوده المصير ومن ثم فقد قرر ان يبقى وان يقاتل حتى الطلقة الاخيرة ، الا ان تشرشل كان مقتنعا بان بقاء جورث على راس رجاله في فرنسا اسراف لا معنى له فاصدر امره بتعيين خليفة له على ان يعود هو الى انكلترا حتى لا يقع اسيرا ....

وظلت السفن الصغيرة تتجمع على طول الشاطىء طوال يومين حتى بلغ حجم الاسطول حوالي الف سفينة من سفن الصيد والزوارق البحرية واليخوت الخاصة وقوارب الانقاذ والقاطرات البحرية وبعد ظهر الخميس تلقى ضباط هذا الاسطول العجيب التعليمات النهائية في ميناء راسجبت (ميناء صغير قريب من ميناء دوفر) بما يجب عليهم عمله ..

ولم يسبق ان تجمع مثل هذا الاسطول يقود سفنه فريق غريب بجميع المتناقضات الفقير والفني الشهير والمجهول والعجوز والشاب .

***

واقلع هذا الاسطول وسط جحيم لا يمكن وصفه فقد كانت هناك ملايين من اطنان الزيت التي تدفقت من الخزانات التي حطمتها القنابل تزمجر محترقة فوق سطح الماء وكأنها جبل من نار ارتفاعه ٣٣٠٠ متر واتساعه كيلومتر ونصف كيلومتر ، وكان الهواء يتبخر بمركب جهنمي يجمع بين الدخان الاسود ولحم الخيول المتعفنة والتبغ المحترق والبارود والزيت الفاسد واصوات جهنمية تمزق الاذان بين صفير القنابل وصرخات جياد الفرسان الفرنسيين وهي تترنح ثم تغطس في الماء .

وعلى امتداد ٣٠ كيلومترا من الشواطىء التي يكسوها الضباب صفوف لا نهاية لها من الرجال لا تزال تكدح في السير عبر الرمال وكان اقتراب السفن الظاهر يدفع العشرات منهم احيانا الى التخلي عن كل حرص والاندفاع نحو الماء ليواجهوا الموت في اغلب الاحيان وكثيرا ما كان تدافع الجنود الى القوارب بسرعة يؤدي الى انقلابها وغرق المئات من الرجال .

وزاد الطين بلة ان الالوف كانوا مهددين بالموت جوعا فقد اصبحت دنكرك معزولة عن كل موارد التموين منذ ايام بعد ان حطمت الغارات محطتها الحديدية وراح الجنود يجمعون في يأس كل ما تستطيع افواههم ان تلوكه وتمضغه كما كان الظمأ سببا في عذاب جهنمي وسط كثبان دنكرك

الرملية حتى كان الجنود يمتصون الحصى ويرتشفون المياه من ميازيب المنازل .

وامرت القيادة البريطانية بتدمير كل وسائل النقل الجوهرية حتى لا يترك شيء يفيد منه العدو وبناء على اقتراح الجنرال هارولد الكسندر امكن استخدام ما بقي من السيارات في صنع رصيف في الميناء سار فوقه الجنود لركوب السفن والقوارب .

وتم رغم هذه المصاعب والمتاعب نقل ٥٣٨٣٣ جنديا الى بريطانيا في هذا اليوم (الخميس ٣٠ مايس سنة ١٩٤٠)

الموقف الدقيق

وفي يوم الجمعة ٣١ مايس سنة ١٩٤٠ اصبح ميناء دوفر مصنعا ضخما لسفن يعمل فيه النجارون والمهندسون والفواصات في حماسة شديدة جنونية لاصلاح السفن المصابة ،وكان الاقتراب من دنكرك كابوسا مخيفا للملاحين فقد اصبح الميناء غابة من صواري السفن الغارقة وهياكلها الضخمة ــ ومما زاد الطين بلة ان خطوط الدفاع انكمشت حتى اصبحت مدافع الالمان تصل الى الميناء وانهالت نيران مدفعيتهم على كل السفن الموجودة طوال الصباح .

وبدا لقادة ومنظمي ترحيل الجنود من دنكرك انهم لن يستطيعوا انقاذ الباقين فقد كان هناك اكثر من مائة الف ينتظرون السفن لكن بريطانيا كانت يومئذ في حالة تصنع فيها المعجزات وكان بحارة السفن الصغيرة يعملون في حماسة عجيبة وانضم اليهم المزيد من السفن ..... وكان القليل من البحارة يرتدون خوذات حديدية لحمايتهم من شظايا القنابل وعاد الكثير من القوارب الى الشواطىء مرة بعد اخرى تحت وابل القذائف وقد استطاع قارب نجاة واحد ان يقوم برحلات مستمرة لمدة ٣٠ ساعة دون توقف بين الشاطىء والمدمرات يحمل ١٦٠ جنديا في كل مرة .

وهكذا استمرت معجزة دنكرك بفضل الشجاعة والعزيمة والايمان وفي ذلك اليوم اي يوم ٣١ مايس سنة ١٩٤٠ امكن نقل ٦٨٠١٤ جنديا الى انكلترا وهو اعلى رقم تم اجلاؤه في يوم واحد خلال عملية الجلاء كلها .

وفي الخامسة من صباح السبت اول حزيران سنة ١٩٤٠ هبط اللورد جورث الى شاطىء دوفر حيث استقبله احد موظفي وزارة الخارجية في

سيارة حكومية ولما اراد ان يرحب بعودته سالما قال جورث في غضب :

ــ أن عودتي لا تهم المهم ان يعود جيشي .

وتم نقل ٦٤٤٢٩ جنديا في هذا اليوم .

وفي اليوم التالي تم نقل ٢٦٢٥٦ جنديا

وهكذا تم جلاء معظم قوات جيش اللورد جورث الانكليزي عن دنكرك وبلغ عدد القتلى والاسرى نحو ٦٨ الف جندي خلال الانسحاب من مجموع الجيش البالغ ٣٩٠ الف جندي .

الثمن الغالي

وقد دفعت بريطانيا ثمنا مذهلا لهذه العملية اذ فقدت اكثر من ٢٠٠ سفينة و١٧٧ طائرة وعتاد عشر فرق كاملة ولم يبق لها من العتاد الحربي الا ما يكفي فرقتين بريطانيتين وقد كشف تشرشل فيما بعد الستار فقال ان بريطانيا كلها لم يكن فيها يومئذ غير ٥٠٠ مدفع من عيار ٧٥ ملليمتر ومدافع الهاوتزن اكثرها اخذته من المتاحف .

لقد كانت حياة بريطانيا معلقة في الميزان يومئذ وبدت نهايتها مسألة ايام بالنسبة لكثيرين من الالمان ، وقد قال احد ضباطهم وهو يرقب الوف العربات والمدافع المحطمة على الشاطىء . لقد انتهى البريطانيون .

وبعد ظهر ذلك اليوم تحدث تشرشل الى بريطانيا فقال :

لن نضعف او نلين سنقاتل في فرنسا وفي البحار والمحيطات سندافع عن وطننا مهما يكن الثمن سوف نقاتل على الشواطىء وفي الحقول والشوارع ولن نستسلم ابدا .

وسجل التاريخ انهم لم يستسلموا حقا .

الرواية الالمانية

وفيما يلي بعض ما جاء في الكتاب التاريخي الذي كتبه جنرال الماني سابق كان احد قادة النازيين في « دنكرك » عن الانسحاب والموقف العسكري .

في العاشر من ايار ١٩٤٠ كانت اذاعة هتلر تعدد اسماء القادة الالمان الذين احتلوا القسم الغربي من الجبهة اي هولندا وبلجيكا ولوكسمبورغ ، وكان بينهم رومل وغودريان ، وكليست .

ولم تتوقف اهداف الجيش النازي عند هذا الحد ، بل كانت ترمي من

خلال « العملية الصفراء » للوصول الى ميناء « دنكرك » الفرنسي لقطع الطريق على الامدادات الحربيـة لجيوش الحلفاء القادمة من بريطانيا واميركا .

وممـا زاد في مصاعب الجيش الفرنسي لرد الهجوم الالماني الجديـد المفاجيء ، كثرة اللاجئين المدنيين ، وانتشار الفوضى في صفوف الجيش . وخاصة اسلوب الحرب النفسية الذي اتبعه الالمان بحيث اصبـح الجنـدي الفرنسي يرتعب خوفـا لدى سماع صفرات الانذار .

كمـا ان الضباط الفرنسيين تقاعسوا عن المشاركة المباشرة في قيـادة الجيش الفرنسي ، وكانوا يفضلون قيادة المعركة في غرفـة العمليات علـى الطاولة الخضراء بعيدا عـن دوي المدافع . وفي هذه الاثناء كان رومـل وكليست كل منهما في دبابة على رأس الفرق الالمانية المهاجمة، ويوجهون جنودهم

في قلب المعركـة

ومن الامثلة على ذلك ان رومل عندمـا وصل الى جسر « دونشاري » الشهير ، ترجل من دبابته ليتحدث مع قائد الفرقة قائلا هل المعركة هنـا دائما بهذا العنف فاجابه القائد وهو يبتسم : بعض المرات خـلال النهـار !

وفي ٢٤ ايـار وبعد سقوط بولونيا ، كان رومل على بعد ١٨ كيلومترا من دنكرك التي تعتبر الملجأ الوحيد والاخير للحلفاء الفرنسيين والبريطانيين. وكان امام قائـد جيش الحلفاء الدفاع باي ثمن على دنكرك بانتظار وصول الامدادات العسكرية التي تسمح بالصمود في وجه الالمان او على الاقل حتى تتمكـن الوحدات من الانسحاب الى بريطانيا خوفا من الاسر والابادة .

وفي ٢٦ ايـار الساعة السادسة مساء، وصل امر من لندن يقـول : « ابدأوا عملية دينامو » . . وهكذا بدأت في تلك اللحظة اكبر مأساة ومغامرة لجيش اجتـاز بحـر المانش ليقف بوجه الجيش الالماني ، ثم اضطر للعودة سباحـة مخلفـا القتلى والجرحى والمعدات الحربية كلها .

ولم يبق شيء في بريطانيا يمكـن ان يعوم على وجه الماء الا واتجه نحو دنكرك لانقاذ ما يمكـن انقاذه . وانتشرت الجثث الممزقـة على طول الساحل وفي البحر وحولهـا بقايـا عشرات السفن الغارقـة .

وقد اصدر احد الضباط الالمان الذيـن اشتركوا في معركة دانكرك كتابا شرح فيه تفاصيلها ، وقال :

« تحولت دنكرك في لحظات معدودة الى جهنم .. آلاف الجنـود البريطانيين العراة اصبحـوا في البحـر تتقاذفهم الامواج وهـم معرضون

دون ايـة حمايـة لقنابل الطائرات والمدافع الالمانيـة تحصد ما تبقى منهـم على قيـد الحياة .

« اما البواخر والعوامـات فكانت تعود الى ميناء « دوفر » البريطاني فارغة نظرا لكثافـة النيران الالمانية ولجهلها للاماكن التـي يمكـن انقـاذ البريطانييـن فيهـا .

واضاف الضابط الالماني : ان دنكرك كانت جهنمـا فعلا ، فالمدينة والمرفأ والطرقات كانت كلهـا نيران تضيء ظلمـات الليـل » .

وفي هذه الاثناء كـان البريطانيون قد ادخروا افضل طائراتهم المقاتلة من طراز « سبيتفاير » و« هوريكان » للدفاع عن السواحل البريطانية . ولكن الهزيمة في دنكرك جعلتهم يطلقـون هذه المقاتلات نحو دنكرك لانقاذ ما يمكـن انقاذه . وهكذا بدأ الصراع الجوي على اشده ، وعلى الرغم من خسارة السلاح الجوي الالماني في المعركة ، فانه بقي مسيطرا على سمائها .

خسائـر الطائـرات

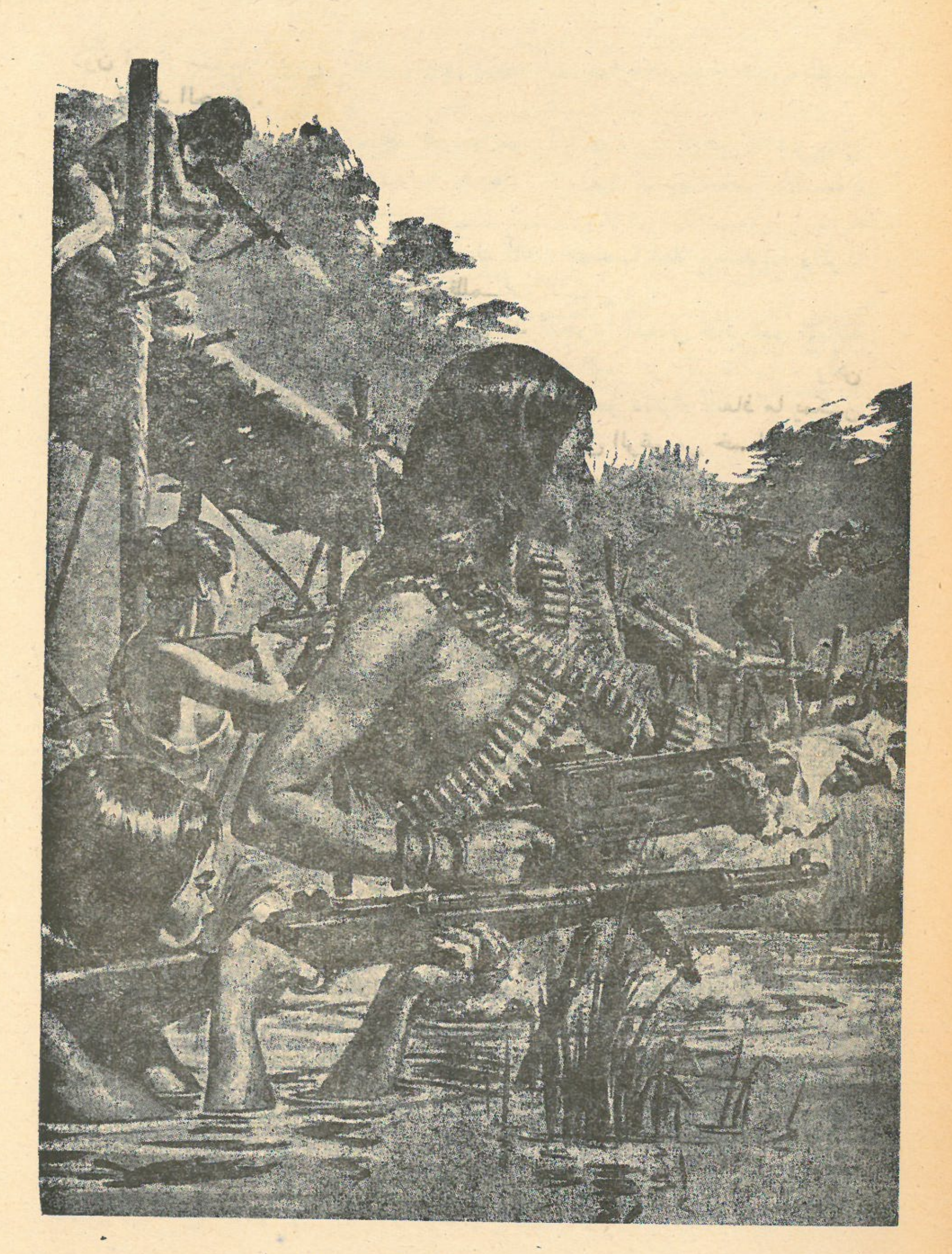
وكانت الخسائر بعد ذلك المعركـة كمـا يلي : أسقط البريطانيون ٢٦٢ طائرة المانيـة في حين اسقط الالمان ١٣٣ طائرة بريطانية . واغرق الالمـان ٢٣٥ سفينة من ٨٤٨ سفينة ارسلتها بريطانيا لانقاذ جنودها .

وقد تمكـن الانكليز في اليوم الاول من انقاذ ٧٦٦٩ رجلا من جنودهم ، ولكن حالة الطقس كانت الى جانب الالمان بحيث منعت الطيران البريطانـي من العمل واصبح الجنود الانكليز في البحـر يتلقون القنابل الالمانية فـي النهـار وينتظـرون النجدة في الليـل .

وفي ٢٤ ايـار صدر امر من هتلر في برلين بوقف الهجوم على دنكرك وحصر العمليات العسكريـة بحصارها فقط . وثار الضباط الالمان على هذا الامر ،ولكـن لا بـد من الطاعـة .

ويقول احد الضباط الالمان : لقد كنـا نرى باعيننا كيف كان الحلفاء يعيدون بناء خطوطهم الدفاعية ويتلقون الامدادات والذخيرة . وحاولنا كثيرا اقنـاع الفوهرر بسحب الامر ، ولكـن عبثـا .

وتمت « عمليـة دينامو » ودخلت القوات الالمانية دنكرك في ٤ حزيران ١٩٤٠ . وكانت حصيلة المعارك ابادة ٧٥ فرقـة من الحلفاء واسر اكثر مـن مليون و٢٠٠ الف جندي من الحلفاء ايضا . ولكن امر هتلر بوقف الهجوم في ٢٤ ايار ، سمح للحلفاء بانقاذ ٣٣٨ الف جندي بينهم ١٢٣ الف فرنسي .



الحرب في الادغال

٥

اشهر المعارك البحرية في الحرب العالمية الثانية

اغراق بسمارك

خرجت « بسمارك » الى الاطلنطي في مايس ١٩٤١،وفي نيسان ومايس كانت البحرية البريطانية تراقبها بحذر شديد وتتابع تحركاتها يوما بيوم.

وعندما علم « الاميرال رايدر » بانتهاء بناء بسمارك ، قرر ان يبدأ بانشاء قوة ضاربة في المحيط الاطلنطي فلو انه ركز قوة ضاربة حقيقية من البحرية الالمانية في المحيط ، لاستطاع ان يدخل اي معركة بحرية ضد اي قوة .

ففي بحر البلطيق الان كان لديه « بسمارك » و« البرنس ايوجين » . وبالاضافة الى ذلك كانت لديه السفينتان الحربيتان « تشارنهورست » و« جينسينو » وخمس سفن تموين .

وكان « رايدر » يعلم ان هتلر سيبدأ هجومه على الاتحاد السوفييتي في حزيران ، ومن هنا فلن تكون هناك اي اولوية لعمليات بحرية كبيرة ، ولذا فقد قرر ان يسرع في هذه العملية ..

وهكذا ابحرت « بسمارك » و« البرنس ايوجين » من ميناء « دينا » في ١٨ مايس . وفي فجر ٢٠ مايس ابصرتهما مدمرة سويدية ، وتأكد « الادميرال ليوتجن » قائد العملية ان الخبر سيصل الى انكلترا في الحال ، كما ابلغ الملحق البحري البريطاني بالسويد حكومته عن تحركات بسمارك في نفس اليوم .

ورست السفينتان الحربيتان في أحد منحنيات شاطىء النرويج بالقرب من بيرجين في ٢١ مايس . وهنا تزودت « البرنس ايوجين » بالوقود اما « بسمارك » فقد كان عليها ما يكفيها بعد ان ابحرت وعليها تسعة الاف طن من الوقود . وانزلقت السفينتان بعد ذلك الى الشمال ،وبعد ابحارهما دمرت غارة بريطانية الميناء . وقد شجع « ليوتجين » على الافلات الضباب الكثيف والسحب المعتمة .. وكان من المعتقد ان هذا الجو الكئيب سيستمر يومين .

اما في بريطانيا ، فعند وصول أنباء « بسمارك » اقلعت طائرات الاستكشاف في ٢١ مايس تمسح الشواطىء السويدية ، وقد نجحت احدى الطائرات في تصوير سفينتين اتضح انهما «بسمارك » و« البرنس ايوجين».

وكان الادميرال « جون توفي » على السفينة الحربية « الملك جورج الخامس » وكانت معه السفينة الحربية « البرنس اوف ويلز » و« الطراد الحربي « هود » وحاملة الطائرات « فيكتورياس » ، وتسع مدمرات.

وفي وسط المحيط كان هناك الطراد « نورفولك » و« سافولك » و« مانشستر » و« برمنجهام » . فأصدر امره الى « هود »و« البرنس اوف ويلز » بتغطية « نورفولك » و« سافولك » في مضيق الدنمارك مع ست مدمرات . فبدات جميعها في الابحار صبيحة ٢٢ مايس .

فشل المحاولات

وفشلت كل محاولات الاستكشاف التي قام بها الاسطول البريطاني لكثافة الضباب على الساحل النرويجي . ولكن احد الطيارين المشهورين استقل طائرة وقام بنفسه بالطيران على بعد عدة امتار فقط فوق الامواج واكتشف أن « بسمارك »قد ابحرت بالفعل .

وسرعان ما طارت هذه الانباء في الحال الى الاسطول البريطاني .

اما « اميرال ليوتجن » فلم يكن موفقا . فقد كان الجو في ٢١مايس سيئا للغاية ، ولم يكن يصلح للتصوير ولا للاستكشاف ، ولكن طيارا المانيا طار للاستكشاف فوق الجزر البريطانية ، وقال ان « الملك جورج الخامس » و« البرنس اوف ويلز » و« فيكتورياس » و« هود » وستة طرادات اخرى، موجودة كلها لم تخرج الى عرض البحر ، وكان مخطئا في حقيقة الامر ، فقد كانت « هود » و« البرنس اوف ويلز » في طريقهما الى المعركة .

هذه المعلومات الخاطئة بالاضافة الى معلومات ضباط الارصاد عن حالة الطقس في مضيق الدنمارك ، جعلته يعتقد ان الطريق الى المحيط الاطلنطي مفتوح، فقرر ان يخترق طريقه مباشرة ،دونما حاجة الى التوغل شمالا .

ظهر يوم ٢٣ مايس دخت « بسمارك » و« البرنس ايوجين » مضيق الدنمارك لم يكن الجو ملائما تماما ، فبدلا من الجو المليء بالضباب الذي تنبأ به ضباط الارصاد ، كان الجو غائما مع وجود اماكن مفتوحة كثيرة في السحب وكانت الحافة الثلجية ناحية « جرنيلاند » تمتد ٨٠ ميلا من ناحية ساحل « ايسلندة » . وقد اجبر هذا السفينتين على الابحار في وسط المضيق حيث كان الطقس رائعا بشكل لم يتوقعه « الادميرال ليوتجن » . وفي هذه المنطقة بالتحديد كان الطراد « سافولك » يطوف في مساء ٢٣ مايس بسرعة ١٨ عقدة .

قرب المساء كانت « بسمارك » و« البرنس ايوجين » تقتربان من الحافة الثلجية لتقطعا أقرب طريق الى المحيط الاطلنطي . وهنا رأتهما « سافولك » فأرسلت اشارة في الحال الى « نورفولك » واسرعت تجاه الجنوب الشرقي في اتجاه الضباب الذي كان يغلف المضيق ناحية ايسلندة واسرعت « نورفلك » بدورها وبعدساعة واحدة كانت تشاهد بنفسهاالسفينتين الالمانيتين على بعد ستة اميال .

النار الاول

ورأتها « بسمارك » هذه المرة فاستدارت وفتحت نيرانها عليها ، واطلقت مدافعها خمس مرات فاخطأتها فاستدارت « نورفولك » بدورها لتطلق مدافعها على « بسمارك » .

كانت هذه اول اشارة « للادميرال ليوتجن » بان وجوده قد اكتشف. فلم يكن قد شاهد « سافولك » في المرة الاولى . وهكذا لم يكن يعلم بوجود طرادين بجواره ، ولكنه سرعان ما اكتشف هذا بطبيعة الحال ، بعد ان تبادل الطرادان الاشارات والرسائل .

وتلقى « الادميرال هولاند » وهوفى السفينة « هود » اول تقارير عن بسمارك فزاد من سرعته وهو يضع نصب عينيه ان يصل صباح اليوم التالي الى مكان « بسمارك » ويدخل معها في معركة سريعة وحاسمة .

وحينما تلقت البحرية البريطانية اشارة « سوفولك » اعطيت اشارة

الى « الادميرال سومرفيل » الذي كان في جبل طارق . وسرعان ما كانت « رينون » و« آرك رويال »و« شفيلد » تعبر مضيق جبل طارق ، وتحمل معها في نفس الوقت مصير « بسمارك » .

وعندما احس « ليوتجن » في بادىء الامر ان امره قد اكتشف ، وان سفينتين بريطانيتين تتبعانه ، لم يقلق ولا خاف .. فقد كان يعتقد انبامكانه في ذلك الجو الملبد بالغيوم والضباب ان يفلت من السفينتين . ولكن اصيب بأول صدمة حينما فشل في الافلات منهما . فقد كان من المعتقد في المانيا ان سفن الاسطول البريطاني غير مزودة برادار بعيد المدى ثم ادرك بعدتحركات « سوفولك » انها مزودة بذلك النوع من الرادار .

وقد ادى هذا « بالادميرال ليوتجن » الى اعادة التفكير في العملية كلها والعودة الى المانيا . ولكنه قرر ان يمضي في طريقه لتنفيذ خطة القوة الضاربة في المحيط الاطلنطي . وهنا أمر « الكابتن برتكمان » قائد ـ البرنس ايوجين ـ بأن يتقدم « بسمارك » حتى لا يحدث اي ضرر لبسمارك ـ اذا ما فتحت عليها النيران .

وهنا قامت ـ البرنس ايوجين ـ بمغامرة جريئة اذ كان عليها ان تتقدم بمحاذاة الحافة الثلجية ، وبالفعل قامت بها بعد ان لمست الحافة جانبها الايمن وهي تقوم بهذه المناورة ، ولكنها لم تصب .

اثناء الليل كان الادميرال هولاند الانكليزي يتلقى التقارير بانتظام من « سوفولك » وهي تتبع السفينتين . وفي منتصف الليل اصبحت المسافة التي تفصله عن « بسمارك » ١٢٠ ميلا ، وبدا كما لو كان من الممكن ان يلتقي بها بعد ساعتين .

لم يكن ـ الادميرال ليوتجن ـ يعلم عن وجود سفن حربية بريطانية اخرى بالقرب منه . فقد التقطت اجهزة استقبال ـ بسمارك ـ الاشارات المتداولة بين « هود » والطرادين اللذين يتبعان ـ بسمارك ـ ... ورغم انه لم يتمكن من حل شفرة هذه الرسائل الا انه تحقق من انه لن ينبثق فجر اليوم التالي ، الا ويكون قد دخل معركة .. وكان مستعدا لها .

كانت الريح تهب من الشمال قوية .. وفي الفجر ، وعلى بعد ١٧ ميلا بدت في الافق للسفينة « هود » و « البرنس أوف ويلز » سفينتان ناحية الشمال الغربي ...

وتوجه ـ الادميرال هولاند ـ بسفينته ناحية ـ بسمارك ـ وبعد عشر

دقائق اصبحت المسافة ٢٥ الف ياردة . وفتحت « هود » نيران مدافعها ثم تبعتها ـ البرنس اوف ويلز ـ . وبعد دقيقتين ردت ـ بسمارك ـ و ـ البرنس ايوجين ـ مركزتين نيرانهما على ـ هود ـ كما كانت السفينتان البريطانيتان ، تركزان على ـ بسمارك ـ .

الطراد هود

كانت « هود » تحمل على سطحها شحنة ذخيرة جديدة مضادة للطائرات كان سلاح البحرية يقوم بتجربتها ، ولم يكن هناك مكان لهذه الذخيرة في المخازن التحتية للسفينة . واصابت نيران « البرنس ايوجين » السفينة ـ هود ـ وانفجرت قذيفة على السطح العلوي لها ، فاشتعلت النيران في الذخيرة ثم امتدت بسرعة الى الجزء الاوسط من السفينة نفسها .

وبعد ثماني دقائق من بدء المعركة اصيبت ـ هود ـ مرة اخرى ، ولكن بنيران ـ بسمارك ـ هذه المرة . وكانت المسافة بينهما ١٩ الف ياردة مما سمح للرصاص ان ينطلق الى اعلى ثم ينزل بزاوية حادة على سطح السفينتين .

كانت « هود » سفينة حربية قوية ، صممت منذ ٢٥ عاما ، وكانت تفتقر الى الدروع الثقيلة التي يجب ان تحميها من هذه النيران . ولكنها كانت فخر بريطانيا وبرهانا على قوتها في البحار ، وكانوا يطلقون عليها اسم « اعظم سفينة حربية تمخر العباب » .

واخترقت نيران مدافع « بسمارك » سطحها لتصل مباشرة الى مستودعات الذخيرة لتنفجر هناك . وحدث انفجار هائل قسم السفينة الى نصفين ، وغطت سحابة هائلة من الدخان سطح البحر . وحينما انقشعت ، كان سطح البحر مسطحا بعد ان ابتلع السفينة « هود » العظيمة ، ولم ينج من طاقم السفينة المكون من ٩٥ ضابطا و١٣٢٤ بحارا سوى ثلاثة فقط !

لقد كانت هذه هي فجيعة بريطانيا ، فقد غرقت « هود » ببساطة شديدة ودون مقابل ! غرقت في اول معركة بحرية تدخلها بسمارك بعد خروجها من الترسانة !

وما ان غرقت « هود » حتى حولت السفينتان الالمانيتان نيران مدافعهما الى « البرنس او ويلز » التي كان عليها ان تغير اتجاهها لتتفادى

حطام « هود » وعندما فعلت ذلك اصبحت على مدى ١٨ الف ياردة فقط من « بسمارك » .

كانت « البرنس اوف ويلز » بعكس « هود » سفينة جديدة ، ولكن لم يكن امامها أي فرصة الان ، فقرر قائدها ان يستدير ويهرب بأقصى سرعة تحت ستار من الدخان الكثيف ، ولم تحاول بسمارك اللحاق بها ، وهكذا انضمت « البرنس اوف ويلز » الى « فور فولك » و « سافولك » وقررت السفن الحربية الثلاث مطاردة « بسمارك » والاستمرار في المعركة .

ولكن بسمارك لم تهرب بدورها من المعركة الا غصبا عنها . فقد اصيبت ثلاث اصابات : الاصابة الاولى لم تسبب اضرار في السطح ، اما الاصابة الثانية فقد عطلت دينامو واحدا عن العمل ، اما الاصابة الثالثة فقد اخترقت نيرانها خزانين للزيت وخزانات وقود تحتوي على الف طن لا يمكن تعويضها .

وهنا نصح « الكابتن ليندمان » ـ الادميرال ليوتجن ـ ان ينهي العملية عند هذا الحد ، ويعود الى المانيا . كانت هذه نصيحة طيبة ، فلقد تحقق نصر كبير باغراق « هود » ثم ان العملية كلها فقدت عنصر المفاجأة اللازم .

وفي مساء اليوم ارسل « ليوتجن » اشارة الى المانيا تفيد بأنه سينفصل عن « البرنس ايوجين » لتقوم بعملياتها مستقلة في المحيط الاطلنطي . وطلب ان يتكون خط من ست غواصات المانية ناحية الغرب حتى يستطيع ان يجر السفن الحربية الى معركة مضمونة . وارسل اشارة الى « الكابتن برنكمان » قائد « البرنس » بتعليماته بالانفصال عنه ، وان يواصل طريقه الحالي ثلاث ساعات متواصلة ثم عليه بعد ذلك ان يغير طريقه ناحية الشمال ليتزود بالوقود من سفينة مئونة جنوبي جريتلاند ، ثم عليه ان يتسلل بعد ذلك الى المحيط الاطلنطي .

المطاردة

واحتج « برنكمان » على هذه الاوامر ... وقبل ان يصل احتجاجه الى « بسمارك » ، كانت هذه قد استدارت وسارت في خطتها . فقرر ان يعصي هذه الاوامر . وسار في طريقه ثلاث ساعات ، ولكنه بدلا من ان يتجه ناحية الشمال ، استمر في طريقه رغم احتياجه الى الوقود .

لقد كان غرض « ليوتجن » ان يبعد الانظار عن بسمارك ، ولكن البحرية

البريطانية كانت تتلقى التقارير عنها أولا بأول .

كان مع « الادميرال توفي » و « الملك جورج الخامس » حاملة الطائرات « فيكتورياس » وعلى سطحها تسع طائرات من طراز «سوردفيش» من ـ سرب سكوادرون ٨٢٥ ـ وفي مساء ٢٤ مايس انضمت اليها مجموعة الطرادات الثانية في نقطة تبعد مائة ميل عن « بسمارك » .

وبدأت قصة من اكثر قصص المعارك الحربية البحرية اثارة في الحرب العالمية الثانية .

بدأت طائرات « السوردفيش » تحلق فوق المنطقة باستمرار ، وتهجم على بسمارك بالطوربيدات الجوية ، في محاولة للابطاء من سرعتها لتلحق بها السفن البريطانية وتبدأ معها معركتها .

كان يقود هذا السرب « ايوجين ايزموند » الذي اكتسب شهرة كبيرة بعد هجومه على « سكارنهورست » وجيسينو ، في القنال الانكليزي . وشاهد السرب « بسمارك » قبيل منتصف الليل بقليل . ولكن السحب اشتدت كثافتها فجأة ، ففقدت السفينة مرة اخرى . واتصلوا « بنورفولك» حيث وجهتهم مرة اخرى الى مكان « بسمارك » ولكنهم كانوا يطيرون في سحب كثيفة . وارشدهم رادار طائراتهم الى سفينة تحتهم ، ففطسوا خلال السحب ليهجموا عليها ، ولكنهم وجدوا انفسهم فوق سفينة سواحل امريكية على بعد ستة اميال فحسب من « بسمارك » .

الاتصال الاول

ووصل « ايزموند » الى بسمارك » في منتصف الليل ، وركز هجومه رغم النيران الثقيلة المضادة للطائرات التي اخذت « بسمارك » تطلقها . واطلق السرب ثمانية طوربيدات اصاب واحد منها « بسمارك » وعادت الطائرات كلها الى قواعدها باستثناء طائرتين غرقتا ، ولكن نجا طياروهما من الموت بعد ان صارعوا مياه الاطلنطي الباردة المظلمة .

ولم تصب « بسمارك » بأي اضرار . ولكن ثارت ثائرة « ليوتجن » ، فقرر ان يتخلى عن خطته وان يترك السفن البريطانية للغواصات الالمانية ، ويذهب من فوره الى ميناء « سانت نازار » بسبب نقص الوقود ، واستمرت « بسمارك » في طريقها الى الجنوب علها تجد فرصة خلال الظلمات لتهرب من مطاردة الطرادات ولتغير طريقها في دائرة كبيرة تجاه الميناء .

واستمرت « البرنس اوف ويلز » ، و « نورفولك » و « سافولك » تتبع « بسمارك » وهي ترسل تقارير مستمرة عن تحركاتها وسرعتها . وكانت « سافولك » اساسا هي التي تقوم بهذه المهمة نظرا لكفاءة جهاز الرادار فيها ، بينما قامت السفينتان الاخريان بحمايتها ... فيما اذا حاولت « بسمارك » الهجوم عليها .

في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل تبادلت « بسمارك » و « البرنس اوف ويلز » اطلاق النيران على بعد عشرة اميال ، دون حدوث اصابات .

وحدث ارتباك بالفعل في السفن البريطانية من جراء تبادل اطلاق النيران ، استطاعت « بسمارك » خلال هذه المناورة البارعة ان تفلت من المراقبة . وكان على قواد البحرية البريطانية ان يحدسوا اين قرر قائدها الذهاب بها ، وبدات السفن كلها عملية البحث عن « بسمارك » وفشلت جميعا في العثور على اي اثر لها .

كانت السفن البريطانية تعرف مكان « بسمارك » ولكنها لم تكن تشاهدها بنفسها ، ولذلك أصبح من المتعذر الدخول في معركة الان بينما هي بحاجة الى التزود بالوقود فلقد كان على السفينة « ريبالس » أن تذهب الان الى « تيوفوند لاند » لنقص الوقود ، اما « البرنس اوف ويلز » فقد حولت طريقها الى « ايسلنده » للتزود بالوقود .

كان الطقس نفسه سيئا ، الرياح شديدة والبحر ثقيل والامواج عالية، وبدا المطر يهطل بشدة جعلت الرؤية متعذرة ، وظهرت سحب كثيفة منخفضة القت بستار من الظلام الكثيف على مياه المحيط .

وفي اليوم التالي — ٢٦ مايس — ابصرت احدى طائرات الاستكشاف من — اورك رويال — السفينة « بسمارك » وحددت موقعها بدقة . ومنذ تلك اللحظة لم تكف طائرات الاستكشاف عن الدوران حولها ثانية واحدة ، ولم تدعها تفلت من ناظرها ، ومرسلة التقارير الواحد وراء الاخر تحدد موقعها بالدقة وخط سيرها وسرعتها .

كانت « بسمارك » تبعد ١٣٠ ميلا عن « الملك جورج الخامس » ورودني ولكنها كانت في موقع مناسب تماما من — القوة هـ — التي كانت تتكون من — شفيلد — و — آرك رويال — و — ريناون — . ولكن — ريناون — قررت عدم الاشتراك في المعركة لان عمرها ٢٥ سنة ولا يمكنها تحمل نيران « بسمارك » .

وهكذا اقترب « الادميرال سومرفيل » من « بسمارك » على بعد ٥٠ ميلا فحسب وقرر ان تدخل طائرات حاملة الطائرات « آرك رويال » المعركة بطائراتها « السورد فيش » وذلك بالقاء الطوربيدات عليها .

كان الجو سيئا ، فقد كان الممر الممهد على حاملة الطائرات يرتفع وينخفض ٥٦ قدما ، مما جعل مهمة الطائرات في منتهى الصعوبة . وفي مثل هذا الجو ايضا لم تكن رؤية « بسمارك » ممكنة بالنظر ، ولكن بأجهزة الرادار فقط ، ولذلك فعندما تبينت الطائرات جسما في المحيط على بعد ٢٠ ميلا من المكان الذي كان محددا « لبسمارك » من قبل ، اخترقت السحب الكثيفة وهجمت والقت عليه ١١ طوربيدا . ولكن بعد ان وقعت الواقعة ، اكتشف الطيارون ان السفينة التي هاجموها هي « شفيلد » وليست « بسمارك » ولكن لحسن حظها لم تصب بسوء ، فقد انفجر طوربيدان بمجرد لمسهما للماء ، اما الطوربيدات الباقية ، فقد تجنبتها « شفيلد » بعد ان قامت ببعض المناورات .

نشاط الطائرات

وتزودت مرة اخرى بالوقود من حاملة الطائرات ثم طارت ، بعد ان طلبت الاتصال « بشفيلد » لتحديد مكان — بسمارك — بالدقة . وانتظمت الطائرات في سربين وشاهدت شفيلد بعد نصف ساعة ، بعد ان كانوا قد فقدوا اثرها نتيجة للجو السيىء للغاية ، ووجهتهم شفيلد الى مكان — بسمارك — الذي يبعد عنها ١٢ ميلا ، ناحية الجنوب الشرقي . وعندما اقترب السربان من — بسمارك — كانا يطيران في سحابة تصل قاعدتها حتى ٧٠٠ قدم ، وهكذا انفرط عقد السرب ، فكان على كل طيار ان يضرب بمفرده .

وانطلق نحو — بسمارك — ١٣ طوربيدا ، ولكن الطائرات قابلتها بنيران حامية الوطيس ، حتى انه اكتشف ان طائرة واحدة بعد ان نزلت على ممر — ارك رويال — قد اصابتها مائة شظية واصيب ملاحاها الاثنان وطيارها .

اما — بسمارك — فقد اصابها طوربيدان اصابة محققة ، كانت اصابة احدهما في الجانب الايمن وهي التي ادت فيما بعد الى مصرعها ، بعد ان اصابت الكثير من اجهزتها .

بعد الانتهاء من الضرب ، شاهدت — بسمارك — في الظلام شبح خمس

مدمرات اتية من الشمال الغربي، كان عليها ان تسحب ـ بسمارك ـ لتدخل في مدى مدافع السفن الحربية البريطانية من الناحية الاخرى . كانت هذه المدمرات تتبع اسطول ـ فلوتيلا الرابع ـ وقد تلقت امرا بالانضمام الى قطع الاسطول التي تطارد ـ بسمارك ـ ولكنه سمع اشارة الطائرات بمكان ـ بسمارك ـ هناك وقت يجب فيه على القائد الذكي ان ينسى الاوامر السابقة الصادرة اليه ويقرر بنفسه حسب الحالة اتخاذ أوامر اخرى . وهذا ما فعله قائد المدمرات الخمس بدون تردد ، وهكذا اتصلوا ـ بشفيلد ـ التي كانت قادرة على توجيههم .. واقتربت المدمرات على مدى تسعة اميال من ـ بسمارك ـ واخذت تطلق عليها الطوربيدات كلما سنحت الفرصة .

كانت « بسمارك » رغم اصابتها قادرة تماما على الدفاع عن نفسها، وكانت مدافعها ما زالت سليمة قوية محكمة في اصابة اهدافها ، واستطاعت ان تبعد عنها الطرادات .

ووصلت السفينة ـ نورفولك ـ التي اشتركت منذ اربعة ايام في المعركة وبعد ربع ساعة شاهدت ـ نورفولك ـ على بعد ١٢ ميلا ـ الملك جورج الخامس ـ و ـ رودني ـ وهما تتجهان ايضا الى المعركة .
كان الستار يسدل على الفصل الاخير من المسرحية .

على سطح بسمارك

على سطح ـ بسمارك ـ كان كل البحارة في اماكنهم ، وقد ادركوا جميعا انهم محاصرون . وقد اعلن ـ ليوتجن ـ انه طلب غطاء جويا من سلاح الطيران الالماني ، وان الفواصات الالمانية تحوم حول المكان لاغراق السفن البريطانية . ولكن .. الى الشرق كانت هناك السفينتان الحربيتان ـ رودني ـ و ـ الملك جورج الخامس ـ والى الشمال كانت هناك ـ نورفولك والى الجنوب كانت هناك ـ دور ستشاير ـ التي اتت من جبل طارق . والى شرق بسمارك كانت هناك ـ القوة هـ ـ .

وفتحت ـ رودنى ـ نيرانها وتبعتها ـ الملك جورج الخامس ـ واجابت ـ بسمارك ـ على الضرب بمثله ، كانت ضرباتها الاولى ناحية ـ رودنى ـ محكمة ولكن الضربة الثالثة من ـ رودني ـ اصابت بسمارك ـ اصابة مباشرة . ثم توالت الضربات لتصيب كل مكان في هيكلها ولتسكت مدافعها التي اخذت حدتها تخف شيئا فشيئا .

واصبحت « بسمارك » حطاما في مياه المحيط السوداء ، كان سطحها العلوي يمتلىء بالجثث والجرحى تجرفها الامواج بلا حول ولا قوة .

وصدرت الاوامر ـ الى دور ستشاير ـ بالاقتراب من ـ بسمارك ـ واغراقها بالطوربيدات فأطلقت عليها طوربيدين على جانبها الايمن ،وطوربيدا على جانبها الايسر كانت فيه النهاية .

واخذت « بسمارك » تغوص في مياه المحيط الاطلنطي . وفي ثوان لم يكن هناك اثر لها . والتقطت ـ دور ستشاير ـ ١١٠ من رجالها الذين كان عددهم ٣٢٠٠ . والتقطت السفن الالمانية والاسبانية خمسة اخرين بعد ذلك .
اما ـ البرنس ايوجين ـ فقد رجعت الى فرنسا في اول حزيران ، واما بقية سفن التموين الست فاغرقت كلها واسرت واحدة منها بكاملها .
وهكذا انتهت المغامرة .

اعلان الخبر

وقف (تشرشل) رئيس وزراء بريطانيا في مجلس العموم البريطاني في ٢٧ مايس عام ١٩٤١ ليعلن نبأ ضرب البارجة الالمانية بسمارك واغراقها .
وقد قوبل هذا النبأ بفرح شديد في لندن ووجوم شديد في برلين. فقد كانت « بسمارك » فخر البحرية الالمانية والبعبع الذي كان يخيف السفن الانكليزية في شمال الاطلنطي .

وفي معركة «ايلات» تمكنت القوات المصرية البحرية من تدمير المدمرة الاسرائيلية واغراقها بالصواريخ في بضع دقائق . اما « بسمارك » فقد تطلب اغراقها اسطولا ضخما يتالف من ١٧ قطعة حربية ظلت تطارد البارجة الالمانية ٦ أيام كاملة دارت خلالها معارك رهيبة بين الجانبين .
والفرق بين « ايلات » التي اغرقتها زوارق الصواريخ المصرية و«بسمارك» التي تطلب اغراقها الاسطول البريطاني .. هو الفرق بين الحرب الحديثة بالصواريخ والحرب العالمية الثانية . وفي اللحظة الاولى للمعركة حاولت « ايلات » الهرب من الصاروخ الاول الذي اطلقته زوارقنا عليها . ولكن الصاروخ غير اتجاهه فورا ليلحق بها وينسفها . ثم جاء الصاروخ الثاني بعد دقيقتين ليقضي عليها تماما . وغرقت « ايلات » بالقرب من شاطىء بور سعيد .

اما «بسمارك» فقد تمكنت من الافلات عدة مرات من الاسطول الانكليزي الذي كان يطاردها . بل وتمكنت من اغراق الطراد البريطاني «هود» في احدى المعارك واصابت عددا اخر من السفن والطائرات البريطانية قبل ان تغرق وتبتلعها مياه الاطلنطي بالقرب من شاطىء (سان نازير)الفرنسي..

الرواية الثانية عن خروج بسمارك

في نهاية شتاء عام ١٩٤١ كانت بريطانيا مثخنة بجراح معركة دنكرك ... وكانت الغواصات الالمانية تثير الرعب في قلب السفن التجارية البريطانية في الاطلنطي . اما بحر الشمال فكان مغلقا تماما في وجه البحرية البريطانية بسبب البارجة الالمانية الجبارة « بسمارك » التي تبلغ حمولتها ٥٠ الف طن والتي كانت تقلق مضاجع قادة الاسطول البريطاني في لندن.

وبعد النهاية المحزنة لبريطانيا في معركة كريت ، اختبأ الاسطول الانكليزي في البحر الابيض المتوسط في ميناء الاسكندرية . وفي اعالي البحار كانت مدمرات المانيا وغواصاتها تبذل ما في وسعها لقطع خطوط الامدادات البريطانية ... وتجويع الشعب البريطاني حتى يجثو على ركبتيه ويستسلم لالمانيا ..

وفي مايس ١٩٤١ رأى « الادميرال رايدر » ان الوقت اصبح مناسبا لتسيطر المانيا تماما على مياه الاطلنطي . وبانتهاء بناء « بسمارك » كانت البحرية الالمانية تستطيع تكوين قوة ضاربة في المحيط تتحدى اية قوة اخرى هناك . وكانت « بسمارك » تقف في ميناء « برجين » في بحر البلطيق . وكان هناك ايضا الطراد الالماني « البرنس ايوجين » .

وفي ٢٢ مايس ١٩٤١ صدرت اليهما الاوامر بالابحار ، ولكن الانكليز تمكنوا من معرفة نبأ خروج بسمارك الى الاطلنطي .

كيف علمت البحرية البريطانية بذلك ؟ ..

..هناك قصتان مختلفتان حول تسرب نبأ تحرك « بسمارك » من ميناء « برجن » الالماني :

القصة الموجودة في وثائق الحرب العالمية الثانية تقول : ان طائرات الاستكشاف البريطانية تمكنت من تصوير « بسمارك » والطراد الالماني

« البرنس ايوجين » وهما يغادران ميناء برجن . وعلى الفور ابلغ النبأ الى قيادة البحرية في لندن التي اعلنت حالة الطوارىء بين الاسطول البريطاني ..

والقصة الثانية تكشفت اخيرا بعد اذاعة اسرار الجاسوس البريطاني فيلبي . فقد جاء في تقارير المخابرات البريطانية اثناء عمل فيلبي معها ان الانكليز تمكنوا في آب عام ١٩٤٠ من اسر الغواصة الالمانية « يو — ٢٧٠ ». ومع قائدها جواكيم راملو عثروا على جهاز للارسال سليم تماما . يطلق عليه اسم « انيجما » .

وكانت هذه ضربة حظ كبرى لمخابرات بريطانيا .

فقد كان الجهاز « انيجما » عبارة عن آلة خاصة للشفرة ابتكرها الالمان وتحدوا بها اية دولة في العالم ان تستطيع حل الشفرة الالمانية ، وقد كان ذلك مستحيلا الا بالحصول على جهاز ارسال مماثل تماما للجهاز الالماني ، وكانت الغواصات الالمانية مزودة باجهزة « انيجما » ... وكان استخدام الجهاز مقصورا على ربان الغواصة الذي كان عليه ان يبلغ الادميرال دوينتز القائد العام للاسطول الالماني موقعه بالشفرة يوميا .

واستخدم الانكليز الجهاز الذي وقع في ايديهم في تتبع تحركات الاسطول الالماني طوال الحرب . وكانت اعظم خدمة اداها لهم الجهاز معرفة سر خروج بسمارك . ولولا ذلك لاستمرت مذبحة قوافل الحلفاء في الاطلنطي . وربما تغيرت نتيجة الحرب .

الانتقام

وفي كانون الاول ١٩٤١ هاجم اليابانيون بيرل هاربور وهونغ كونغ وسنغافورة ، وصدرت الاوامر الى الاسطول البريطاني في الشرق الاقصى بمحاولة تحطيم خطوط مواصلات البحرية اليابانية وسفن انزالها التي كانت تحمل القوات اليابانية لغزو تايلاند « سيام آنذاك » والملايو . وكانت الخطة الموضوعة هي ان تضرب بريطانيا بشدة الاخطبوط الياباني قبل ان تصل اذرعه الى سنغافورة وتهاجمها برا .

وتقرر الاستعانة باكبر سفينتين في الاسطول البريطاني وهما البارجة « برنس اوف ويلز » والطراد الحربي « ريبالس » ومعهما عدد كبير من المدمرات ، وعلى بعد ٥٠ ميلا من ساحل الملايو شوهد الاسطول البريطاني بواسطة طائرات الاستكشاف اليابانية ، وكانت المذبحة . فعقب وصول

انباء تحركات الاسطول قامت على الفور تشكيلات كبيرة من قاذفات القنابل لضربه رغم سوء الاحوال الجوية ، وحاول الاسطول البريطاني الهرب بالسير في طريق متعرج وباقصى سرعـة حتى لا تصيبه قذائف الطوربيد .

ولكن الطائرات اليابانية ركزت ضرب الطوربيد على الجائزتين الثمينتين « برنس اوف ويلز » و« ريبالس » وفي لحظات معدودة غرقت البارجتـان والنيران مشتعلة فيهمـا ، وفي البدايـة لم تصدق بريطانيا ما حدث ، ولكن عندمـا اعلن تشرشل النبأ بصوت حزين في مجلس العموم قال :

« طوال حياتي حتى الان لم تتلق بريطانيا لطمة قويـة في البحـر كالتـي تلقتها عند اغراق « برنس اوفويلز »و« ريبالس »، وسيؤدي ذلك الى تحطيم كل آمالنـا في مقاومة الخطر الياباني في الشرق الاقصى . وقـد نفذت خطة الهجوم على اسطولنـا هناك ببراعة وتصميم يثيران الاعجاب »

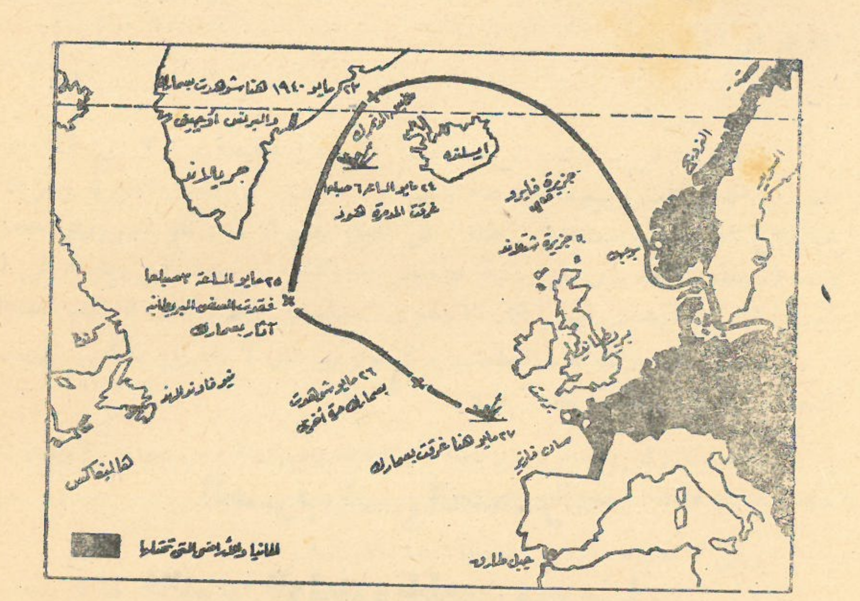
خـداع المحيـط

وتتحدث سجلات الحرب العالمية الثانية عن المعارك البحرية التـي خاضتها السفينة الالمانية « اتلانتيس » . وهي التي اغرقت الباخرة المصرية « زمزم » عام ١٩٤١ ، وكان عليها ١٤٠ امريكيا و١٦٠ بحارا اسرتهم السفينة الالمانية .. وكانت « اتلانتيس » تعرف باسم السفينة المغيرة لانهـا كانت تفاجىء قوافل الحلفاء وتغرق سفنهم بعد ان تخدعهم بمظهرها البريء.

وكانت « اتلانتيس » سفينة شحن كبيرة حولها الالمان الى قطعة حربية هامة اشتركت مع ثماني سفن اخرى من نوعها في اغراق ١٣٦ سفينةللحلفاء وكان لاتلانتيسنصيب الاسد في هذه العمليات بفضل دهاء قائدها برنارد روج وبراعته في السيطرة على الرجال ..

وعندمـا كانت اتلانتيس تقابل سفينة بريطانية كانت ترفع علم دولـة اخرى غير مشتركـة في الحرب ويمثل بحارتها على السطح دور المسافرين على باخرة عادية ، وكان بعضهم يرتدي ازياء نسائية والبعض الاخر يسترخي في المقاعد الوثيرة بينمـا بحار اخـر في ثياب امراة يدفع عربة اطفل امامه على السطح .. كل هذا حتى تطمئن السفينة البريطانية لمظهر « اتلانتيس » الخادعوتتركها تقترب منها .. وهنا تحدث المفاجأة وتظهر مدافع «اتلانتيس» للقضاء علـى الضحية الساذجة .

وقد حيرت « اتلانتيس » البحريـة البريطانية التي ظلت تبحث عنها



خريطـة لمطاردة بسمارك هذه الخريطة تصور بسمارك في المحيط الاطلسي عندمـا وصلت اليها البوارج الانكليزية ودمرتها ..

سنتين بعد ان اغرقت اكثر مـن ٥٠ سفينة بريطانية في الاطلنطي وحولراس الرجاء الصالح وعند منطقة خط الاستواء ... خدم الحظ بريطانيا عندمـا عثرت الطرادة البريطانية « ديفونشاير » عليهـا وهي تقوم بتموين احـدى الغواصات الالمانية بالبترول ، وحاول قائد « اتلانتيس » خداع الانكليز مرة اخرى فادعى انه سفينة اميركية ، ولكن قائد الطراد حاصره لمدة ساعة حتى يتأكـد من هذه المعلومـات من مقر القيادة ، وعندمـا تأكد عدم صحتهـا اطلق عليها عدة قذائف دمرت « اتلانتيس » وقبل انيترك قائد« اتلانتيس » السفينة امر بحارتها باغراقهـا حتى لا يستفيد منها العدو .

وهكذا انتهت قصة « اتلانتيس » بعد ان دوخت بريطانيا .

٦

الحرب في الصحراء

خالد بن الوليد ونابليون وروميل

القواد العظام

الحرب ليست معركة واحدة ينتصر فيها هذا الجانب او ذاك ثم تنتهي ... الحرب سلسلة من المعارك التي يمكن ان يلقى فيها الجانب المنتصر الهزيمة في النهاية ، ويلقى فيها الجانب المهزوم النصر في النهاية ..وحرب الصحراء الغربية التي استمرت بين الانكليز وحلفائهم من جانب ،والايطاليين والالمان من جانب آخر على طول نحو ثلاث سنوات ، كانت مكونة من عدة معارك كبرى ، انتصر فيها الايطاليون احيانا وانتصر فيها الانكليز احيانا ، وانتصر فيها الالمان احيانا .. وكل معركة كبرى من هذه المعارك كانت تتكون من عمليات عسكرية متعددة منها عمليات برية ، وعمليات بحرية، وعمليات جوية .. ومنها غارات محدودة القوة ومحدودة الهدف لتحقيق اغراض معينة تخدم هذه العملية العسكرية او تلك .. وبعد كل معركة من هذه المعارك كان المنسحب يترك وراءه في الصحراء القتلى والجرحى والاسرى ، ليعيد تنظيم قواته ثم يعود الى الهجوم .. وفي كل غارة فدائية كان الرجال يبرزون ابطالا لا في نظر قوادهم بل في نظر العالم .

تحرير من رومل

« حبيبتي لـو

« هبطت في ستاكف في الساعة ١٢ و٤٥ دقيقة . اولا الى قائد عام الجيش الذي كلفني بمهمة جديدة . ثم الى الفوهرر . الامور تتحرك بسرعة. حاجاتي الشخصية ستصلني هنا . لن آخذ معي الا ما هو ضروري جدا. ربما استطيع الحصول على بقية حاجاتي بعد ذلك . لست في حاجة الى ان اصف لك كيف يدورراسي بكل ما يجري .ستمضي شهور قبل ان تتم المهمة.

« اذن فاجازتنا قد انقطعت . لا تحزني كان لا بد من ذلك . المهمة الجديدة كبيرة وهامة جدا .. »

هكذا كان اول تحرير ارسله اللفتنانت جنرال اروين روميل الى زوجته عقب توليه قيادة فيلق الصحراء .

وفي ٧ شباط ارسل خطابا ثانيا جاء فيه :

« نمت مع مهمتي الجديدة الليلة الماضية. انها ستكون علاجا للروماتيزم الذي اصابني امامي الكثير جدا الذي يجب انجازه خلال الساعات القليلة الباقية حتى استطيع ان اجمع ما انا محتاج اليه » .

وفهمت زوجة الجنرال روميل من هذين الخطابين ان زوجها قد قابل الفيلدمارشال فون براوشيتش ، قائد عام الجيش الالماني في برلين ، وانه قابل هتلر كذلك. وانه تولى مهمة في افريقيا ما دام يتحدث عن علاج الروماتيزم . وكان هذا بالضبط ما حدث .

ففي بداية شهر شباط ١٩٤١ ، وعقب ١٩٤١ ، وعقب وصول قوات ويفيل الثلاثين الفا الى العجيلة ، وانزالها هزيمة ساحقة بالقوات الايطالية في الصحراء الغربية ، واسرها ١٣٠ الف جندي ايطالي ، واستيلائها على كميات هائلة من المعدات والاسلحة ،ابلغ احد الضباط الملحقين بمقر قيادة هتلر الجنرال روميل ، الذي كان يقضي اجازته مع زوجته ، ان عليه ان يقطع اجازته وان يقدم نفسه الى الفيلد مارشال فون براوشيتش والى الفوهرر ، فورا .

وكان الجنرال رومل قد بدأ يكتسب شهرة بين القواد الالمان اثناء قيادته لفرقة اسمها « فرقة الاشباح » في فرنسا ،حيث اصبح معروفا بالدهاء الشديد ، والعقل الراجح ، والجرأة في الحركة السريعة ، والخبرة في

تكتيكات حرب المدرعات .

وعندما قابل روميل المارشال فون براوشيتش في برلين في٦ شباط شرح له هذا الاخير مهمته الجديدة . وابلغه انه نظرا الى الوضع الخطير الذي أصبح عليه الايطاليون ، حلفاء المانيا ، في شمال افريقيا ، فقد تقرر ارسال فرقتين مدرعتين المانيتين الى ليبيا لمساعدتهم . وان احدى الفرقتين خفيفة ، والاخرى ثقيلة ، وكلفه بأن يتولى قيادة هذا الفيلق الافريقي ، الذي يمثل اول قوات المانية تتوجه الى هناك . ثم طلب منه ان يسافر الى ليبيا باسرع ما يمكن لكي يستكشف ميدان المعركة بنفسه .

وكان الشرط الاساسي لقيام المانيا بتقديم تلك المساعدة لحلفائها الايطالين هو ان يوافق الايطاليون على التعهد بالدفاع عن طرابلس ، لتأمين المجال اللازم لعمليات سلاح الطيران الالماني في افريقيا ، وهو شرط كان لا يتفق مع الخطة الايطالية الاصلية . ثم كان هناك شرط آخر هو ان تكون جميع القوات الايطالية الراكبة تحت قيادة رومل ، على ان يكون روميل نفسه خاضعا رسميا لقيادة المارشال جرازياني .

وفي عصر ذلك اليوم نفسه ، قدم روميل نفسه الى هتلر ، الذيحدثه بتفصيل عن الموقف في شمال افريقيا وابلغه انه اقدر العسكريين الالمان على التلاؤم السريع مع ظروف ميدان العمليات العسكرية في افريقيا . وابلغه هتلر ان الكولونيل شمونت ، رئيس اركان حربه ، سيصحبه فيالمرحلة الاولى من جولته الاستطلاعية . ونصحه بان يقوم بتجميع القوات الالمانية في المنطقة المحيطة بطرابلس حتى يستطيع ان يستخدمها كجسم واحد .

وفي المساء ، اطلع هتلر الجنرال روميل على اعداد من المجلات الاميركية والبريطانية المصورة والتي كانت تتضمن وصفا لتقدم قواتالجنرال ويفيل عبر برقة . ويقول روميل في مذكراته ان اكثر ما لفت نظره في هذا الوصف ذلك التناسق الواضح بين القوات المدرعة البرية والقوات البحرية في عمليات ويفيل .

الثعلب يستعد

وفي ١٢ شباط ١٩٤١ ، طار روميل الى طرابلس ، بعد اجتماعاته مع هتلر وفون براوشيتش في برلين ، ومع رئيس اركان حرب الجيش الايطالي في روما ،ومع الجنرال غايسلر ، قائد الفيلق الجوي الالماني في

صقلية ، لكي يصبح من ذلك اليوم اشهر عسكري الماني في تاريخ الحرب العالمية الثانية ، ولكي يحمل عبر التاريخ المعاصر كله لقب « ثعلب الصحراء» بعد ان سجل اشدّ انتصاراته بريقا في حرب الصحراء الغربية .

ولم تكن شهرة روميل مقصورة على قواته الالمانية ، وانما امتدت هذه الشهرة الى القوات البريطانية نفسها ، بحيث اضطرت المخابرات البريطانية الى اصدار التحذيرات والى وضع خطط لمواجهة هذه الشهرة بحرب نفسية مضادة .

وما ان وصل روميل الى طرابلس حتى بدأ محادثات صعبة معالجنرال غاريبولدي ، قائد عام القوات الايطالية في شمال افريقيا ، والذي كان روميل مسئولا امامه اسما . ثم قام لمدة يومين بجولة استكشافية لارض المعارك . وكتب الى زوجته يقول :

« كل شيء على ما يرام . ارجو ان استطيع تنفيذ المهمة . انا في صحة جيدة لا شيء يدعوك الى القلق . امامي عمل كثير . قمت بالفعل باستكشاف ما حولي » .

وفي ١٧ شباط ارسل اليها خطابه الرابع منذ تولي مهمته الجديدة ، يقول فيه :

« كل شيء رائع . الشمس ساطعة بقوة هائلة . علاقاتي بالقيادة الايطالية على احسن ما يمكن ولا اتصور تعاونا افضل . الاولاد في الجبهة التي تحركت ٢٥٠ ميلا الى الشرق . فيما يتعلق بي فانا على استعداد للترحيب بالاخرين متى جاءوا » .

وكانت القوات الامامية الالمانية قد وصلت الى طرابلس عن طريق البحر . وكان من المنتظر ان يكتمل وصول الفرقة المدرعة الخفيفة في منتصف نيسان وان يتم نقل فرقة المدرعات الثقيلة الخامسة عشرة في اخر مايس . ويصبح روميل مستعدا لشن هجوم عام على القوات البريطانية .

وفي ١٩ شباط ، طار روميل الى برلين لكي يحصل من هتلر علىاذن بان يسمح له بالقيام بعمليات هجومية للاستيلاء على برقة في اواخر مايس .

قوبل طلبه هذا ببرود شديد ، وابلغه المارشال فون براوشيتش انه لا توجد اية نية لتوجيه ضربة حاسمة ضد القوات البريطانية في شمال افريقيا في المستقبل القريب ، وانه لا توجد انصبة من الجنودوالاسلحة

والعتاد والتموين مقررة لتوجيه مثل هذه الضربة .

ولم يعرف روميل حينذاك السبب في هذا الموقف الغريب ، ولم يقل له احد ان السبب هو ان المانيا كانت قد قررت التدخل عسكريا في يوغوسلافيا واليونان ، كمقدمة لحماية الجناح الايمن للجيش الالماني الذي كان يستعد لتنفيذ عملية « باربروسا » لغزو الاتحاد السوفييتي في حزيران من تلك السنة نفسها .

ومع هذا ، فان المارشال براوشيتش قال للجنرال روميل :انه يستطيع ان يقوم بهجوم على العجيلة في اواخر مايو بعد اكتمال وصول قواته، ويحاول استردادها من ايدي البريطانيين . وانه من الممكن بعد ذلك وعلى ضوء نتائج مثل هذا الهجوم اعادة النظر في الموقف في شمال افريقيا .

وعاد روميل الى افريقيا ، واخذ يستعد للهجوم على العجيلة ، ولم تكن قوات الفيلق الالماني كثيرة العدد ، وكانت القوات الجوية التي تعتمد عليها لا تزيد على مائتي طائرة ، تواجه نحو الفي طائرة بريطانية .

ومن ثم ، فقد وضع روميل خطته للهجوم على أساس الاعتماد على المفاجأة وسرعة الحركة وتشعب اتجاهات الهجوم والتقدم المستمر بصرف النظر عن تصفية الجيوب المتخلفة وراء الخطوط . ولقد اصبحت تكتيكاته هذه جزءا لا يتجزأ من اسلوب حرب الصحراء الحديثة . كما اصبح روميل اول قائد عسكري يخوض معارك الصحراء بدون الاعتماد اعتمادا اساسيا على القوات الجوية المتفوقة .

وبدا الهجوم

واخذت القوات الالمانية المكونة للفيلق الافريقي تصل بطريق البحر الى طرابلس حيث كان يجري حشدها في « سيرته » . وفي ٢٤ شباط اصطدمت الدوريات الالمانية بالبريطانية لاول مرة في « نوفيا » .

واستمر روميل يعد قواته ويستكشف ميدان الحرب ، ويضع خططه.

وفي ٥ مارس كتب رسالة خامسة الى زوجته يقول فيها :

« عدت لتوي من رحلة استغرقت يومين . قمت برحلة جوية الى الجبهة التي تبعد الان ٤٥٠ ميلا الى الشرق . كل شيء يسير على ما يرام ..

« العمل كثير . لا استطيع ان اغادر مكاني في الوقت الراهن اذ لا

استطيع ان ابرر غيابي . اشياء كثيرة تعتمد على شخصي وعلى قوتي الدافعة . امل ان تكوني قد تلقيت خطاباتي .

« قواتي قادمة . السرعة هي الشي الوحيد الذي له اهمية هنا . الجو يلائمني تماما . بل انني قد نمت هذا الصباح الى ما بعد السادسة..»

وسافر روميل الى برلين مرة اخرى في ١٨ مارس ، لكنه فشل في الحصول على اذن بالقيام بهجوم عام الماني في برقة قبل نهاية مايس ، وظل الاذن المعطى له مقصورا على محاولة استرداد العجيلة .

وفي ٢٤ مارس ، هاجم الالمان ، مع حلفائهم الايطاليين ، العجيلة واستولوا عليها . وفي اليوم التالي ارسل روميل خطابا الى زوجته يقول فيه :

« قضيت اول يوم منذ قدومي في البحر . انه مكان بديع .الاقامة في عربتي المتحركة المريحة طيبة ، اشبه بالاقامة في الفندق . عمت في البحر في الصباح . الجو دافيء جميل .. تناولت قهوة في الصباح ... تلقيت من الجنرال الايطالي كالفى دي بورجوالو بورنس حمام .. رائع . الوانه زرقاء وسوداء ومطرز بالحرير الاحمر . انه يصلح لان يكون عباءة مسرح لك ..

« لا جديد في الجبهة . على ان امنع القوات من الاندفاع الى الامام. اخذنا موقعا جديدا على بعد ٢٠ ميلا من الشرق . هناك بعض الوجوه المتجهمة بين اصدقائنا الايطاليين » .

انسحاب الانكليز

وانسحب الانكليز من العجيلة ، وبدا الطريق مفتوحا الى طبرق ،الموقع العسكري الاستراتيجي في برقة ، والميناء الهام بالنسبة لاية قوات تحارب في ليبيا . ولم يضع روميل الفرصة وقرر مطاردة الانكليز المنسحبين فتقدمت قواته الى « مرسى بريجا » واخترقت مواقع الانكليز هناك في ٣١ مارس ثم تقدمت الى اجدابية فوصلتها في ٢ ابريل .

وعندئذ انفتحت ثلاثة طرق امام روميل كان عليه ان يختار طريقا منها.

كان هناك الطريق الجنوبي في الصحراء من اجدابية الى « تنجندر » الى «ميتشلي » الى طبرق . وكان هناك الطريق الصحراوي ايضا من اجدابية الى « انتلات » الى «سوس » الى ميتشيلي الى طبرق ، وكان هناك الطريق الساحلي من اجدابية الى بنغازي الى درنة واختار روميل السير في الطرق الثلاثة ..

وانطلقت قواته تتقدم من اجدابية التي استولت عليها في ٢٤ مارس (اذار) ١٩٤١ الى ان وصلت الى بقيق وسيدي براني في ١٥ ابريل (نيسان) ١٩٤١ . منزلة بذلك هزيمة كبرى بالقوات البريطانية ، وقد اسرت نحو ٨٨ الف جندي بريطاني ، من بينهم الجنرال اوكنور والجنرال نيم قائد جيش الصحراء .

ولقد كان الجنرالان اوكنور ونيم ومعهما الجنرال كويب في طريقهم بالسيارة من مروى متجهين الى تميمي . ولكنهم انفصلوا عن القوات المنسحبة، وفقدوا الاتصال ، وضلوا الطريق في الظلام وفي العواصف الترابية ، حتى وجدوا انفسهم في الطريق الى درنة . وعندئذ شعروا بالتعب فناموا ولم يستقيظوا الا على صوت جنود دورية المانية تأمرهم بالتسليم ، واستسلموا ودخلوا مصيدة الاسرى الانكليز التي كانت في يد الالمان . وهكذا انتهى ريتشارد اوكنور ، مهندس انتصار ويفيل ، اسيرا مع الاسرى .

وعلى الرغم من هذا الانتصار الخاطف الذي احرزه روميل ، فأن قواته لم تستطع ان تدخل طبرق ، فحاصرتها . وكان من راي روميل ان يقوم بهجوم على طبرق ، لكن الجنرال هالدر امره بان يترك طبرق محاصرة دون ان يحاول اقتحامها ، وان يعهد بعملية الحصار الى القوات الايطالية، وان يقوم هو بتركيز قواته الالمانية حول السلوم . وقد فعل روميل ذلك ، خاصة بعد ان فشل هجوم الماني من ٣٠ ابريل الى ٤ مايو في دخول طبرق ، وان نجح في دق اسفينات في الخطوط البريطانية المدافعة عن الميناء الحيوي .

وفي ٢٥ ابريل (نيسان) ، استولت القوات الالمانية على ممر حلفاية ، مفتاح الطريق الى مصر من الغرب ، وتراجع الانكليز الى مرسى مطروح .

معارك حلفاية وطبرق

واذا كان ممر حلفاية ذا اهمية استراتيجية كبرى ، فلقد حاول كل جانب التمسك به . فجرت حوله معارك عديدة بين الانكليز والالمان .

ففي ١٥ مايو (ايار) ، وضع الانكليز خطة قصيرة المدى موجزة الاهداف لاصلاح مواقعهم على الحدود المصرية بالاستيلاء على ممر حلفاية . وقامت قوة بريطانية بالتقدم متجنبة الاصطدام المباشر بالتحصينات الالمانية في ممر حلفاية نفسه ، ومتجهة الى كابوتزو .

لكنها اضطرت الى التوقف بسبب تكتيكات روميل الدفاعية الرائعة وبسبب ضعف دروع الدبابات البريطانية .

وفي ١٧ مايو (ايار) ، تقدم روميل الى ممر حلفاية فاجبر القوات البريطانية على الانسحاب مرة اخرى لكي تتجنب خطر قطع خطوط مواصلاتها .

ونظرا لاهمية طبرق ايضا ، فان قوات الجانبين حاولت الاحتفاظ بها. وهي وان كانت بيد الانكليز ، لكنها محاصرة حصارا شديدا من جانب الالمان والايطاليين ، ومهددة ليلا ونهارا بقنابل الطائرات وقصف المدافع ،فقد حاول الانكليز تخليصها من الحصار .

وفي ١٤ يونيو (حزيران) وضع الجنرال ويفيل خطة لكي تتقدم القوات البريطانية من سيدي براني للهجوم على برقة ورفع الحصار عن طبرق . لكن الخطة فشلت .

وبعد ذلك قرر تشرشل تعيين الجنرال اوكنلك ، قائدا عاما للقوات البرية البريطانية في الشرق الاوسط بدلا من الجنرال ويفيل .

ووضع اوكنلك خطة عرفت باسم « الصليبي » للهجوم على برقةورفع الحصار عن طبرق . واستطاعت هذه الخطة ان تستعيد برقة للحلفاء ، لكنها كانت احدى معارك الصحراء التي لا تعتمد على الهجوم المفاجيء الذي لا بد وان يتلوه الفرار . اذ كانت القوات المواجهة مستعدة لها . وهذا هو السبب في ان روميل ما لبث ان اعد خطة مضادة عرفت باسم خطة « الهجوم حتى اسلاك الحدود » ، انتهت بسقوط طبرق واسر نحو ٣٥ الف جندي من جنوب افريقيا فيها ، وتقدم القوات الالمانية حتى العلمين التي ظلت عندها الى ان بدأ هجوم الجيش الثامن بقيادة الجنرال مونتجومري في ٢٤ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٤٢ .

على هامش الحرب

واذا كانت معارك الصحراء بين الانكليز والالمان في تلك المرحلة تميزت اساسا بكونها معارك برية ، تعتمد اساسا على القوات المدرعة ، فان ثمة معارك هامة اخرى جرت في البحر وفي الجو بنتائج لا تقل اهمية عن نتائج المعارك البرية .

فبعد سقوط فرنسا اصبحت بريطانيا تمسك بطرفي البحر الابيض المتوسط بقوات كبيرة تستند الى قاعدتين اساسيتين في جبل طارق والاسكندرية . بينما كانت ايطاليا تسيطر على وسط البحر الابيض المتوسط بقوات لها قواعد في مسنيا وباليرمو بجزيرة صقلية ، وفي تورنتو ونابولي في جنوب ايطاليا ، وفي بنغازي وطرابلس على ساحل شمال افريقيا. ولم يكن الاسطول البريطاني يتفوق كثيرا على الاسطول الايطالي .. فقد كان لدى الانكيلز سبع بوارج وحاملتان للطائرات هما « ايجل » و« ارك رويال » . وكان لدى الايطاليين ست بوارج ويعتمدون على قواعد برية لقواتهم الجوية . وكان في استطاعة الايطاليين ان يستخدموا ٢١ طرادا ضد ٨ طرادات بريطانية ، و٥٠ مدمرة وعددا كبيرا من زوارق الطوربيد ضد ٣٧ مدمرة بريطانية ، و١٠٠ غواصة ضد ٨ غواصات بريطانية .

وكان عند الايطاليين ٢٠٠٠ طائرة في المنطقة مقابل ٢٠٠ طائرة كانت عند الانكليز .

ومع هذا ، فقد استطاع الاسطول البريطاني والسلاح الجوي البريطاني ان ينزلا خسائر فادحة بالقوات البحرية والجوية الايطالية ، بفضل دقة مخابراتهم ، وحسن تدريبهم ، في معارك معقدة تحتاج الى الدقة في تحديد مواقع قوات العدو ، وتحتاج الى السرعة في مواجهته ، وتحتاج الى الدقة في قتاله وتدميره .

لكن الايطاليين استطاعوا ان يسجلوا لانفسهم بطولة عملية بحرية ، هي مفخرة لهم .

ففي ليلة من ليالي نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٤١ ، قامت الغواصات الايطالية باسقاط ستة من رجال الضفادع ومعهم طوربيدات بشرية على بعد نحو ميل ونصف ميل خارج ميناء الاسكندرية . واستطاع رجال الضفادع الستة ان يخترقوا الستار الذي يغلق الميناء عادة ، اذ كان مفتوحا في تلك اللحظة للسماح لعدد من المدمرات بالدخول . ثم تسلق رجال الضفادع الشبكات الواقية التي كانت مقامة حول بارجتين بريطانيتين هما « كوين اليزابيت » و« فاليانت » ، ووضعوا المتفجرات تحتهما وتحت ناقلة البترول «ساجونا » . وعندما انفجر الديناميت فقد الاسطول البريطاني قطعتين من اهم قطعه البحرية .

وقد تم القبض على رجال الضفادع الستة وقائدهم اللفتنانت دوراند

ديلابيتي . وظلوا في الاسر حتى خرجت ايطاليا من الحرب قبل نهايتها باشهر عديدة . وعندئذ تم الافراج عنهم ، ومنح اللفتنانت دبلابيتي الوسام الذهبي الايطالي للشجاعة .

واغرب ما في الامر ان الذي وضع هذا الوسام على صدر الضابط الايطالي الفدائي كان الرير ادميرال مورجان البريطاني ، والذي كان قائد البارجة « فاليانت » في ليلة تلك الغارة الايطالية الجريئة .

وكان ثمة عمليات كثيرة متبادلة بين العدوين المتواجهين هدفها اما تخريب المواصلات في الخطوط الخلفية ، او اقلاق القوات بغارات صغيرة مستمرة تحرمها من النوم والاستقرار وتجعل كل جندي يسير وهو ينظر وراءه ، او تخريب الطائرات وهي على الارض ، او انزال فدائيين بالغواصات خلف خطوط العدو ، او حتى محاولة خطف القواد .

ومن ابرز حوادث تلك الفترة محاولة خطف روميل او قتله في مقر قيادته المعروف باسم « بيت روميل » في سيدي رفاعة .

ففي اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤١ ، قام ستة من الضباط البريطانيين ومعهم ٥٣ صف ضابط وجندي ، بالنزول سرا على الساحل الليبي على مسافة قريبة من سيدي رفاعة . وكانوا بقيادة اللفتنانت كولونيل جوفري كايز والكولونيل لايكوك . وكان يشرف على هذه العملية الكابتن هاسلون ، الذي كان ملحقا بالفيلق العربي الليبي ، والذي كان يتكلم العربية والايطالية بطلاقة . وكان يتجول بحرية في اراضي العدو يعاونه عدد من العرب الاحرار الليبيين الذين كانوا يكرهون الحكم الايطالي ويحاربونه ...

وزحفت قوة الفدائيين هذه تحت ستار الليل وفي قلب عاصفة رملية مفاجئة وهي مسلحة بالمدافع السريعة الطلقات والقنابل اليدوية حتى وصلت الى ما قيل لها عنه بانه مقر قيادة روميل . لكنها عرفت متأخرا ان روميل ليس في هذا البيت وانما هو موجود مع قواته في الخطوط الامامية . وانكشف امرها ، وخرج الحراس الالمان يطلقون عليها النار .

وفشلت الغارة ، ومات جميع الرجال ، بسبب سوء معلومات المخابرات. لكن العمل نفسه بث القلق في نفوس الالمان ، كما ادى الى رفع الروح المعنوية في صفوف القوات البريطانية المهزومة والمرابطة عند مرسى مطروح

ومن المعليات التي جرت على هامش المعارك ، عملية اغلاق قناة السويس ، لمدة ثلاثة اسابيع ، بعد ان اسقطت الطائرات الالمانية في مياهها الغاما مغناطيسية .

وضع بريطاني سيىء

وبانتهاء جميع هذه العمليات الكبيرة والصغيرة ، بدا وضع القوات البريطانية سيئا للغاية وخطيرا اشد الخطورة في الشرق الاوسط .

ويقول سير باسيل ليدل هارت ، المعلق العسكري البريطاني المشهور انه لو كان هتلر لم يشغل نفسه بالاستعداد لغزو الاتحاد السوفيتي ،ولو ان روميل حصل على تعزيزات وامدادات تمثل خمس ما كان محشودا على الجبهة الشرقية،لاستطاع الالمان دخول مصر .

فقد كانت القوات البريطانية البحرية والبرية بل والجوية ، قد وصلت الى نهايتها في اواخر عام ١٩٤١ . وقد انهكت قواتها الحملة ضد قوات حكومة فيشي في سوريا . واختفت ، كقتلى واسرى ، اغلبية الثلاثين الف جندي الذين كانوا يكونون جيش الصحراء الغربية ، والذين احرزوا الانتصارات في المعارك ضد الايطاليين ، وحل محلهم جنود جدد لا دراية لهم بحرب الصحراء ، يقودهم ضباط جدد ليست لديهم خطط دقيقة تستند الى معرفة حقيقية بارضية ميدان القتال ، او بعقلية العدو ونفسيته .

لكن الذي حدث هو ان هتلر اختار مصيرا اخر له ولالمانيا بالهجوم على الاتحاد السوفييتي ولم يستطع روميل ان يحصل على ما يريد . وتوقف الزحف الالماني على مصر في انتظار تعزيزات وامدادات لم تصل . بينما استطاع الانكليز ان يعيدوا تنظيم قواتهم . حتى بدأوا معركة العلمين .

* * *

يعتبر ما كتبه روميل عن معاركه وحركاته العسكرية من اروع الوثائق العسكرية كما يقول ليدل هارت اكبر كاتب عسكري بريطاني .. الذي يقول ان ما كتبه روميل يعتبر مساهمة عظيمة في ميدان الفكر العسكري .. علاوة على ان التعليقات الحكيمة التي تملأ كتابه كله ، وكلها عن مجالات جديدة مثل : الحشد زمنا وليس مكانا .. والسرعة في مواجهةتفوق العدو .. والمرونة كوسيلة للمفاجأة .. والامن الذي توفره الجراة .. خلق مستويات جديدة وعدم الخضوع للامر الجاري .. واخيرا عن الطريقة التي يمكن بها تعويض النقص في استخدام القوة الجوية ..

ويمتاز روميل في تصويره للعمليات بالوضوح والدقة الكبيرة مما زاد من قيمة كتاباته ودقة تصويره لاسباب كثيرة منها : اسلوبه في القيادة وعادته في الاندفاع للامام محاولا ان يكون دائما في المكان والوقت

المناسبين ، كما انها تدين أيضا الى تدريبه الذاتي في الملاحظة وتطويره لها ... بحيث يمكنه الالمام بجميع المعلومات في اقصر وقت ممكن ..

وهناك تشابه واضح بين لورنس الحرب الاولى وروميل الحرب الثانية ، بالرغم من الفارق في طباعهما ومستوى دراستهما وفلسفتهما ، فقد كانا متقاربين للغاية في احساسهما للوقت وعلاقته بالمكان ، وفي قدرتهما على تحليل المفاجأة بطريقة غريزية ، وقدرتهما على تحليل الارض، وانتهاز الفرص والجمع بين المرونة والقدرة على التنبوء وتقديرهما لاهمية القيادة الشخصية المباشرة .

الحرب الخاطفة

واذا أردنا المقارنة بين القادة المشهورين ، يجب ان يكون ذلك على اساس فنهم العسكري الذي يمكن تمييزه من أساليبهم المتطورة في القتال، على ان تكون هذه الدراسة مبنية على الاستخدام الذي قاموا به للامكانيات التي كانت في حوزتهم لتحقيق أهدافهم ، وخاصة استخدامهم لمبدأ خفة الحركة والمرونة والمفاجأة للاخلال بتوازن خصومهم جثمانيا وعقليا ..

ولكي نحكم بعدل ونزاهة ، يجب ان نأخذ في أعتبارنا الظروف والموارد للطرفين ، بالاضافة الى العوامل الاخرى التي تخرج عن نطاق سيطرة القائد ، ويمكن عندئذ فقط ان نقدر بطريقة سليمة قيمة الاعمال المطلوب الحكم عليها ..

وبالنسبة لروميل .. فقد جمع بين عبقريتين : العبقرية الفكرية والعبقرية التنفيذية ، هذا مع علمنا بان العبقرية ترتبط بالانفرادية في اغلب المجالات .. فبالرغم من ان نظرية الحرب الخاطفة قد وضعت اصلا في انكلترا .. الا ان المام روميل السريع بها والطريقة التي طورها بها تبين استعداده العقلي الضخم وقدراته الفكرية .. وقد كان لقيادته لجيوش افريقيا فرصة كبيرة لتطبيق عقيدته الجديدة ، واظهر روميل دهاء عظيما في حرب الصحراء بافريقيا لانه مزج الدفاع بالهجوم مع جذب المدرعات الى فخاخ منصوبة تمهيدا لقيام مدرعاته بضربات خاطفة للقضاء عليها .

المطلوب في شخصيـة القائـد

ان من اهم الميـزات التي يجب ان تتوافـر في القائد نظرته الثاقبة .. ولكن بعـد اتساع ميدان المعركـة وتطور الاسلحة اصبح الامر يحتاج الى شيء اكبر .. وهو القدرة على التنبوء ،اي القدرة على اختراق صفوف الاعداء ببصيرة القائد (معرفـة ما يدور في الجانب الآخر من التل) اي ما يـدور خلف خطوط الاعداء وما يدور في عقلية قادتهم ، لان القائد فيالوقت الحاضر يجب ان يكـون متعمقا في دراسة علم النفس بصفة عامة ، ونفسية الخصـم بصفـة خاصة .. وهذا الادراك النفسي هو أحد عناصرالعبقرية العسكرية . ومنه تنتج القدرة على احداث المفاجاة والقيام بالحركات غيـر المتوقعـة التي تخل بتوازن الخصم ..

ولكن ليكـون تأثيرها كاملا يجب ان يكون مصحوبا بالاحساس بعامل الزمـن والقدرة على ايجاد اقصى درجـة من خفة الحركة والسرعة والمفاجاة .. على ان يكونـا ازدواجا ضروريا .. ويتوقف ايجـاد هذين العنصريـن على خبرة اسمها « الخيال الخارق » ، فـان القدرة على القيام بحركات غير متوقعة ، والاحساس الجاد بعامل الوقت والقدرة على ايجاد درجة من خفـة الحركـة تؤدي كلهـا الى شل حركة المقاومة ..

هذا ومن الضروري كمـا يؤكد روميل انه يجب على القائد عندمحاولته الاخلال بتوازن خصمه الا يختل توازنه هو .. وهذا ما يعبر عنه الانكليـز « بالراس البارد .. او القدرة على التأثير ببرود » ....

واهم مـا يتصف به القائد ايضـا قدرته العقلية على القيادة .. وهذا هو اساس السيادة الحربية ولن تعوضه اي مهارة اخرى .. اذا فقد قدرته العقليـة على القيـادة .. لان القائـد العظيم هو الذي يلهم قواته للقيـام بمـا هـو اكثر من الممكـن ، وبذلك يستطيع احباط التقديرات العاديةللخصم .. .ويعتبر روميل في هذا المجال قائدا عظيمـا ، فقد استطاع انيستلخص من قواته اثناء القتال اقصى طاقـة ممكنة ، وهـو اكبر واعظم من تقديـر اي قائـد ..

ويحدد روميل مكـان القائد في المعركة.. فيقول : انه يجب علىالقائد ان يدرك ان مكانه ليس في الخلف مع هيئة اركان حربه ، وانمـا في الامـام مع قواته ، فالجنـود لا يشعرون بالصلة بينهم وبين قائد يجلس في الخلف في مقـر قيادته ، والذي يرغبـون فيه هو الاتصال به بالفعل ..



روميـل

ومن السخف في القول ان واجب قائد الكتيبة وحده هو المحافظة على روح الرجال المعنوية .. كما اتضح انه كلما زادت الرتبة زاد اثر المثل المعطى ، وخصوصا في حالات الذعر والارهاق والانحلال .. او عندما يتطلب الامر مجهودا غير عادي ، فالمثل الذي يضربه القائد بوجوده تحت نفس الظروف يفعل المعجزات ، وخاصة لو كان على قدر من الذكاء يكون حينئذ قادرا على خلق اسطورة حول شخصه ..

وفي احدى محاضرات روميل في الكلية الحربية نصح الضباط .. قائلا:
« كونوا امثلة لرجالكم في ادائكم لواجبكم في حياتكم الخاصة ... ويجب الا تراعوا انفسكم ابدا ، ويجب ان يرى جنودكم قدرتكم على تحمل المتاعب ، وحرمانكم لانفسكم ، ولتكونوا على الدوام مهذبين وعلى خلق كريم ... وعلموا مرؤوسيكم ان يكونوا مثلكم ، وتفادوا الحدة المبالغ فيها في كلامكم والتي تبين ان لدى قائلها عيوبا يرغب في اخفائها » ..

قواعد حرب الصحراء

اتخذت حرب الصحراء احدث مظاهرها في مسرح افريقيا .. لان القوات المقاتلة من الجانبين كانت تمثلها تشكيلات محملة بالكامل ، علاوة على انها حاربت في الصحراء المنبسطة ، وليس بها موانع طبيعية ، لذلك لم تفرض على استخدامها اية قيود ، فأدى هذا الى فتح آفاق خيالية لامكانيات استخدامها .. وقد كان مسرح الحرب في افريقيا هو المسرح الوحيد الذي امكن فيه تطبيق مبادىء الحرب الميكانيكية والمدرعة التي درست نصوصها نظريا ..

● والمشاة المترجلة لا قيمة لها في مواجهة عدو محمل او مدرع الا اذا احتلت مواقع مجهزة .. واذا حدث اختراق او تطويق لهذه المواقع فسيكون من الصعب انسحابها امام هذا العدو المحمل،وسيصبح امامها فقط التشبث بمواقعها لاخر طلقة واخر رجل ..

ويضرب روميل على ذلك مثلا .. فيقول : كنا نحارب في بولونيا وغرب اوروبا خصوما دخلوا كل العمليات بعدد كبير من المشاة ، وبذا قيدوا انفسهم نتيجة للجمود التكتيكي الذي فرض عليهم مما ادى بهم الى كارثة، وخاصة في عمليات الانسحاب ، فقد اضطروا احيانا للدخول في عمليات لا تتصل بغرضهم الاساسي ، وذلك لو قف تقدمنا فقط .. ولكن بعد

اختراقنا لخطوط العدو في فرنسا اجتحنا فرق مشاة العدو بكل بساطة بقواتنا المحملة .. وكثيرا ما اضطروا لمواجهتنا في مواقع غير مناسبة تكتيكيا ، محاولين كسب الوقت اللازم لتغطية انسحاب المشاة ..

● والمدرعات يجب ان تستر انسحاب القوات المترجلة .. وهذه التشكيلات سوف تسبب مصاعب كبيرة في اي انسحاب عام ، وقد اضطررت انا شخصيا لمثل هذا الاجراء اثناء انسحاب المحور من برقة ،عندما كانت المشاة الايطالية كلها وجانب من المشاة الالمانية بدون حاملات اطلاقا ، وكان علينا اما ان ننقلها بالدور بعدد عرباتنا المحدود او ان نحركها مترجلة ولم تتمكن المشاة الالمانية والايطالية من الانسحاب الا بشجاعة مدرعاتي التي غطت هذا الانسحاب ،لان عدونا المحمل كان يطاردنا باقصى سرعة .. هذا ويمكن ارجاع فشل جرازياني « قائد القوات الايطالية » اساسا الى ان الجزء الاكبر من الجيش الايطالي كان مكتوف الايدي عديم الحيلة في الصحراء المفتوحة لانه كان مترجلا ، بينما كان في مواجهة تشكيلات بريطانية اضعف بكثير ولكنها محملة بالكامل .. ونتج عن هذا ان القوات المحملة الايطالية دخلت في معركة مع العدو رغم ضعفها الظاهر وسحقت بالفعل وهي تدافع عن مشاتها .. المترجلة ..

وقد كانت القوات البريطانية على النقيض من قواتنا ، تتمتع بخفة الحركة الكاملة لركوبها السيارات ،وقد دارت كل معارك افريقيا الحاسمة تقريبا بين قوات خفيفة الحركة ،وخرجنا من هذه الحرب الميكانيكية البحتة بعدة مبادىء تختلف جذريا عن المبادىء التي يمكن تطبيقها في المسارح الاخرى ، اهمها :

● اذا تم حصار عدو بالكامل في ارض منبسطة وصالحة لمرور جميع انواع الحاملات في الصحراء سيؤدي لهذه النتائج :

اذا كان التشكيل محملا بالكامل ، فان الحصار سوف يجعله في موقف تكتيكي سيىء جدا حتى ولو كان الحصار من ثلاث جهات .

سيضطر العدو للتخلي عن المنطقة التي يحتلها ، ولكن لا بد من تدمير العدو لان ذلك غرض مباشر لاية عملية ولكنه في بعض الاحيان يكون غرضا غير مباشر لسبب بسيط ، وهو ان اية قوة محملة ... اذا ظل بنلؤها سليما تستطيع ان تخترق الحصار بتركيزها الشديد دفعة واحدة على نقطة ضعيفة فيه .. وهذا تكرر كثيرا في الصحراء ...

وامكننا تطبيقه ..وينتج عن هذا انه عند محاصرة العدو يمكن تدميره اذا ما توافر الاتي :

● عندما يكون غير محمل او اصبح ثابتا نظرا لافتقاره للوقود .. او عندما تشمل قواته عناصر غير محمولة .

● عندما تكون قيادة العدو غير ماهرة ، او عندما تقرر التضحية بتشكيل معين لانقاذ قوات أخرى .

● عندما تكون قوة العدو المقاتلة قد تحطمت بالفعل وسادت صفوفه الفوضى ..

وفيما عدا هذه الشروط فحصار العدو وتدميره لا يجوز تنفيذه الا بعد ان يتلقى العدو ضربات قاصمة في معارك متحركة ، بحيث يؤدي هذا الى تدمير التنظيم الرئيسي لقواته ...

ويستطرد روميل قائلا : وانا سأسمي كل العمليات التي غرضها تحطيم قوة العدو وقدرته على المقاومة بمعارك التعرية .. وفي الحرب الميكانيكية يجب ان يكون الهدف المباشر لكل الخطط التعرية المادية للجيش المعادي وتدمير هيكله التنظيمي ..

ومن الناحية التكتيكية فان معارك التعرية يخاض غمارها باكبر قدرة ممكنة من خفة الحركة ..

وهذه بعض الشروط الهامة التي لا بد ان يضعها كل من يخطط لهذه المعارك :

● يجب ان يتم تركيز المجهود لحشد قواتنا مكانا وزمانا ، وفي نفس الوقت نحاول تقسيم قوات العدو مكانا للقضاء عليها في اوقات مختلفة .

● خطوط المواصلات حاسمة للغاية .. يجب العمل على حماية خطوطنا مع ازعاج الحركة على خطوط مواصلات العدو ، والاحسن قطعها لو امكن ، فان اية عمليات في خطوط امداده ستؤدي الى انسحابه على الفور .

● المدرعات هي نواة الجيش الميكانيكي وكلها تدور في فلكها والتشكيلات الاخرى ليست الا مجرد اسلحة معاونة .. ولذلك فانه يجب خوض غمارها باستخدام وحدات تدمير الدبابات اما دباباتنا فتستخدم فقط في توجيه الضربة الحاسمة .

● يجب ان تبلغ تقارير الاستطلاع للقائد في اقصر وقت ممكن ليتخذ قراراته فورا وليقوم بتنفيذها في أسرع وقت وان سرعة رد الفعل تحسم مصير المعركة ، ولذا فعلى قادة القوات الميكانيكية ان يكونوا قريبين لاقصى درجة من قواتهم .

● سرعة الحركة من العوامل الحاسمة وترابط التنظيم للقوات يتطلب اهتماما شديدا .

● اخفاء النية هام جدا فانه يحقق المفاجأة لعملياتنا وبهذا نضيع على قيادة العدو استغلال الوقت اللازم لتتخذ اجراء مضادا لشيء لم يكن يتوقعه ... كما يجب استخدام كل وسائل الخداع لتجعل القائد المعادي مترددا مرتبكا لا يعرف التصرف بسرعة .

● بعد ان توجه للعدو ضربات قاصمة يستغل نجاحها لاجتياح وتدمير اجزاء كبرى من تشكيلاته المفككة وهنا نجد ان السرعة هي كل شيء ويجب عدم اعطاء العدو اي فرصة لتنظيم قواته ..

المغامرة والمقامرة

يجب الاهتمام على وجه خاص بالنواحي الفنية والتنظيمية في حرب الصحراء .. وهي .. مثلا ..

ـ ان اهم صفات الدبابة هي قدرتها على المناورة وسرعتها ومدفعها البعيد المدى لان الجانب الحائز للمدفع الاكبر كالملاكم ذي الذراع الاطول يستطيع ان يسبق عدوه بالضرب وثقل الدروع لا يمكن ان تعوضها قوة المدافع . ويضاف الى هذا ان ثقل الدروع لا يمكن الاستغناء عنها لتحقيق خفة الحركة والسرعة وكلتاهما متطلبات تكتيكية ..

ـ يجب ان تكون المدفعية بعيدة المدى ويجب ان تكون قبل كل شيء خفيفة الحركة وان تكون قادرة على حمل كمية كبيرة من الذخيرة معها .

ـ يجب ان تستخدم المشاة فقط في احتلال المواقع الدفاعية بفرض منع العدو من القيام بعمليات معينة او لارغامه على عمليات معينة وبمجرد الوصول الى هذا الفرض يجب ان تكون المشاة قادرة على الهرب بسرعة لاستخدامها في مكان اخر .. ولذا يجب ان تكون خفيفة الحركة وان تكون مزودة بعتاد يمكنها من احتلال مواقع دفاعية بسرعة .

ومن اهم ما تعرضت له مذكرات روميل فقط القرارات الجريئة .. فيقول في مذكراته ..

من واقع خبرتي وجدت ان القرارات الجريئة تؤدي الى النصر ولكن يجب ان نميز بين الجراة والمقامرة العسكرية .. فالعملية الجريئة هي العملية التي لا يكون نجاحها مؤكدا وانما اذا فشلت فانها تترك للقائد القوات الكافية لمواجهة اي موقف قد ينتج عن هذا الفشل .

اما المقامرة فهي عملية قد تؤدي للنصر او للدمار الكامل للقوات.. وقد تنجم احيانا مواقف تبرر اللجوء الى المقامرة بالفعل كما يحدث عندما نتأكد ان الهزيمة ستتم حسب سير الاحداث الطبيعي وان العملية عملية وقت وينتج عن هذا ان كسب الوقت اصبح غير ذي موضوع وعليه فلا بد من اللجوء الى عملية تنطوي على مخاطرة كبيرة كحل أو للحد من الموقف الميئوس منه ..

والفرصة الوحيدة التي يمكن للقائد ان يقرر مقدما سير المعركة معها هي عندما تكون قواته متفوقة لدرجة ان النصر يصبح مفروغا منه ومن ثم تصبح المسألة ليست مسألة اسلوب .. وانما مسألة امكانيات ولكن حتى هذا الموقف اظن أنه من الافضل فيه العمل على تحقيق الاغراض الكبرى وليست التحرك ببطء في ميدان المعركة بطريقة حذرة مع تأمين كل حركة ضد اي عمل معاد ..

وفي العادة لا يوجد حل مثالي للعمليات العسكرية فكل خطة لها مميزاتها وعيوبها ويجب اختيار الخطة التي تعتبر احسن الحلول الممكنة واتباعها بكل تصميم .. مع قبول النتائج التي تترتب عليها ولو كانت سيئة ..

اهمية الدروس المستفادة

لا بد من دراسة ظروف كل معركة والخروج منها بالدروس المستفادة.. واذا احس القائد ان خصمه لم يستفد من الدروس المستفادة .. فانه يتأكد من النصر معركة بعد اخرى .. وهذا ما حدث لروميل ، عندما وقع تحت يده مقال كتبه ليدل هارت عن القوات البريطانية ..كتب فيه .. أن القيادة البريطانية لم تصل للدروس المستفادة من هزيمتهم في عامي ٤١ و ٤٢ لماذا:

« لان الشعور المعادي شيء مستحدث وهو وضع طبيعي بالنسبة لضباط اي جيش نحا نحوا ثابتا على اساليب تقليدية ثابتة .. وقد كان هذا هو وضع الجيش البروسي الذي هزمه نابليون مثلا . وهذا الموقف كان واضحا ايضا في الدوائر الانكليزية العتيقة التي فقد فيها القادة امكان الوصول للواقع نظرا لتشبثهم الفكري بالنظريات المعقدة . فقد صار تجهيز عقيدة تكتيكية والتفكير الوحيد المقبول لدى هؤلاء هو التفكير المبني على اسس تقليدية .

وكل شيء خارج عن هذه القواعد يعتبر في نظرهم مقامرة ولو ادت للنجاح فانها ستعتبر نتيجة الحظ او المصادفة وهذا الجمود الفكري يخلق افكارا ثابتة لا تتغير وعواقب هذا الاسلوب في الحرب وخيمة ..

فأن قواعد الحرب نفسها تتعرض للتقدم الفني وتتأثر به وما كان يسري في سنة ١٤ لا يسري في الحرب الثانية الا عندما تكون اغلب التشكيلات من كلا الجانبين غير محملة .. وعندما يكون الحال هكذا فان المدرعات تحل محل الخيالة في واجباتها بفرض سبق المشاة ثم عزلها .. وهذا الكلام بالطبع لا ينطبق على قوتين محملتين ..

ومهما كانت المحافظة على التقاليد مطلوبة في مجال القيادة العسكرية ... فليس واجب القيادة ان تبتكر اساليب جديدة تقضي على القديمة فحسب بل عليهم ان يدركوا تماما ان مجالات الحرب تتغير باستمرار التقدم الفني .

ولهذا يجب على قائد الجيش الحديث ان يحرر نفسه من الاساليب الروتينية وان يظهر تفهمه للامور الفنية لانه يجب ان يكون قادرا على الدوام على التمييز بين افكاره عن الحرب والامر الواقع والاحتمالات الممكنة في اللحظة التي يفكر فيها .. ولو ان الظروف تطلبت ان يقوم القائد بقلب افكاره رأسا على عقب لوجب عليه ان يكون قادرا على ذلك .

خالد ونابليون والصحراء

في دراسة علمية اجراها احد الضباط العرب في كلية الاركان لعملية اجتياز خالد بن الوليد ونابليون الصحراء واسلوب كل منهما .. قال .. عن خالد .. ان قوته سارت من الحيرة الى وادي اليرموك وقطع مسافة ٥٦٠ ميلا من عين التمر الى مرج راهط في ثمانية عشر يوما. اما نابليون فقد قطع مسافة ١٥٠ ميلا من القنطرة الى غزة اي عبور سيناء في خمسة وعشرين يوما .. وقد نجح خالد بن الوليد .. وفشل نابليون في هدفه

خريطـة الحرب في شمالي افريقيـا ..

.. بالرغم مـن الفارق الكبيـر في المسافـة بين الـ ٥٦٠ ميـلا و١٥٠ميلا.

والسبـب ان جنود خالد بن الوليد لديهم الصلابة والمناعـة والقدرة على احتمال المصاعب والمشاق ومما ساعدهم علـى تحمـل مشاق الصحراء كونهم عربا ساعدهم على تحمل مشاق الصحراء كونهم عربا خلقوا فيالجزيرة وللعرب مزايـا خاصـة في الصحراء لا نجدهـا في غيرهم من الشعوب .. كمـا ان سمـو عقيدتهم وتمسكهم الشديد بهـا سهل لهم ذلك .

ولكن بالنسبة لنابليون فقد ذهبت الرياح والرمال العربية بضبط وربط الجيش الفرنسي .. ويستدل على ذلك بقول احد قادة الالوية الفرنسية ... لقد سقط الجنود من شدة الحرارة واطلق الكثيرون النـار علـى انفسهم للتخلص من المشقـة اما الضبط والربط فقـد ذهبا مع الريـح بحيث اذا اقترب احد الضباط الراكبين من الجنود السائرين .. كانوا يوجهـون اليـه كلمـات جارحة .. وقد ادى ذلـك الى ارتكاب الجنود عدة اعمالخطيرة.. منهـا انهم ثقبـوا اوعيـة المياه بما فيهـا اوعية القائد .. وسرقوا حصان قائد الخيالة وذبحوه واكلوه .. تمردوا على كليبر عندما ضلوا الطريق بين

العريش وخـان يونس .. قـام الجنود بسلب البيوت في غزة .. واخيرا الساح للجنود من قادتهم بسب وشتم نابليـون ..

اما خالد بن الوليد ، فقد امتاز بخبرات فائقة ادت الى نجاحه ..منها:

- تقديره للموقف الصائب وقراره الحاسم السريع ..
- جراته النادرة واندفاعه في سلوك طريق الصحراء المهلكة .
- ارادته الصلبة وايمانه القوي والصبر الذي هو اهم مزاياه .
- فطنته العسكرية واطلاعه على القواعد الحربية ومشاركته لجنـوده في كافـة مشاكلهـم وصعوباتهم .

بعكس نابليـون الذي كـان يجهل الصعوبات التي تواجه الجيوش في الصحراء .. فاتخذ قراره باجتياز الصحراء بدون تقدير موقف دقيقومعرفة صحيحـة بوضع الصحراء .. كمـا لـم يظهر له اي تأثير شخصي علـى جنوده اثنـاء تحركهم ..

ومن أهم القرارات التي اتخذها خالد في عبور الصحراء .. او فـي حرب الصحراء بوجه خاص هي نفس القرارات الحربية التي اتخذها روميل .. ونفس ما كتبه مع الفارق بيـن القوات الميكانيكية وقوات الخيالـة .. فكلتاهما قوات محملـة ..

قرر خالد ان تكـون جميع القوى من الخيالة .. نظـرا لما تمتاز بـه من خفـة الحركـة والقابليـة على السير فوق الرمـال الكثيفـة والمرونـة والسرعـة في الحصول على المعلومـات .. فقد ادرك انه لا محل للمشاة البطيئـة في اي نصيب مـن المساهمة في حرب الصحراء ، وانه سيكـون عبئا ثقيـلا عليه يحدد قابليته للحركـة ولذا كانت قوته متألفـة من ٩ آلاف فارس كمـا تخلص من الاثقال والضعفاء والنساء ..

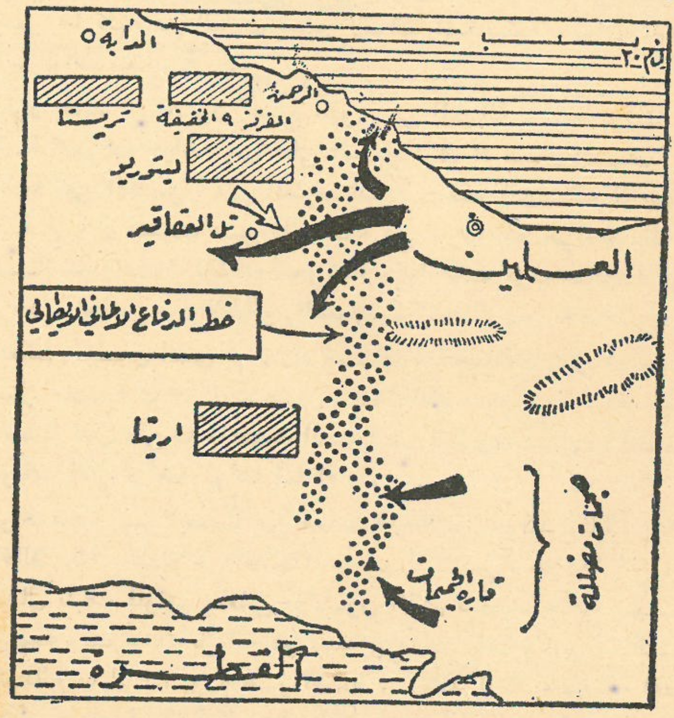
بعكس نابليون الذي لم يدرك استخدام الخيالة .. بل اعتمد على المشاة اذ شكـل منهم ٤ فرق كل منهـا ٢٥٠٠ واستصحب معه ٨٠٠ خيـال و٨٨ هجانا ممـا يدل على عدم تفهمه الصحيـح لمبادىء حـروب الصحراء ... والصعوبات التي تواجه قوات المشاة ..

واختلاف كبير أيضـا بين معاملـة خالدبن الوليد ونابليون لاعدائهما. فكان خالد بارا بالشيوخ والضعفاء رحيمـا بالنساء متوددا الى القبـائـل فاستمـال بذلك قلوبهم بعكس نابليـون الذي شهـد جنده ينهبـون غـزة تحت سمعه وبصره .. بل انه هو نفسه اباح لهم يافا يومين .. فمثل الجنود مـن الفظائع ما لم يتصوره هـو نفسه .. وقد ارتكب بنفسه افظع جـرم حينمـا امـر باعدام ثلاثة آلاف اسير .. بحجة انه ليس لديه ما يطعمهم وكان

خالد بارا بأصحابه حريصا على راحتهم مشاركا لهم اتعابهم وكان بين وقت وآخر يشدهم بخطب تقوى هممهم لاحتمال مكاره الصحراء وليصبروا على شظف العيش ولكيلا يبالوا بالعطش القاتل .. اما نابليون .. فكانت معاملته قاسية ومنافية احيانا للمبادىء الانسانية فقد كان يعجل بقتل جرحاه او مرضاه الخطرين بجرعات من السم او الافيون ..

وهكذا شكل صعوبات القتال في الصحراء امتحانا عسيرا لكفاءة القادة في الميدان ولما تتطلبه من ارادة قوية وسبق نظر بعيد وتصور واسع ودراية وخبرة عسكرية .. ولقد ادرك صعوبات الحرب في الصحراء ، فذللها بتقدير موقف لانتخاب احسن المسالك التي تؤدي الى هدفه ، وبتدابير متقنة لتأمين اجتياز قوته للصحراء كتأمين الماء وحفر الآبار وخفة الحركة والمباغتة .. وهي معظم ما رواه روميل في مذكراته.

هذه هي حرب الصحراء .. بأساليبها وتكتيكها واستراتيجيتها .. كما رآها اكبر قادة التاريخ .. وأعظم من حارب في الصحراء .. روميل في مذكراته .. وخالد بن الوليد في زمنه ..



خريطة العلمين في شمالي افريقيا

٨

يوم العار في اميركا

الهجوم

يطلقون في الغرب على اليوم السابع من شهر كانون الاول (يوم العار) .. فيه هاجم الطيران الياباني الاسطول الاميركي الذي يعمل في المحيط الباسفيكي في بيرل هاربور . وفي نفس اللحظة كانت اسراب يابانية اخرى تهاجم سنغافورة ومانيلا وشنغهاي وهونج كونج ، بينما كانت قوات الجيش الياباني تحتل شواطىء تايلاند والملايو

***

عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية في ايلول ١٩٣٩ اخذت الولايات المتحدة موقف المتفرج . بل انه عندما بدأت اليابان عام ١٩٣٧ في احتلال الاراضي الصينية ، كانت تعتمد على الولايات المتحدة في استيراد المواد الاستراتيجية ، ولم يكن موقف امريكا غريبا ، فكل ما كانت تريده هو ان تحول انظار اليابان عن مصالحها في المحيط الهادى .

وفي حزيران ١٩٤١ بدأت القوات الالمانية في غزو اراضي الاتحاد السوفييتي ، فاتاح هذا للقوات اليابانية الفرصة لتتوغل في جنوب شرقي اسيا . ومن هنا فقد تهددت المصالح الامبريالية المباشرة للولايات المتحدة وبريطانيا وهولندا : وهكذا اخذت امريكا تبتعد عن موقف الحياد الذي التزمته منذ بداية الحرب ، لتأخذ جانب الحلفاء . فجمدت ارصدة اليابان لديها ، ومنعت عنها البترول الذي كانت تستورده منها . وهنا اتخذ مجلس وزراء اليابان قرارا باحتلال مناطق جديدة تتوفر فيها المواد الخام






ادميرال ياماماتو — ادميرال ناجاتو — ادميرال ناجامو — جنرال توجو

القادة اليابانيون الذين رسموا خطة تحطيم الاسطول الاميركي في الباسفيكي ..

اللازمة ، وهنا قال « كورديل هال » وزير خارجية امريكا :

« لن توقفهم الا القوة . والمسألة هي كيف يمكننا تأجيل المسألة ريثما يتضح الموقف العسكري في اوروبا » .

وهنا طلب « الامير كونويي » رئيس وزراء اليابان الاجتماع «بروزفلت» شخصيا خلال آب وايلول ١٩٤١ . ولكن روزفلت قال انه لا يرى هناك اي فائدة من هذا الاجتماع ما دامت اليابان مصممة على حروبها التوسعية

وفي تشرين الاول حدث تطور هام في اليابان ، فقد حل « توجو » وزير الحرب الياباني محل « كونوى » ، وطلب وزير الخارجية انتظار المحادثات . وفي نفس اللحظة ... كان الاسطول الياباني يعد ترتيباته النهائية لضربة قاصمة ، ولم تكن المحادثات السياسية الا غطاء للغزو المفاجيء . لان امريكا كانت تشترط انهاء حرب الصين وانسحاب جيوش اليابان من الهند الصينية ..

اذن لا مفر من الحرب ..

في اليابان

وكان حجر الزاوية في سياسة اليابان هو السيطرة على الشرق الاقصى . وقد بدات محاولتها لاحتلال الصين قبل اندلاع الحرب العالمية ... وكان احتلال القوات الالمانية لغرب اوروبا في ربيع ١٩٤٠ فرصة ذهبية لليابان ، بعد هزيمة فرنسا وهولندا ، القوتين الاستعماريتين اللتين كانتا تقفان في وجه التوسع الياباني في اسيا . اما بريطانيا فقد كانت على مشارف الهزيمة . وهكذا سنحت الفرصة للاستيلاء على الملايو وبورما والهند الصينية والمستعمرات الهولندية ..

وعندما بدا الصدام بمصالح الولايات المتحدة ، استعد الجيش الياباني

لهجوم مفاجيء على القوات الاميركية . واقترح الادميرال « ياماموتو » قائد البحرية الهجوم على قاعدة الاسطول الاميركي في المحيط الهادىء في بيرل هاربور في جزيرة اوهو احدى جزر هاواي ، وتبعد عن اليابان ٣٤٠٠ ميل .

وفي سرية تامة بدا قادة الاسطول في دراسة الخطة منذ كانون الاول ١٩٤٠ .

وفي نيسان ١٩٤١ كانت الخطة جاهزة . لقد كان راي « ياماموتو » ان امل اليابان الوحيد في نجاح سريع ، تبدأ بعده مفاوضات مع الولايات المتحدة .

ولقد كان في الخطة بعد ضرب (بيرن هاربور) ان يقوم سلاح الطيران الياباني من فورموزا لتحطيم الطيران الاميركي في الفلبين وان يقوم بعدة عمليات اخرى ، فتسقط (مانيلا) بعد هذه العمليات في خمسين يوما ، وسنغافورة في مائة يوم والمستعمرات الهولندية في مائة وخمسين يوما ، وهكذا تتم سيطرة اليابان على الشرق الاقصى ..

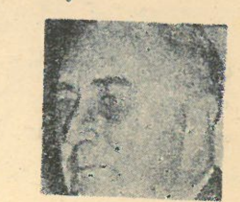
ضربة بيرل هاربور

وكان على الاسطول الياباني ان يقوم بتغطية العمليات التي كان يقوم بها الجيش من الاستيلاء على تايلاند والملايو والفلبين والمستعمرات الهولندية

لقد كان تحت امرة « ياماموتو » في الاسطول ست حاملات طائرات مجهزة باحدث الطائرات في العالم . وكلف « مينوروجيندا » بطل حرب الصين بدراسة امكانية القيام بهجوم على بيرل هاربور . فاقترح (جيندا) خطة تشترك فيها حاملات الطائرات الست .. وهنا اصدر « ياماموتو » اوامره ليبدأ التدريب ـ بالطائرات والمدمرات والطوربيدات ـ على الهجوم في خليج مغلق ...

وبدأ الفنيون في انتاج طوربيدات تلقى من مسافة أعلى من المسافة المعتادة التي تلقى منها الطائرات ، لتخترق الماء في خط افقي متجنبة الغوص العميق منذ بداية الضرب . ولم يمر منتصف تشرين الثاني حتى كان هذا النوع من الطوربيدات قد انتج للعمل في مياه بيرل هاربور الضحلة ..

وسقطت حكومة « كونوي » في ١٦ تشرين الاول وحلت محلها حكومة « الجنرال توجو » . وهنا ارسلت اشارات تحذير من واشنطن الى الادميرال كيميل » قائد البحرية في هاواي و« الجنرال شورت » قائد قوات المشاة فيها . ولكن الذي جعل هذه الاشارات غير ذات موضوع هو اعتقاد واشنطن ان اليابان ستهجم على المناطق الروسية . وقد ايدت هذا بالفعل المخابرات الاميركية ..



روزفلت يعلن الحرب



جنرال شورت



ادميرال كيمل

صدرت اوامر الى الجيش الاميركي بالاستعداد وتوقع اي شيء ولكنهم لم ينفذوهافي بيرل هاربور

أما « الجنرال شورت » ، فقد كان يستبعد احتمال قيام اليابان بهجوم على الممتلكات الاميركية ، اذ كان يعتقد ان وجود عدد كبير من اليابانيين من سكان هاواي سيمنع اليابان من الهجوم عليها ..

ورغم ذلك بدات وحدات ردار تصل الى هاواي وتقام حول الجزيرة ، ولكن لم يعمل عليها خبراء ، بل كانت تستخدم للتدريب ، ورغم ذلك ايضا قال الجنرال شورت ان اجهزة التحذير من الهجوم الجوي على اهبة الاستعداد .

وكانت السفن الاميركية قد حولت الى مواني الدول الصديقة الاخرى. وصدرت التحذيرات الى كل القواعد والمطارات في المنطقة . وقام «الادميرال كيميل » على وجه السرعة بتعزيز قوة الفواصات والمخازن والذخيرة وضاعف من دوريات الطائرات الاستكشافية . واتخذت الاحتياطات لتجنب اي ضربة مفاجئة للفواصات في مناطق التدريب .

ورغم ذلك فانه يبدو ان فكرة هجوم جوي على بيرل هاربور لم تخطر على بال احد ..

الاسطول الياباني

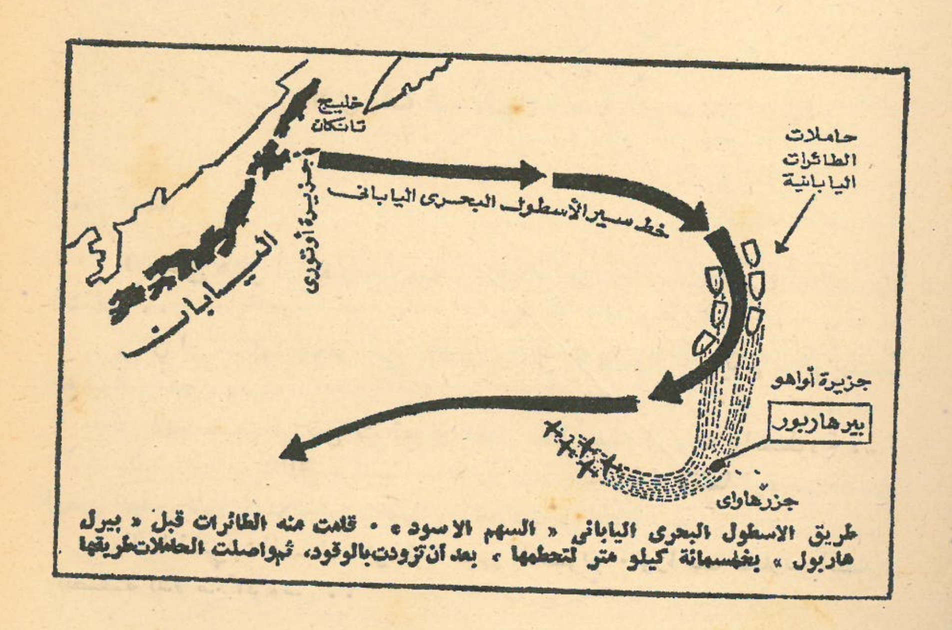
في نفس الوقت كان هناك نموذج لميناء بيرل هاربور في حاملة الطائرات « اكاجي التي يرتفع عليها علم الادميرال « ناجومو » قائد قوة الاسطول الياباني . والتف الطيارون حول النموذج يتدارسونه . وبدات سلسلة من التدريبات العنيفة ، وفي اول تشرين الثاني صدر قرار عسكري بالعملية التي اطلق عليها اسم « الاحد ٧ كانون الاول » .

وبين ٨ و١٠ تشرين الثاني تسللت سفن الادميرال « ناجومو » بشكل مضلل حتى لا تراها اعين العدو وكانت مكونة من :

٦ حاملات طائرات
٣ مدمرات
٢ سفينتين حربيتين
٣ طرادات
٨ ناقلات بترول

وبدات كلها تتحرك الى خليج تانكان بجزيرة اوتودي اليابانية في الشمال . وفرض عليها جميعا صمت رهيب ، فلم ترسل اي رسائل باللاسلكي منذ بداية رحلتها ، بينما كانت قطع الاسطول الياباني الاخرى، ترسل رسائلها كالمعتاد حتى تلتقطها اجهزة المخابرات الاميركية . فلاتشك في امرها ولا تفطن لسرها ..

وكذلك تم الهجوم المروع وفوجىء الاميركيون به فذهلوا وطاشوا وروعوا ترويعا عظيما .. وقضى اليابانيون على الاسطول السابع الاميركي في المحيط الباسيفكي وسيطروا على البحر ومضوا يستولون على كل المستعمرات الاميركية والانكليزية والهولندية واحدة بعد الاخرى حتى تمكن الاميركيون منهم في اخر الامر ..



طريق الاسطول البحري الياباني « السهم الاسود » . قامت منه الطائرات قبل « بيرل هاربول » بخمسمائة كيلو متر لتحطمها ، بعد ان تزودت بالوقود، ثم واصلت الحاملات طريقها

٩

معركة روسيا

الزحف على لينينفراد



قصة الحصار الذي مات فيه مليون ونصف من سكان المدينة

الزحف

كان على هتلر ان يضرب روسيا قبل ان تضربه .. هذا ما كان عليه اعتقاده ..

وكان ان ضربها وتوغل في ارضها وظفر بانتصارات لم يكن يحلم بها بعض قواده ...

بل ان بعضهم لم يكن يتوقع ان تكون بمثل هذه الروعة والخطورة ..

ولكن القوات الالمانية كانت تحارب حربا خاسرة ، فكلما اوغلت في ارض العدو كلما امتدت مواصلاتها (وتوزعت قواها) ..

وكلما اقترب الشتاء ، توقفت عن الحرب ، وراحت تحارب البرد والصقيع بدلا من الروس ..

واذا كان هتلر قد خسر الحرب فبسبب حربه مع روسيا وبسبب محاربته لبردها وعواصفها قبل جيوشها ...

كما يجب ان لا ننسى معركتي لينفراد وستالينفراد اللتين خاضتهما الجيوش الهتلرية ، وما نزل بالالمان من الهول فيهما لندرك اي عمل قام به هتلر فهوى تحت اثقال الصدمة الكاسحة والضربة العظيمة ..

فقد نشر مؤخرا في نيويورك كتاب من تأليف الصحفي الاميركي هاريسون سالزبوري عنوانه (التسعمائة يوم) وهي المدة التي استمر فيها حصار لينينفراد ، روى فيه الكاتب قصة حصار لم يسبق ان حدث مثله في التاريخ ..

فعلى الرغم من ان مليونا ونصف مليون شخص من سكان المدينة الثلاثة ملايين لقوا حتفهم في اثناء هذا الحصار ، وعلى الرغم من المجاعة التي فتكت بالسكان فتكا ذريعا ، حتى ان بعضهم اكلوا لحوم البشر ، فقد رفضت هذه المدينة الاستسلام وظلت تقاوم حتى النهاية ..

العدو على ابواب المدينة

في ٣٠ آب من عام ١٩٤١ ، تمكن جيش نازي جبار من احتلال مدينة ماغا الروسية الصغيرة ، وهي محطة للسكك الحديدية تقع شرقي البحر البلطيق ، وبذلك بتر النازيون الحلقة الاخيرة التي كانت تربط لينينفراد ببقية ارجاء الاتحاد السوفياتي ، واحاطوا بطوق فولاذي من الرجال والمدرعات والمدافع المدينة الجميلة التي بناها بطرس الاكبر . وبذلك بدات قصة افظع حصار في التاريخ المعاصر .

وتشتمل فصول التاريخ الحديث على مآسي حصار عديدة تعرضت لها مدن مشهورة ، ولكن هذه المآسي كلها ، على اهميتها وكثرتها تبدو شيئا ثانويا ازاء الحصار الذي تعرضت له لينينفراد في صيف عام ١٩٤١ .

ومن اشهر عمليات الحصار في التاريخ الحديث حصار باريس الذي استمر ١٢١ يوما خلال حرب عام ١٨٧٠ بين فرنسا وبروسيا حيث هلك ما لا يقل عن ٣٠ الف شخص ، كما ان هناك الهجوم الهتلري على ستالينفراد حيث قتل حوالي نصف مليون شخص ، نتيجة لحملات المانية متواصلة استمرت ستة اشهر .

ولكن لينينفراد كانت شيئا مختلفا تماما . فعندما انتهي الحصار الذي

ضربه عليها الالمان بعد سنتين ونصف السنة ، كان مليون ونصف مليون من سكانها قد اصبحوا من سكان القبور نتيجة للمجاعة التي فتكت بالمدينة فتكا ذريعا ، او نتيجة للمدافع او الطائرات الالمانية التي كانت تحصد الارواح باستمرار .

ستالين يخفي الوثائق

وعلى الرغم من الوقفة البطولية التي وقفتها لينينغراد في وجود الغزاة النازيين حتى طردتهم في النهاية ولم تمكنهم من دخول ارضها ودوس تربتها ، فمن الغريب انه لم يكتب الا القليل عن قصة حصار المدينة الجبارة.

ويقول المؤلف سالز بوري ان ذلك ربما كان عائدا الى سبب هام ، وهو ان ستالين رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي في ذلك الحين ، امر باتلاف عدد كبير من الوثائق الخاصة بهذا الحصار او اخفائها وطمسها .

ولكن المؤلف استطاع اثناء عمله طيلة ست سنوات كمراسل صحفي في موسكو ، ان يعثر على الوثائق او على قسم كبير منها ، بعد وفاة ستالين . وقد سمحت له الحكومة السوفياتية بالاطلاع عليها وكذلك مقابلة عدد كبير من سكان لينينغراد الذين عاشوا المأساة .. ومن هذا كله تجمعت لديه معلومات كافية للكتاب الذي اصدره بعنوان « التسعماية يوم .. قصة حصار لينينغراد » .

ويتحدث الكاتب بشعور من المحبة عن لينينغراد التي كانت تعرف باسم بطرسبورغ حتى عام ١٩١٨ عندما اطيح بنظام القياصرة، وجاءت الثورة البلشفية فاطلقت عليها اسم لينينغراد تخليدا لذكرى لينين .

وحتى ذلك العام كانت لينينغراد او « بطرسبورغ » عاصمة لروسيا ولذلك كان من الطبيعي ان تضم اعظم امجاد روسيا القيصرية واروع اثارها الادبية .. ففيها عاش القياصرة وفيها ظهر ادباء روسيا مثل بوشكين ودوستفسكي ، لدرجة انها اشتهرت باسم « باريس البلطيق » ، وكان هتلر يعتبر ان الاستيلاء عليها سيمكنه من تحقيق نصر عسكري ومعنوي كبير على الاتحاد السوفياتي .

عملية « بارباروسا »

وعندما اطلق الزعيم النازي جيوشه ضدها في شهر حزيران من عام ١٩٤١ للقيام بالعملية التي عرفت باسم « عملية باباروسا » كان يتصور انه

لن تمضي ثلاثة اشهر حتى تجثو المدينة العظيمة تحت قدميه ، فيتمكن من استعراض جنوده في ميادينها الشهيرة ويذل السوفيات .. ولكن المقاومة الباسلة التي ابدتها المدينة حطمت احلام هتلر ولم يستطع دخولها فقرر بدلا من ذلك ان يمحوها من الوجود ، كما اعلن بلاغ رسمي صادر عن القيادة الالمانية العليا في ذلك الحين والواقع ان هتلر كاد يحقق هدفه لا باجتياح لينينغراد فحسب ، بل حتى باجتياح الاتحاد السوفياتي كله ، ويعود ذلك بصورة رئيسية الى موقف ستالين .

ويقول الكتاب الاميركي : لقد كان الزعيم السوفياتي يعتقد ان الالمان ـ الذين كانوا حلفاء له حتى ذلك الوقت ـ لا يمكن ان يفكروا بغزو بلاده . وعندما قيل له ان النازيين يستعدون للهجوم على روسيا فعلا رفض ان يصدق ذلك . وحتى عندما ابلغ ان هناك حشدا من زهاء اربعة ملايين وربع مليون جندي الماني على حدود الاتحاد السوفياتي ظل غير مصدق ، ولم يستفق من غفلته الا بعد ان كانت الجيوش النازية قد اقتحمت الاراضي السوفياتية وسحقت ١٤ فرقة من فرقها غير المستعدة التي اخذت بغتة .

ولم يستطع ستالين تدارك الموقف وايقاف الزحف النازي الا بعد ان كان النازيون قد بلغوا مشارف لينينغراد وطوقوها ولم يبق للمدينة سوى منفذ ضيق يقع الى الجانب الشمالي الشرقي منها عبر بحيرة لادوغا باتجاه فنلندا .

بداية المجاعة

وعندما بدأ الحصار استهلك سكان المدينة الكميات القليلة من الاغذية المحفوظة فيها .. وجاءت غارات طائرات السلاح الجوي الالماني المتواصلة لتحيل اطنانا عديدة من السكر والارز والطحين واللحوم الى اعمدة كثيفة من الدخان ، وساء الحال فاضطرت السلطات المشرفة على المدينة الى تقنين المواد الغذائية وتخفيف الحصص الموزعة المرة تلو المرة لدرجة ان الاهالي اصبحوا لا نتناولون اكثر من ١٥٠ وحدة حرارية من الاطعمة يوميا ، اي اقل من عشر الكمية اللازمة لحياة الانسان ، ولكي يعوضوا عن ذلك بدأوا يقتاتون بالاعشاب والحشائش ونشارة الخشب ومادة « السيلولويز » والديدان والحشرات .

ولم تمض فترة قصيرة حتى اختفت الكلاب والقطط من شوارع

المدينة ، فقد ذبحها السكان ليأكلوا لحومها .. وعندما كان هؤلاء يشاهدون حصانا شاردا فارا من العمل مع الجيش كانوا يسرعون للامساك به وذبحه وتقاسم لحمه .

وفي المراحل الاخيرة من المجاعة بدا المواطنون يخبئون اطفالهم ويمنعونهم من الخروج الى الشوارع خوفا من ان ينقض عليهم الجياع فيذبحوهم ويأكلوا لحومهم .

والواقع انه وقعت عدة حوادث ذبح فيها اشخاص في لينينفراد واكلت لحومهم .. ولم تكن اللحوم التي كانت تباع في الاحياء الفقيرة من المدينة خالية من اللحم البشري .

ويروي سالز بوري ان السلطات كانت تكافح اكلة لحوم البشر بصرامة. وقد حدث مرة ان اعدم اثنان رميا بالرصاص لاكلهما لحوم البشر .. وبعد ذلك بقليل وجد الجنود الذين اعدموهما جثث خمسة اشخاص معلقة في احد البيوت بالكلابات .. تماما كما تعلق الخراف المذبوحة .

البرد القاتل

وكان شتاء عام ١٩٤١ — ١٩٤٢ ، من أقسى الفصول التي شهدتها لينينفراد في تاريخها ، فقد كان معدل درجة الحرارة في شهر كانون الثاني اربعة تحت الصفر . وكان الناس يموتون اما من البرد او المجاعة في بيوتهم .. وعلى الرغم من ذلك فان اقاربهم المتعبين الضعفاء كانوا يتركونهم حيث هم ، سواء ماتوا في فراشهم ام على موائدهم ام وهم جلوس على كراسيهم قرب مدافىء باردة .

وفضلا عن ذلك كان الرجال والنساء يسقطون موتى وهم يسيرون في الشوارع نتيجة الجوع والبرد والاعياء ، وكثيرا ما كانت تظل جثثهم ملقاة في الشارع دون ان يلمسها احد أسابيع عديدة .

صموت عجيب

وجاء حين من الزمن فكر فيه ستالين بالتخلي عن المدينة ، ولكنه بدلا من ان يترك الالمان يحتلوها كاملة ، امر الحامية العسكرية المدافعة عنها بوضع الالغام تحت جميع قصورها وجسورها وابنيتها وموانئها ، ولم يكن الامر

يحتاج الا الى كبسة زر لتنسف المدينة وتمحى من الوجود .

ولكن الزر الذي كان سكان لينينفراد يطلقون عليه اسم « آلة جهنم الستالينية » لم يكبس ابدا .

ففي هذه الاثناء كانت القوات النازية قد بدات تخور ، وسحب قسم كبير منها الى جبهات اخرى ، وفي الوقت نفسه بقي عدد كاف من افراد الجيش الاحمر والمتطوعين المدنيين في المدينة للدفاع عنها وابقاء الجيوش التي تحاصرها خارجها . واكتفى الالمان في غضون ذلك بمهاجمة المدينة المحاصرة بالمدفعية متصورين ان المجاعة ستحملها على الاستسلام .

ولكن حتى المجاعة لم تقنع اهالي المدينة الباسلة بالركوع ، فقد صمدوا وقاوموا ورفضوا السماح لجندي واحد من جنود الاعداء بان يطأ ارضهم .

وقد افلحت ارادة المقاومة من جهة « وطريق الحياة » من جهة اخرى ، في رد الغزاة . ولم يكن هذا الطريق سوى بحيرة لادوغا نفسها . فقد استغل الروس تجمدها التام في فصل الشتاء واستخدموها كطريق لارسال المؤن والجنود والدبابات والشاحنات الى المدينة المحاصرة .

وفي نهاية عام ١٩٤٣ ، كان الروس قد استطاعوا بناء قوة جبارة في المدينة يبلغ تعدادها مليونا و ٢٠٠ الف جندي استطاعت القيام بهجوم ناجح مضاد على الجيوش الهتلرية وردها عن المدينة .

وفي ٢٧ كانون الثاني ١٩٤٤ سحقت الجيوش الهتلرية ورفع الحصار عن المدينة الباسلة بعد ان ظل مفروضا عليها ٩٠٠ يوم كاملة .

ولقد تحدثت الشاعرة السوفياتية « اولفا بوغولتس » التي كانت في لينينفراد طوال مدة الحصار عن اهوال تلك الايام والساعات الرهيبة فقالت :

اسطورة المقاومة

ليس بيننا من لم يسمح باسطورة حصار وتدمير مدينة نومانس الاسبانية التي رفض اهلها جميعا الاستسلام ، فماتوا جوعا وعطشا ، ولم يبق منهم على قيد الحياة سوى غلام . وحين احتل الغزاة المدينة الميتة القى هذا الغلام بنفسه من برج عال مفضلا الموت على الاستسلام ، ودخلت هذه المدينة في التاريخ لتصبح اسطورة من اساطير المقاومة والنضال .

ورغم اهمية هذه الاسطورة ، فان بسالة اهالي لينينفراد وقوة تحملهم اثناء الحصار النازي لم يكن لهما مثيل في التاريخ ، ولم يكن ذلك عائدا الى كون مدينتنا شديدة التحصين . فقد كنا نعلم بان هتلر كان يود ازالة

لينينغراد من الوجود ، وكان يقدر بان المدينة ستأكل نفسها ، وقد قال هتلر ذلك لجنوده في عام ١٩٤١ ورده في عامي ١٩٤٢ و ١٩٤٣ ، قبل ان نتمكن من توجيه الضربة القاصمة للعدو النازي .

ولقد تعمدت استخدام كلمتي « نتمكن نحن » ، لان الذين صرعوا العدو واجبروه على فك الحصار عن المدينة ، لم يكونوا الجنود وحدهم ، بل شاركهم هذا الشرف جميع سكان لينينغراد من نساء وشيوخ واطفال، الذين كانوا جميعا يقاتلون ضد العدو في كل دقيقة وثانية ، وبكل خلجة من خلجات قلوبهم ، وكل حركة من حركاتهم .

الشتاء الرهيب

وفي شتاء عام ١٩٤١ ــ ١٩٤٢ الرهيب ، حين كانت المدينة الجبارة غارقة في الظلام ، اذ لم يكن ثمة كهرباء فيها بعد ان ضربت جميع المحولات الكهربائية ، وحين تجمدت وسائل النقل من البرد في الشوارع وتوقف الماء عن الجريان في الانابيب فراح الناس يستحضرونه من نهر « النيفا » في الاواني الكبيرة والطناجر ، ويجرونه معهم في كل مكان على زلاجات ، وحين كان الاشخاص يموتون قرب هذه الزلاجات ، او يقفون في صف طويل لنيل حصتهم من الخبز ــ تلك القطعة الصغيرة من الخبز الاسود التي يمكن رؤيتها اليوم في المتحف ــ حتى حينئذ كنا نعلم بانه من المستحيل الا تعود تلك الحياة الانسانية الطيبة الحقيقية الذكية التي تسمى « السلام » .

لقد كان هتلر بتنكيله بلينينغراد ، يعتقد انه يوقظ فينا احط الغرائز الحيوانية ، وان الناس الجائعين المتجلدين بردا والعطاش ، سينقض بعضهم على بعض ويرفضون العمل ، وفي النهاية يسلمون المدينة ويستسلمون .

ارتفاع المعنويات

لكننا لم نصمد صمودا عظيما فحسب ، بل اصبحنا اقوى معنويا ايضا ، وبوسع المرء ان يرى عددا كبيرا من الصور والرسوم التي تمثل امراة تجر زلاجة يرقد عليها رجل فقد قواه تماما . لكنكم لن تروا في اي مكان صورة او لوحة تصور نهب متجر مثلا ، في حين كان الاطفال يموتون جوعا ، ولم يحدث اي اعتداء على النساء ، بل انشغل الجميع بالمقاومة العنيدة الضارية للعدو .

وفيما كان الفاشيست يقتربون من ضواحي لينينغراد كان يجري اجلاء سكان هذه الضواحي الى المناطق الداخلية من المدينة .

ورغم البلاء المحيط بالمدينة الباسلة فان مسرح « نيقولاي اكيموف » القائم في جادة نيفسكي واصل العمل بتقديمه كوميدية لروشتشنكو وفي تلك الايام ايضا كان يسمع صوت ربة الشعر الباكية والمعتزة الشاعرة الروسية انا اخماتوفا ، وهي تقول ، شأنها شأن ابنة حقيقية لروسيا ولينينغراد :

« انني مثل جميع مواطني ، اعيش اليوم الايمان الذي لا يتزعزع بان لينينغراد لن تكون ابدا فاشية ، ونحن نعلم بان ارضنا كلها وجميع سكانها ، هم مع اهالي هذه المدينة الجبارة » .

السيمفونية السابعة

وفي هذه الفترة الحرجة وضع الموسيقار ديمتري شو ستاكوفيتش سيمفونيته السابعة وعنوانها « اللينيفراديون » . واثناء التمارين على السيمفونية كانت فرقة اوركسترا الاذاعة التي انهك الجوع قوى اعضائها حتى خلا عدد كبير من مراكزها تنشر باستمرار بلاغات من النوع التالي :

عازف الكمان الاول يحتضر .. وعازف « البندير » مات وهو قادم الى العمل ، وعازف بوق الهارموني مشرف على الموت .

وعلى الرغم من ذلك فان هذه الفرقة الموسيقية التي عززت بموسيقيين عسكريين من الوحدات المدافعة عن المدينة ، عزفت السيمفونية السابعة في لينينغراد المحاصرة .

كان العالم يبدي اعجابه ببطولة لينينغراد ، ولم يكن بوسع العدو ان يفهم من اين تستمد المدينة هذه القوة الجبارة على مقاومة ابشع حصار في التاريخ .

روح المقاومة

ولكن قوة تحمل اهالي لينينغراد هي التعبير عن روح الانسان الروسي التي لا تتزعزع ، والتعبير عن الروح الشيوعية السوفياتية ، وقد ساعد كل ذلك مدينة لينين ، المدينة التي ولدت فيها ثورة تشرين الاول الاشتراكية ،

على الصمود . ومع ان نصب لينين غطي في تلك الايام تحت اكياس من الرمل ، كما غطي نصب بطرس الاكبر القائم على ضفاف النيفا ، فان جميع هذه المعالم المجيدة ، مع سائر كنوزنا ، ويد لينين المرفوعة كانت تذكرنا دائما بان نظل صامدين ابدا وفي كل مكان .

انني اتصفح في الوقت الحاضر يومياتي اثناء الحصار ، واقرأ الملاحظات المكتوبة قبل ربع قرن بالضبط ، اي في كانون الثاني ١٩٤٤ عندما رفع الحصار عن المدينة . وفيما يلي مقتطفات من هذه اليوميات :

١٤ كانون الثاني ١٩٤٤

● غدا سينطلق الهجوم في جبهتنا لانهاء الحصار . يا الهي ساعدنا جميعا . (لا تعجبوا لهذا الدعاء ، فهو موجود ، سواء كان المرء مؤمنا بالله ام غير مؤمن) . ورجاؤنا ان تنتهي العملية باقل ما يمكن من سفك الدماء ، واقل ما يستطاع من النساء اللواتي سيفقدن ازواجهن ، او الرجال الذين سيفقدون زوجاتهم .

١٥ كانون الثاني الساعة التاسعة و٤٥ دقيقة

● استيقظنا في الساعة التاسعة والنصف على دوي المدافع التي كانت تطلق حممها بلا انقطاع من جبهتنا . وكان دوي القذائف يختلط بزمجرة متواصلة تستمر منذ اكثر من ربع ساعة ، انه هجومنا الذي انطلق . انه تحرير لينينغراد الذي بدأ . يا ماما .. ما اضخم هذا الدوي . منزلنا يقرقع كله ، وكانه محرك جبار جدا يدور بلا انقطاع .

١٨ كانون الثاني

● منذ الصباح والفاشيون يقذفون المدينة بنيرانهم دون انقطاع . وعندما توجهت لزيارة فيرا كيتلينسكايا اجتزت الشارع ركضا فانتابني اشمئزاز من نفسي ، ولكني كنت اقول : ماذا لو قتلوني في آخر لحظة بالذات ؟

٢٠ كانون الثاني

● يقال ان عددا كبيرا جدا من الالمان قد قتلوا . فهل انتابتني الشفقة ؟

لا ادري .. ولكن كلا مطلقا . هل اشفقوا هم علينا في شتاء عام ١٩٤١ والعام الذي تلاه . كلا ، ليس هناك عقاب يعادل جرائمهم ، مهما كان قاسيا .

٢٨ كانون الثاني مساء

● اطلقت البارحة صواريخ الزينة احتفالا بالتصفية التامة للحصار وتوقف نيران المدفعية . اضيئت المدينة اضاءة رائعة بالصواريخ المشعة .. وظهرت تماما مدينتنا المسكينة ، مدينتنا الرائعة التي دفعت ثمن خلاصها كل تلك الدماء والارواح . وبالرغم من جميع التضحيات .. فقد كانت هذه معجزة كبيرة، اذ ان مدينتنا كان قد حكم عليها بالموت فيخريف عام ١٩٤١ .

كانت القيادة الالمانية تستعد لاجتياحها ، وكادت المدينة الجبارة تموت ولا تقوى على النهوض على قدميها ، ذلك لانها طوال عامين وخمسة اشهر ، ظلت ثابتة على قدميها متحدية القصف . وفي البداية كانت تقصف باستمرار ولا تستطيع الرد بشكل كاف ، لكنها لم تستسلم بل صمدت وانتصرت .

زوجي مات جوعا

وبعد الحرب ، ذهبت لزيارة مقبرة « بسيكاريفسكويه » التذكارية حيث دفن اكثر من نصف مليون انسان منالمشتركين في الدفاع عن لينينغراد وحيث يرقد ايضا،بالتاكيد زوجي، الذي مات جوعا اثناء الحصار . اقول « بالتاكيد » لانه قيل لي في المستشفى حين مات : « اذا كنت تريدين دفنه بصورة افرادية ، فعليك اخراجه من داخل المعبد . لقد مات في المساء ، وطوال الليل ملأنا ذلك المكان بجثث الموتى ، حتى اعلاه » .

فقلت : « لقد مات جنديا ، وسوف يدفن في الحفرة المشتركة » .

ذهبت اذن الى المقبرة حيث كلفت بمهمة حزينة ولكنها مشرفة ، وهي كتابة كلمة رثاء على النصب التذكاري . ومع انني عشت في المدينة الجبارة طوال فترة الحصار ، فقد انفعلت كثيرا بمشاهدة المقبرة الجماعية التي يبلغ طولها نحو كيلومتر ، مع تلال صغيرة كتب عليها باختصار « ١٩٤١ » و « ١٩٤٢ » .

ويومها حضرتني هذه الابيات تلقائيا :

هنا يرقد اللينينغراديون رجالا ونساء واطفالا .

وقربهم يثوى جنود الجيش الاحمر .
لقـد دافعوا عنك بكل حياتهم يالينينفراد .
يا مهد الثورة .
هذا المكان لا يتسع لجميع اسمائهم المجيدة ، فهـي كثيرة جـدا تحت الفرانيت الخالد .

ولكن اعلمي ، انت التي تنظرين الى هذه الحجارة بانه لن ينسى احد منهم ... ولن ينسى شيء .



ـ ويلات الحرب وهرب السكـان

١٠

معركة ستالينفراد الهائلة

الحرب في الشوارع والبيوت والازقـة

الامـل الزائف

امام تقدم الالمان السريع كان الجميع يعتقدون بان (ستالينفراد) لـن تقف طويلا امام العدو الزاحف ..

ويقول الجنرال السوفياتي جوكوف فـــي مذكراته : ان حالة الجيش السوفياتي كانت يائسة للغاية ، وان القادة كانـوا يعتقدون بان ستالينفراد لن تصمد طويلا .

لقد اعلن الجنرال لوباتين قائد الفرقة ٦٢ مـن الجيش السوفياتي ان البقاء في ستالينفراد اصبح مستحيلا ، وقرر ضرورة الجلاء ..

ولكن الجنرال لوباتين ابعد عن منصبه بعـد ان ابلغ قراره الى القائـد الاعلى للجيش ايريمنكو ،وعضو مجلس الحـزب نيكيتـا خروشيف . لقـد كانت مأساة ومرارة ان يتخلى السوفيات عـن كيلـو مترات وامتار مـن ارضهم .. وان يجبروا على الاعتراف بتفوق العدو الالماني بمقدرته ومعرفته العسكرية وخططه ومبادرته .

لقد كانت الطريق المؤدية من ستالينفراد الى نهر الفولفا مكتظة بالبشر .

فقرويو الكولكوز وعمال السوفكوز احتشدوا علـــى هذه الطريق مـع مواشيهم وكلهم يريد اجتياز الفولفا مع ما استطاعوا حمله من الامتعة . فقد كانت ستالينفراد مشتعلة ، وكانت الانباء تقول ان الالمـــان اصبحوا داخـل المدينة ، مما جعل جوا من الرعب يسيطر على السكان .

ولكن (ستالين) قرر ان لا يترك المدينة تسقط بدون معارك خارجية ، وارسل اكثر معاونيه اخلاصا لتحريك الشعب نحو المعركة النهاية . ولقد كان الموفد ، نيكيتا خروشيف البولشيفي المتحمس الذي ربط شرف كل شيوعي بمصير مدينة ستالينفراد .

خروشيف

وكانت النتيجة بعد وصوله ان ادخل ٥٠ الف مدني في الجيش الشعبي ، واستدعي ٧٥ الف مواطن للالتحاق بالجيش ، وجندت ثلاثة آلاف فتاة كممرضات ومساعدات ، ووزع السلاح على سبعة آلاف عضو من منظمة الشبيبة الشيوعية تتراوح اعمارهم بين ١٣ و ١٦ عاما واطلقوا بين الفرق المحاربة . وبالاختصار اصبح الجميع جنودا في سبيل ستالينفراد.

لقد كان العمال يخرجون من مصانع الاسلحة الى المعركة بالمعدات التي انتهوا من صنعها ، وكانت المدافع تخرج من مصنع « باريكاد روج » اي المتاريس الحمر راسا الى الجبهة .

وفي ١٢ ايلول ١٩٤٢ استدعى القائد الاعلى للجيش (ايريمنكو) والزعيم خروشيف .. الجنرال جوكوف وسلماه قيادة المعركة وعهدا اليه الدفاع عن المدينة .

لقد كان الاختيار موفقا وكان جوكوف الرجل المهيأ تماما للمهمة . فقد كان طموحا ، قاسيا ، شجاعا ، حسن التصرف ، وذا قدرة خارقة على الصمود .

واثناء وصوله الى قرية « يامي » الصغيرة على الضفة اليسرى لنهر الفولفا لمقابلة القائدين ايريمنكو وخروشيف قال هذا الاخير :

ـ ان الجنرال لوباتين الذي كان قائدا للفرقة ٦٢ وجد ان جيشه عاجز عن الدفاع عن ستالينفراد ، وليس من الممكن الان العودة الى الوراء ، ولذلك فقد اقيل من منصبه . وبالاتفاق مع القائد العام ، قرر المجلس الاعلى للحرب ان تتولى انت ياجوكوف قيادة القوات الروسية فيها . فكيف ستواجه مهمتك ؟

كان السؤال مفاجأة للقائد الجديد الذي لم تسنح له الفرصة لدراسة الوضع وتقدير الموقف ولكنه قال :

ـ ان التخلي عن ستالينفراد يعني اصابة شعبنا في صميم معنوياته. انني اقسم الا اترك المدينة . سنحافظ على ستالينفراد او نموت فيها .

وقال خروشيف وايريمنكو :

لقد عرفت مهمتك جيدا يا جوكوف .

عشر ساعات بعد ذلك .. تحركت قوات (سيدليتز) الالمانية نحو وسط المدينة ، واصيب مركز قيادة جوكوف بالقنابل . فلجأ الى شاطىء « تساريتزا » بالقرب من نهر الفولفا مع اركان الجيش والضباط .

وفي ١٤ ايلول ، دخل مشاة الفرقة ٧١ الالمانية بقيادة الجنرال فون هارتمان الى ستالينفراد . وبقدرة خارقة ، تمكنوا من اختراق المدينة وشقوا ممرا حتى ضفة الفولفا . وفي نفس الوقت كان مشاة الفرقة ٢٤ الالمانية تهاجم الشوارع في جنوب « تساريتزا » ، واسقطوا محطة القطار الرئيسية . وفي ١٦ ايلول وصلت القوات الالمانية الى الفولفا .

الموقف

كان الجنرال السوفياتي جوكوف في هذه الاثناء متمركزا في بقعة صغيرة من الارض في ضواحي المدينة ، وكانت تعليماته الى قادة الوحدات : الوقت من دماء .. المهم كسب الوقت لجلب الامدادات ونفاذ قدرة العدو .

وفي هذا المقر الذي جعل تحت الارض بعشرة امتار ، تنفس طباخ جوكوف الصعداء ونظر الى خادمة الجنرال قائلا : لن تصلنا هنا اية شظايا وتقع في الشوربة ... عبر هذا الحائط .

لقد كانت عشرات الحواجز في مركز القيادة السوفياتية ، تفصل بين مكاتب رؤساء الاركان تنفذ من ناحية الى النهر ومن الناحية الاخرى الى شارع بوشكين في المدينة .

وعلى احد الحواجز علقت خريطة لستالينفراد مصورة باليد ، علوها ثلاثة امتار وعرضها متران . انها خريطة رئاسة الاركان في المعركة .. هذه المعركة التي لم تكن معركة مقدمة جيش او مؤخرته وانما معركة شوارع وابنية وزوايا تتم العمليات فيها على مساحة امتار وليس كيلومترات .

لقد كان رئيس الاركان الجنرال كريلوف يرسم بقلمه نتائج المعارك . انه يصور هجمات الالمان باللون الازرق ، ومراكز الدفاع والمقاومة السوفياتية باللون الاحمر .. ولكن اللون الازرق كان يمتد اكثر فأكثر نحو مركز القيادة السوفياتي .

ان كريلوف يشرح الموقف على الخريطة والجنرال جوكوف يلاحظ تحركات القلم ويقول :

ـ ولكن اين هجماتنا المضادة ؟

ويجيب كريلوف :

ـ لقد اسكتها العدو .. منذ شروق الشمس والطائرات الالمانية تحلق فوق المدينة وتسكت كل حركة مقاومة على الارض .

وفي هذه الاثناء دخل ضابط ارتباط يحمل مصورا عن حالة الفرقة ٤٢ من المدفعية اعده قائدها باتراكوف . اما نتيجة المصور فقد رسمها كريكوف بنصف دائرة باللون الازرق حول مركز القيادة وقال :

ـ ان الجبهة على بعد ٨٠٠ متر منا ايها الرفيق الجنرال جوكوف.

السلاح الاخير

لقد كان ذلك ظهر ١٤ ايلول ، وكان الجنرال جوكوف يعلم الى اي حد سيمتد اللون الازرق على الخريطة . فقد كان يحتفظ بالسلاح الاخير للمعركة ، وهو فرقة مدرعة تضم ٣٩ مصفحة من نوع « ت ـ ٣٤ » .

وقبل ان يأمر جوكوف باستخدام الفرقة الجديدة سأل كريلوف :

ـ ما هي الحالة في جنوب المدينة على الجناح الايسر ؟

واكتفى كريلوف بالاشارة الى السهم الازرق على الخريطة . لقد تقدمت الفرقة ٢٩ الالمانية واجتازت منطقة « كوبورستوي » واسقطت « الفوبور » . وكذلك تقدمت وحدات الجنرال فريمري باتجاه اهراءات الحبوب واصبحت المنشرة ومصنع المعلبات داخل الخطوط الالمانية .

ثم اخذ جوكوف الهاتف واعطى شرحا عن الموقف للجنرال ايريمنكو . وكان الجواب بضرورة المحافظة على المرفأ النهري ومعداته . وقال ايريمنكو في جوابه لجوكوف :

ـ لقد ارسلت لك القيادة العليا ، الوحدة ١٣ من قناصة الحرس . انهم عشرة الاف رجل مدربين افضل تدريب . خذ راس الجسر لمدة ٢٤ ساعة وحاول الدفاع عن معدات المرفأ .

ثم التفت جوكوف الى كريلوف وقال :

ـ فلنبدأ . وليأخذ ضباط الاركان راس التجمعات . يجب ان نترك المر لحرس القائد رود يمزيف .

دخول وحدة المصفحات

ودخلت الفرقة الاخيرة المؤلفة من ١٩ مصفحة « ت ـ ٣٤ » المعركة . فتمركزت وحدة منها أمام مكتب القيادة بحيث تغطي في الوقت نفسه محطة السكة الرئيسية . وتحولت الوحدة الثانية لتقوية الجبهة على خط اهراءات الحبوب ومعدات المرفأ .

وقبل ان يسدل الظلام خيوطه ، اتصل جوكوف برئيس الاركان الجنرال ايريمنكو يقول :

ـ هل ان وحداتنا المشتتة والمندحرة يمكن ان تصمد لمدة عشر ساعات او ١٢ ساعة ؟ ان ذلك ما يقلقني . فاذا لم يتمكن الجنود والضباط من تلك المهمة ، فان الفرقة ١٣ من قناصة الحرس لن تتمكن من عبور النهر وستكون من بعيد شاهدا على اعظم كارثة .

وقبل الغروب بقليل ، دخل الكومندان شوبتا الذي يتولى قيادة ماتبقى من القوات السوفياتية الموجودة في المرفأ وقدم عرضا للموقف بقوله :

ـ ان مصفحة واحدة من نوع « ت ـ ٣٤ » قادرة على متابعة المعركة ، ولكنها لن تتمكن من التحرك . اما الفرقة فلم يبق منها سوى مئة مقاتل .

ونظر اليه الجنرال جوكوف بحدة وقال : اجمع الرجال حول هذه المصفحة وخذ مدخل المرفأ . واذا فشلت فاني سأطلق عليك النار .

لقد سقط شوبتا ، كما سقط نصف رجاله . اما الباقون فكانوا بحالة جيدة .

ساعات حرجة

واخيرا خيم الظلام وتحول الاركان الى المرفأ . وبقدر ما يتمكن افراد وحدة الحرس بقيادة رود يمزيف من عبور نهر الفولغا بقدر ما كانت تتخذ الوحدات نقاطا مهمة للدفاع . لقد كانت ساعات حرجة ومصيرية .

ولكن بعد ٢٤ ساعة من وصول فرقة الحرس ، كان لا وجود لها . فقد اندحرت تحت وابل المدفعية الالمانية الثقيلة .

في جنوب المدينة كانت الفرقة ٣٥ السوفياتية لا زالت تحارب بقيادة الكولونيل دوبيانبسكي ، ونقلت اخر جنود الاحتياط الى الضفة اليسرى بواسطة « الفيري ـ بويت » لحماية الاهراءات من هجمات الفرقة ٢٩ الالمانية بقيادة فيبيغ .

ولكن سربا من الطائرات الالمانية انجز على هؤلاء . اما ما تبقى منهم فقد اجتاحتهم الفرقتان الالمانيتان ٩٤ و ٢٩ .

لا تحصن في الجبهة

صباح ١٦ ايلول ١٩٤٢ ، لم تكن خريطة المدينة التي ينحني عليها الجنرال جوكوف تشير الى اي تحصن . لقد استولت الفرقة ٢٤ الالمانية على محطة السكة الى الجنوب وتحولت الى ناحية الغرب لتحطم الاستحكامات .

ثم استدعى جوكوف عضو المجلس الاعلى للحرب نيكيتا خروشيف وقال له : سيقضي تماما على هذا الشكل لمدة يومين .. ليس لدينا اية امدادات او احتياط .. اننا بحاجة فورية الى وحدتين او ثلاث .

وخرج خروشيف ليبلغ الزعيم السوفياتي ستالين بالامر . وكان الجواب ان ارسلت كتيبتان مجهزتان تماما، الاولى من مشاة البحرية والثانية من المصفحات .

ولدى وصول الكتيبتين ، انطلقت الاولى فورا الى المعركة ، وتمركزت الثانية في وسط المدينة وفي المرفأ لحماية الجبهة . لقد انقذت هاتان الفرقتان الجبهة الروسية من الانحدار .

تغيير القيادة الالمانية

في ١٧ ايلول جمعت القيادة الالمانية جميع وحداتها المحاربة على جبهة ستالينغراد تحت امرة جنرال الجيش السادس . وبذلك اصبحت الفرقة ٤٨ المدرعة التابعة للجيش الرابع بقيادة الجنرال بولوس .

وجاء الامر من هتلر : يجب الانتهاء واخذ المدينة .

واذا لم تكن المدينة قد سقطت بالرغم من تقدم القناصة والمصفحات وقاذفات القنابل الالمانية ، فذلك يعود الى شيء واحد ، وهو اصرار خروتشيف اليائس على استخدام جميع طاقات الجيش الاحمر . فبين ١٥ ايلول و٣ تشرين الاول حصل الجنرال السوفياتي جوكوف على ست وحدات من المشاة بينها وحدتان من الحرس . واطلقت هذه الوحدات في وسط المدينة داخل الانقاض والمنازل والمصانع التي تحولت جميعها الى شبه حصون .

لقد اندحرت سبع وحدات المانية في سلسلة معارك مستمرة بين نهري الدون والفولغا ، ولم يبق من الجيش الالماني سوى عشر وحدات .

الف غارة يوميا

وكان من الظاهر ان الالمان متفوقون بسلاح الطيران . فقد كانت طائرات الجنرال فيبيغ تقوم يوميا بما يزيد على الف غارة ، لا تجد مقاومة امامها.

لكن جوكوف كان يتساءل :

ما نفع التفوق الجوي ، اذا كانت وحدات المشاة ضعيفة الى حد لا يمكنها معه مجابهة المقاومة ؟

وخلال ليل ١٧ ــ ١٨ ايلول ، اضطر الجنرال السوفياتي ان يترك مركز قيادته المحصن على نهر « تساريتزا » . فقد هاجمت الفرقة ٧١ الالمانية المقر من شارع بوشكين وملأت ممراته بالقتلى والجرحى والمحاربين المحتجزين .

وفي ليلة يغشاها الضباب ، قطع الجنرال جوكوف خطوط الالمان وهو يحمل اوراقه وخريطة المعركة ، وتمكن من الوصول مع كريلوف الى ضفة الفولغا . وهناك وفي ارض منحدرة كثيرة النواتيء والاجراف ، اتخذت القيادة السوفياتية مقرا لها الى جانب مصنع « باريكاد روج » للاسلحة ، وحفرت عدة ممرات وانفاق للحماية من المدافع الالمانية .

المعركة العنيفة

وفي ٢٧ ايلول ١٩٤٢ كان يمكن الاعلان عن سقوط ستالينغراد بعد ان وصلت الكتيبة الالمانية ٧١ الى ضفة الفولغا . وهناك دارت معركة هي اعنف ما شهدتها الحرب من ضراوة وقسوة . ففيما يتعلق بالصمود وتجميع القوى والمعدات المستعملة في بقعة ضيقة من الارض ...

كانت المعركة شبيهة بمعركة فردان في الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٦ حين سقط خلال اشهر اكثر من نصف مليون قتيل من الالمان والفرنسيين .

بالسلاح الابيض

ووصف (رولف فرامس) احد قادة الفرقة ١٤ الالمانية المدرعة المعركة بقوله :

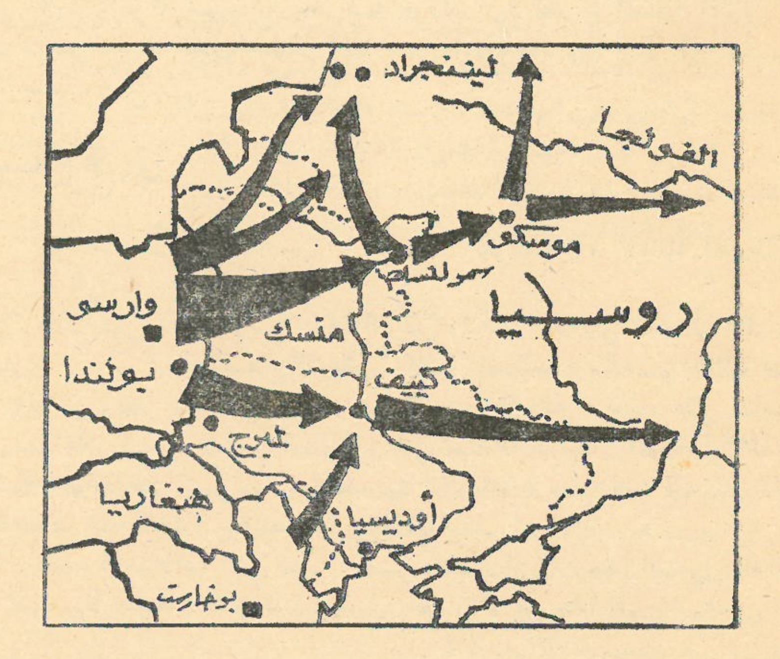
كانت معركة ضارية فوق الارض وتحتها .. بين الانقاض وفي المجاري .. معركة بالسلاح الابيض ، كانت المصفحات تقتحم خلالها جبالا من الانقاض وتجر بطريقها كميات من الاسلحة المعطلة . كانت تطلق قنابلها على مسافات قريبة جدا من الشوارع التي تسدها الحيطان المهدمة . اما على ضفة الفولغا فلم نكن نتميز العدو ولا بطارياته او مشاته . فقد كان يقذف ليلة بعد ليلة مئات من الجند الى المدينة عبر نهر هائل .

فهذه الامدادات التي تعبر النهر باستمرار ، وهذا التبديل الدائم في الجنود ، وهذا الدم الذي يسيل باستمرار في هذا الشريان الحي الذي

اسمه الفولغا ، كل ذلك طرح امام الالمان موضوعا لم يتمكنوا من حله .
اما السر في هذا الموضوع ، فهو النتوءات الدلفانية في ضفة الفولغا والاجراف المتعددة فيها .

لم تتمكن المدفعية الالمانية من اختراق مركز السوفيات في الضفة . التي اصبحت مخزنا للمؤونة ومركز تجميع رائع للرجال والعتاد الذين يصلون ليلا .

لقد كان لهذه الضفة قيمة تساوي قيمة حصن منيع بالنسبة للقنابل ، ولم يكن بين الالمان وهذا « الحصن » سوى عدة مئات من الامتار .
ولكن الكتيبة ١٤ الالمانية اقتحمت الانقاض ووصلت مصفحاتها حتى الفولغا حيث دخلت مصنع الاسلحة « باريكاد روج » واصبحت في وجه مركز القيادة السوفياتي على الشاطىء المنحدر .
وفي ٢٥ تشرين الاول . انهار الهجوم الالماني امام المقاومة الروسية وانحنى القائد الالماني ليسير وراء مصفحة معطلة ، في حين كان قائد الكتيبة ١٤ جثة بلا حراك الى جانبه ، وعلى بعد عشرة اقدام منهما كان قائدا المانيا اخر في حالة نزاع .



١١

الزحف الى موسكو

وصف مثير للقائد الروسي باورجان ماميش اوغلى

الاستقبال

نحن الان في في تشرين الاول عام ١٩٤١ ! والقوات الالمانية قد انتشرت في كل اوروبا شرقا وغربا !

جيوش الحلفاء تجري امام قوات هتلر التي لا تقهر !
القوات النازية تصل الى مشارف موسكو بعد ان دانت لها كل اوروبا!
راديو برلين يعلن ان القوات الالمانية ستكون بعد ايام في قلب موسكو !

شبح الخوف والهزيمة يسيطر على الكثير من جنود الاتحاد السوفيتي وسط دعاية المانية تؤكد اسطورة العسكرية الالمانية التي لن تهزم!

وفي هذا المناخ المحموم ، تصدر الاوامر لكتيبة روسية بقيادة «باور جان ماميش اوغلى » بان تتحرك من موقعها شرق موسكو الى اقرب محطة سكة حديد ، وتحركت الكتيبة الى المحطة وهي لا تدري الى اين ستتجه بعد وصولها الى محطة السكة الحديد ؟ .. ووصلت الكتيبة لتجد في انتظارها قطارا حربيا ، والقى جميع افراد الكتيبة باجسادهم في هذا

القطار ، وانطلق القطار ولا احـد يعرف ـ حتى القائد نفسه ـ اتجاه القطار، ولكـن عندمـا مروا بموسكـو واتجه القطار الى الغرب عرف اوغلى انـه وافراد كتيبته في الطريق الى ميـدان القتال حيث توجد خطوط الهجـوم الالمانيـة على موسكـو .

وبعـد مسيرة طولهـا ١٢٠ كيلومترا غرب موسكو ، توقف القطـار، وكـان ذلك في السابع من تشرين الاول عام ١٩٤١ ونزل الجنود بانتظـام من القطار ، وكان في انتظارهم بالمحطة قائد اللواء

وفجأة .. تساقطت قذائف المانيـة على المحطة ، وكانت هناك خزانات وقـود روسيـة ، اشتعلت فيها النيران وتحولت المنطقـة في ثوان الـى جحيم لا يطاق ، واندلعت السنة اللهب في كل مكـان ، وتكاثف الدخـان حتـى حجب الرؤيـة ..

* * *

كـان هذا اول استقبال من الالمان لهذه الكتيبة .
بعـد هذا الاستقبال الحار .. اصدر قائد اللواء اوامره لقائد الكتيبـة بـان يتجه وافراد كتيبته لاحتلال المواقع الدفاعية في منطقـة « فولولامسك» ووصلت الكتيبة الى الموقع الذي حددته لهـا قيادة الجبهة ، وفي هذا الوقت كـان ادولف هتلر يعلـن للعالم ان الطريق الى موسكو مفتوح لا مقاومة فيه !!
اخذت الكتيبة مواقعهـا الدفاعيـة استعدادا للهجوم الالماني .. وترك القائـد موقعه واتجـه شمـالا الى خطوط الالمان للاستطـلاع .. وكلمـا اقترب من هذه الخطوط شاهد مئات الجنود والمدنيين المنسحبين امام تقدم الالمان .. وحز في نفسه هذه المشاهـد المؤلمة .. وعاد الى موقعه فـي الكتيبة حزينـا كئيبا .. وفي موقع الكتيبة شاهـد بعض الافراد يجلسون حول النار من شدة البرد في شهر تشرين اول ..

يقول القائد :
ـ ونظرت بطرف عيني الى الجالسين حول النار ، فنهض البعض، واقتصر البعض الاخـر على التململ في مكانه ..
وسألت .. من هؤلاء ؟
وتقدم جندي قصير القامة ليس من الكتيبة وقال :
ـ نحـن من التطويق ياسيدي ..
ـ اي تطويق .. وايـن ؟..
ـ عند (فيازما) ... وهم يندفعون الان الى هنا ..

ـ من هم الذين يندفعون ؟
ـ الالمان .. الالمان .. الالمان !!!
ـ هل رأيتهـم ؟
ـ وهل يمكـن رؤيتهم ؟ انهم ينثرون الالغام كمـا ينثرون حب الحمص، ويندفعون بدباباتهم على الطرقات وهم يطلقون النيران بغزارة في كل اتجاه..
ـ وهل رأيت الدبابات ؟
ـ في السينما ياسيدي .. ففي السينما يمكن النظر الى الدبابـات بهدوء .. اما هنـا فـلا يتسع الوقت للرؤيـة ، فكل شيء يعوق العيـن عن النظر ، حتى النور لا تراه عندمـا تهدر دبابة وتطلق نيرانها هنا وهناك .
كانت هذه الكتيبة لم تشترك بعـد في القتال ، وكان افرادها يستمعون بانتباه شديد لهـذا الحوار بين قائدهم والجندي الفار من التطويق . وكان هؤلاء الفارون يمثلون عامـلا نفسيـا سيئا على افراد الكتيبة ، ولكن لم يكن هناك ايضـا مفـر مـن وجودهم بين جند كتيبة تستعد للاشتراك في الحرب.
وجاء المساء .. وبدا القائد يمـر بنفسه على رجال الحراسة .. واثناء جولتـه سأل القائد احد جنـود الحراسة عن مدى استعداده ..

فقال الجنـدي :
لم يبق الا ان اضغط على الزناد.. واخذ القائد المدفع الرشاش مـنه، وضغط القائـد فعـلا على الزناد ، ودوت اصوات الطلقات في هذا المكان، كانت هذه هي اول رصاصات تخرج من فوهة احد مدافع هذه الكتيبة.. وعلى الفـور صاح احد الجنود باعلى صوته ..
ـ المان .. المان .. المان ..

كانت هناك غابة قريبة من موقع الكتيبة ، وعلى الفور ايضا جرى الى الغابة هربا بعض الجنود .

عـودوا ايهـا الجبنـاء

صاح جندي الحراسة عليهم ..
ـ عودوا ايها الجبناء .. لا يوجد المان .. عودوا ايها الارانب الجبناء
يقول القائد : « وعاد الجبناء .. ماذا افعل بهم ...؟ هل احدثهم فقط؟ .. هل اصرخ فيهـم ..؟ هل احبسهـم ..؟ ام ماذا اصنع ؟»
ولكن كانت هناك مفاجأة لقد عادت الجماعة الا قائد فصيلة ، ثم سمعوا

القطار ، وانطلق القطار ولا احد يعرف ـ حتى القائد نفسه ـ اتجاه القطار، ولكن عندما مروا بموسكو واتجه القطار الى الغرب عرف اوغلى انه وافراد كتيبته في الطريق الى ميدان القتال حيث توجد خطوط الهجوم الالمانية على موسكو .

وبعد مسيرة طولها ١٢٠ كيلومترا غرب موسكو ، توقف القطار، وكان ذلك في السابع من تشرين الاول عام ١٩٤١ ونزل الجنود بانتظام من القطار ، وكان في انتظارهم بالمحطة قائد اللواء

وفجأة .. تساقطت قذائف المانية على المحطة ، وكانت هناك خزانات وقود روسية ، اشتعلت فيها النيران وتحولت المنطقة في ثوان الى جحيم لا يطاق ، واندلعت السنة اللهب في كل مكان ، وتكاثف الدخان حتى حجب الرؤية ..

* * *

كان هذا اول استقبال من الالمان لهذه الكتيبة .

بعد هذا الاستقبال الحار .. اصدر قائد اللواء اوامره لقائد الكتيبة بان يتجه وافراد كتيبته لاحتلال المواقع الدفاعية في منطقة « فولولامسك» ووصلت الكتيبة الى الموقع الذي حددته لها قيادة الجبهة ، وفي هذا الوقت كان ادولف هتلر يعلن للعالم ان الطريق الى موسكو مفتوح لا مقاومة فيه !!

اخذت الكتيبة مواقعها الدفاعية استعدادا للهجوم الالماني .. وترك القائد موقعه واتجه شمالا الى خطوط الالمان للاستطلاع .. وكلما اقترب من هذه الخطوط شاهد مئات الجنود والمدنيين المنسحبين امام تقدم الالمان .. وحز في نفسه هذه المشاهد المؤلمة .. وعاد الى موقعه في الكتيبة حزينا كئيبا .. وفي موقع الكتيبة شاهد بعض الافراد يجلسون حول النار من شدة البرد في شهر تشرين اول ..

يقول القائد :

ـ ونظرت بطرف عيني الى الجالسين حول النار ،فنهض البعض،واقتصر البعض الاخر على التململ في مكانه ..

وسألت .. من هؤلاء ؟

وتقدم جندي قصير القامة ليس من الكتيبة وقال :

ـ نحن من التطويق ياسيدي ..

ـ اي تطويق .. واين ؟..

ـ عند (فيازما) ... وهم يندفعون الان الى هنا ..

ـ من هم الذين يندفعون ؟

ـ الالمان .. الالمان .. الالمان !!!

ـ هل رأيتهم ؟

ـ وهل يمكن رؤيتهم ؟ انهم ينثرون الالغام كما ينثرون حب الحمص، ويندفعون بدباباتهم على الطرقات وهم يطلقون النيران بغزارة في كل اتجاه..

ـ وهل رأيت الدبابات ؟

ـ في السينما ياسيدي .. ففي السينما يمكن النظر الى الدبابات بهدوء .. اما هنا فلا يتسع الوقت للرؤية ، فكل شيء يعوق العين عن النظر ، حتى النور لا تراه عندما تهدر دبابة وتطلق نيرانها هنا وهناك .

كانت هذه الكتيبة لم تشترك بعد في القتال ، وكان افرادها يستمعون بانتباه شديد لهذا الحوار بين قائدهم والجندي الفار من التطويق . وكان هؤلاء الفارون يمثلون عاملا نفسيا سيئا على افراد الكتيبة ، ولكن لم يكن هناك ايضا مفر من وجودهم بين جند كتيبة تستعد للاشتراك في الحرب.

وجاء المساء .. وبدأ القائد يمر بنفسه على رجال الحراسة ..واثناء جولته سأل القائد احد جنود الحراسة عن مدى استعداده ..

فقال الجندي :

لم يبق الا ان اضغط على الزناد..واخذ القائد المدفع الرشاش منه، وضغط القائد فعلا على الزناد ، ودوت اصوات الطلقات في هذا المكان، كانت هذه هي اول رصاصات تخرج من فوهة احد مدافع هذه الكتيبة.. وعلى الفور صاح احد الجنود باعلى صوته ..

ـ المان .. المان .. المان ..

كانت هناك غابة قريبة من موقع الكتيبة ، وعلى الفور ايضا جرى الى الغابة هربا بعض الجنود .

عودوا ايها الجبناء

صاح جندي الحراسة عليهم ..

ـ عودوا ايها الجبناء .. لا يوجد المان .. عودوا ايها الارانب الجبناء

يقول القائد : « وعاد الجبناء .. ماذا افعل بهم ...؟ هل احدثهم فقط؟ .. هل اصرخ فيهم ..؟ هل احبسهم ..؟ ام ماذا اصنع ؟»

ولكن كانت هناك مفاجأة لقد عادت الجماعة الا قائد فصيلة ، ثم سمعوا

صوت عيار ناري ، وذهب احد الافراد الى مكان هذا العيار ،فوجد ان قائد الفصيلة الهارب قد اطلق الرصاص على يده اليمنى حتى يعفى من الحرب، وجاءوا به لقائد الكتيبة .

ماذا فعل القائد بهذا الرجل المسئول ..؟

لقد قرر اعدامه امام جميع افراد الكتيبة !!

جاء الصباح .. واصطف جميع افراد الكتيبة على شكل مربع .. وجاءوا بالخائن .. وامر القائد برفع الرتب والشارات من قائد الفصيلة الهارب .. وامر فرقة اطلاق النار بالاستعداد لاعدام الخائن .. وعروه من المعطف والرتب والشارات .. ووقف الخائن امام فوهات مدافع هذه الفرقة .. وقال القائد بصوت ملأ صمت المكان كله ...

ـ ايها الجنود .. ان هذا الخائن يحب الحياة لنفسه ، لهذا قرر ان تموتوا انتم ويحيا هو .. وهكذا يحيا الطفيليون على حساب الاخرين

ثم بدأ القائد يوجه كلامه للخائن

ـ هل تذكرت اولادك وانت تفعل ما فعلت ؟.. انهم الان اولاد خائن .. ولسوف يشعرون بالخزي والعار .. وسيخفون اسم ابيهم عن الناس .. اما زوجتك فستكون ارملة خائن .. جبان .. اعدم رميا بالرصاص امام جنوده .

وقال الهارب :

ـ الصفح .. ارسلوني الى القتال ..

ورد القائد :

ـ كلا .. سنذهب جميعا الى ساحة القتال .. ستذهب الكتيبة باكملها .. انظر الى هؤلاء .. انهم فصيلتك التي كنت قائدها .. عشت معهم .. واكلت معهم .. وضحكت معهم .. وهم جميعا سيذهبون الى ساحة القتال ... ولكنهم قبل ان يرحلوا .. هم انفسهم سيطلقون عليك الرصاص ايها الخائن الهارب من القتال ..

ثم قال القائد :

ـ خائن .. در

وارتفع صوت القائد اكثر من قبل .. وهو يعطي الاوامر لفرقة ضرب النار ..

ـ على الجبان .. خائن الوطن .. الناكث بالعهد .. جماعة ..

وقبل ان ينطق باخر أمر .. شاهد الجماعة .. وقرأ ما تقوله عيونهم .. ان عيون جماعة ضرب النار تقول .. سامحه .. اتركه .. انت تملك ذلك .. ما هذه القسوة اما الخائن نفسه فلقد كان يتمنى الموت .. بل ويسرع اليه .. كان هذا يبدو من نظراته .. مما اضطر القائد ليقول لجماعة ضرب النار ..

ـ .. توقفوا ...

ونظر الى قائد الفصيلة الهارب وقال له : البس معطفك .. وعد لجماعتك .. وعاد الخائن الى فصيلته .

***

لم يكن النصف الاخير من قصة قائد الفصيلة الا حلما يتمناه القائد .. كانت هناك عوامل تدفعه الى وضع نهاية لقصة هذا الخائن كتلك النهاية ولكن شيئا من هذا لم يحدث .. فعندما قال القائد

ـ على الجبان .. خائن الوطن .. الناكث بالعهد .. جماعة ..

اكمل بقية الامر وقال ..

ـ اضرب .. اضرب .

وسقط الجبان ..

وانتهت قصة الخائن ..

يقول القائد تعليقا على هذه الحادثة ..

« انني انسان .. وأنا كبشر كانت كل احاسيسي تصرخ بشدة وتقول .. لا لزوم لذلك .. ارحمه .. اعف عنه .. ولكني كقائد .. أب .. قتلت ابنا من ابنائي .. وكان يقف امام مئات من ابنائي .. وكان علي ان اطبع في نفوس هؤلاء الابناء .. انه .. لا مكان للرحمة .. ولن يكون هناك مكان للرحمة عندنا لخائن ».

***

في اليوم التالي لحادث اعدام الهارب ، مر القائد على الجنود ، وسمع المفوض السياسي للحزب الشيوعي يتحدث اليهم كثيرا عن الموت .. الموت في سبيل الوطن .. الموت في سبيل الاشتراكية .. الموت لا التراجع ..

ولم يعجب القائد حديث الموت ، وقرر ان يتحدث الى جنوده عن الحياة ... بدأ الحديث بسؤال :

— ايها الجنود .. ليرفع يده من لا يريد ان يعيش ؟
ولم ترتفع يـد واحدة !!
فقال لافراد الكتيبة :

— لكيلا نموت .. لكي نحيا .. لا بد ان نقاتل .. كلنا يريد العودة الى بيته منتصرا .. يقبل زوجته واطفاله .. ان العودة الى البيت او عدم العودة متوقفة عليك وحدك .. فاذا كنت تريد ان تبقى حيا فعليك ان تقتل من يسعى لقتلك .. وانت ان لم تقتل الالماني، فسيقتلك هو ، ولن تعود الى بيتك حيا .. ان قتل المحارب من الخلف اسهل الف مرة من قتله من الامام .. فلا تعطوا ظهوركم للعدو .

وبهذا الحديث البسيط عن الحياة دب النشاط في افراد الكتيبة، وتخلص الجنود من كلمة الموت الثقيلة على النفس دون تهاون امام الواجب والشرف .

للاستطلاع

بعد هذا الحديث اختار القائد جماعة للاستطلاع ، وذهبوا في اتجاه خطوط الالمان ، وقالوا ان الالمان على بعد عشرين كيلومترا من مواقع الكتيبة ..

وبدأ العمل على الفور ..

كان الواجب المكلفة به هذه الكتيبة هو حماية سبعة كيلومترات منها كممر يؤدي الى موسكو ، وقام القائد بتوزيع الافراد والتأكد من الخنادق والسلاح والذخيرة والروح المعنوية عند الافراد .

وخرجت جماعة الالغام تزرع الطريق امام الجنود الالمان المتوقع تقدمهم . وتمت زراعة حقول الالغام بنجاح ، واستعدت جماعة المدفعية المضادة للدبابات .

وفي نفس الوقت كانت جماعة الاستطلاع تتسلل بصفة دائمة الى مواقع القوات الالمانية ، وكان القائد يرمي من ذلك الى معرفة جنوده بالالمان ، ومشاهدتهم عن قرب ، وبانهم بشر ، وانتزاع الخوف من نفوسهم ، ومن كثرة جماعات الاستطلاع التي تسللت الى خطوط العدو اصبح الالمان شيئا عاديا بالنسبة لجندي الكتيبة .

بعد الاستطلاع قرر القائد انتزاع ما بقي من خوف غائر في نفوس

افراد الكتيبة .. لقد كان العدو الالماني على مسافة عشرين كيلومترا تقريبا محتلا قرية كبيرة اسمها « سيريدا » ويتفرع منها عدة طرق هامة تؤدي الى ثلاث مدن ، وللعدو في القرية مخازن تموين وذخيرة ووقود ، وتصل الى القرية قوات المانية من اماكن مختلفة للحصول على ما تحتاج اليه ..

يقول قائد الكتيبة العظيم « وخطرت لي فكرة .. لماذا ننتظر هجوم الالمان ؟ .. لماذا لا نضربهم في هذه النقطة الهامة .. دون انتظار لان يضربونا ؟ ماذا يحدث لو قمنا بغارة ليلية على سريدا ..؟ »

الهجوم

يقول القائد العظيم « واتخذت قراري بالهجوم في نفس الليلة » .

واختار القائد مائة جندي للهجوم ليقودهم بنفسه ، على ان يبدأوا الضربة الاولى في ساعة متأخرة من الليل ، ووضعت خطة كي يبدا الهجوم من ثلاثة اماكن ، لكي يتم حرق الذخيرة والوقود والتموين ، وقتل الالمان، ثم عودة القوة .. وقبل الرحيل ،قال لهم القائد :

— ايها الرجال .. ان العدو يظل رهيبا ما لم نذق طعم دمه .. فلنذهب . ولنضرب .. فمن اي شيء خلق الالمان ؟.. هل يسيل دمه من رصاصنا ؟ هل يصرخ اذا ما دخلت رصاصاتنا في احشائه ؟وهل يعض الارض باسنانه وهو يلفظ انفاسه ... لننطلق ايها النسور ..

* * *

وانطلقت الجماعة ليلة ٥ تشرين الاول عام ١٩٤١ في بداية اول معارك لها مع العدو، ووضع بقية افراد الكتيبة ايديهم على قلوبهم . هل سينجح رفاق السلاح ومرت ساعات كأنها الدهر العريض كله .. ثم لاحت في الافق انوار .. واصوات قادمة من بعيد .. هل هذا هو الفجر ؟ لا .. الشمس لا تشرق من الشمال .. انهم الرجال يحرقون ويقاتلون الالمان .. ويشعر الجميع بالسعادة .. فليس هناك اسعد واروع من احساسك وانت تضرب العدو .

عادت القوة الفدائية في الصباح .. وكانت قد ذهبت سيرا على الاقدام وعادت راكبة الجياد التي استولت عليها من الالمان . لقد كان لقاء رائعا بين القوة وافراد الكتيبة .. ولقد جاءوا ايضا باسرى معهم .

وبدأت هذه الجماعـة تحكي قصة بطولتهـا بين جميع افراد الكتيبة حتى القائد بدأ استجواب احد الاسرع الالمان وقال الاسير « ان القـوات الالمانيـة سوف تفطـر في موسكو » ضحك جميع افراد الكتيبة ، فلقدانتزع الخوف تماما من قلوب افرادهـا .

وكانت هذه بدايـة موفقـة لمعارك هذه الكتيبة ولكن المعارك الشاقة لم تبدأ بعـد .

* * *

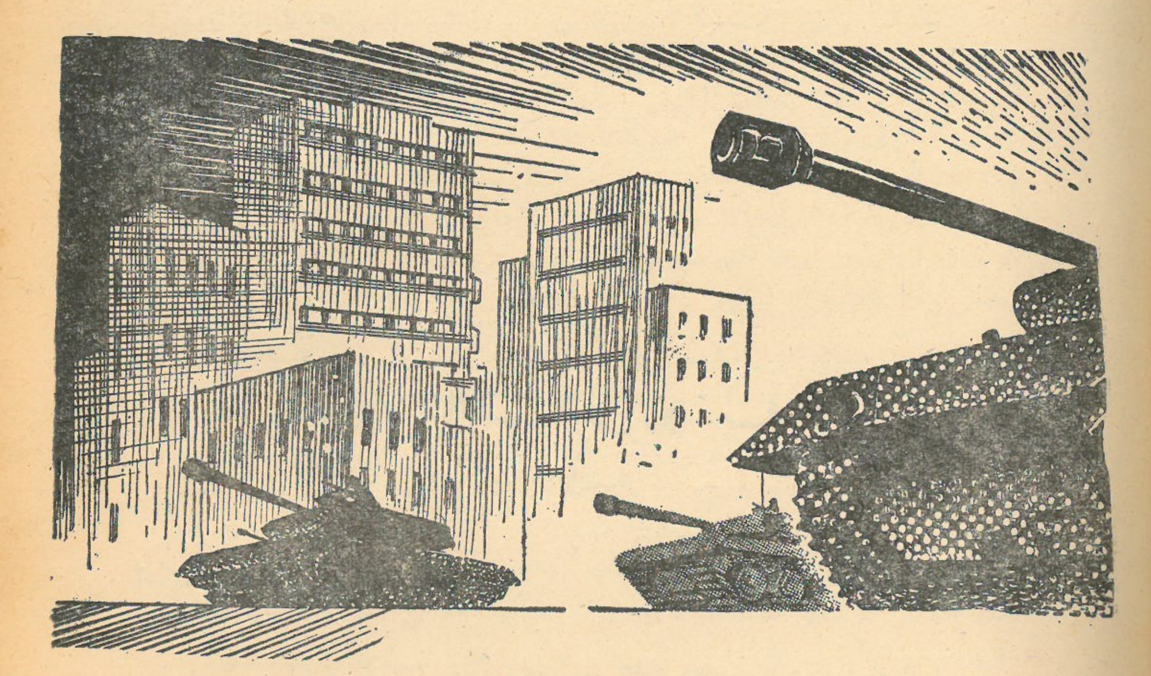
في احد الايام .. جلس قائد الكتيبة وحده يفكر في الموقف الذي اصبح فيه .. كـان يتصور ان مهمته الرئيسية ان يعطل العدو عن تقدمه نحـو موسكو ثم الانسحاب الى خط الدفاع الثاني . . فلا بد ان هناك خطـوط دفاع مستمرة حتى موسكو .. ولكن الموقف مختلف تمامـا .. ان مسئوليته كبيرة ، فعليه ان يوقف تقدم الالمان نحو موسكو .. ولا يوجد خطوط دفاع خلفه .. يا للمهمة المقدسـة الجسيمة .

يقول الرجـل :

« وضعت نفسي محل العدو ، واخذت افكر بعقله وتساءلت .. هل من الممكـن ان يقع اختياره على نقطة تبدو انسب من غيرها للهجوم علينا ؟ لا .. ان العدو ليس باحمق ولا بد انـه سيفكر بعقلي كمـا افكر انا بعقله ، ومن الطبيعي انه سيقـدر افكاري بسهولة وسيجد طريقة لخداعي والتمويه علي، كأن يهاجم بقوة صغيرة في مكان ما ، فأحشد انا قواتي على عجل واوجه الى هذه النقطـة نيـران مدافع الميدان والهاونات ، وعندئذ يوجه قواه الرئيسية لاختراق المنطقـة التي اخليتهـا من الجنود .. لا .. لن اتركه يخدعني !!

في اليوم التالي تمكن الالمان من اختراق ايمن الكتيبة ، واصبحـت القوات التي يقودها اوغلى محاصرة ، وكان السبب في ذلك سقوط مواقـع الكتيبة المجاورة لهذه الكتيبة .. وكان الالمان يتقدمـون تحت ستار ناري كثيف .. وطلب قائد اللواء اوغلى .. وقال قائد اللواء عبر اسلاك التليفون :

ـ اوغلى .. اهذا أنت .. فات الاوان .. لقد تغلغل العدو .. هنـاك طابور يتقدم نحو رئاسة اللواء .. سأنسحب .. وطابور اخر يتقدم نحوك .. اسحب جناح الكتيبة الايمن .. وقاوم .. ثم انسحب . .ولم يكمل القائـد كلمته .. لقد انقطع الاتصال تمامـا .. واصبح القائد لديه نصف امـر بالانسحـاب ..



الحرب في الشوارع

يقـول قائـد الكتيبـة :

اني اشعـر بالخجل عندمـا اذكـر هذا .. لقد كانت لحظات سريعة استسلمت فيهـا لخداع النفس المنحط . .عندما حاولت ان اقنع نفسي بانني سمعت كلمة انسحب .. انا لم اسمع هذه الكلمة .. ولن اسمعها ..

ورفض الرجل الانسحـاب .. وقرر النضال والقتال بالكتيبة المحاصرة .. ولم تتمكـن قوات الالمان من احتلال موقع الكتيبة او القضاء عليهـا ،وظل القائد يحارب بقوة وشجاعـة هذه القوات الضارية بلا توقف ..حتى جاءت القوات الروسيـة تطارد الالمان وتستمر المطاردة حتى برلين نفسها .. وتنتهي الحرب .. وتتحرر الارض ، وتدفن اسطورة الجيش الالماني النازي الذي لا ينهـزم .

١٢

الهجوم الالماني على روسيا

اسبابه ونهايته

اسباب الحرب

كانت الحرب الالمانية ـ الروسية ـ حدثا محتوما منذ قيام الرايخ الثالث وتولى هتلر والحزب النازي زمام الحكم في المانيا (١٩٣٣) وقد دارت آلة الحرب الجرمانية الهائلة بعد ذلك وفي اعتبارها الاول القضاء على العدو العنصري والعقائدي من وجهة النظر الالمانية النازية ، الذي يتمثل في الاتحاد السوفياتي وحكومته الشيوعية وشعبه السلافي . ولكن حرص بريطانيا العظمى ، في تلك الفترة ، على لعبة التوازن الدولي وخشيتها من قوة المانية طاغية واتجاه هتلر الى اعادة تخطيط الحدود الاوروبية على هواه ، وبالقوة ، ابعد احتمالات الصدام النازي ـ السوفياتي بعض الوقت وجعل القوة النازية الجديدة تتجه بجبروتها نحو الغرب لتحتل غرب اوروبا كله وفرنسا في اقل من اسبوعين .

وهنا عاد هتلر يتجه بنظره نحو الاتحاد السوفييتي مرة اخرى، تحقيقا للاستراتيجية النازية الاساسية وسبيلا الى اجبار بريطانيا على الركوع وتلقى شروطه بعد الحاق الهزيمة بالاتحاد السوفييتي والانقضاض على امبراطوريتها في الشرق الاوسط عن طريق آسيا السوفييتية .

فهل كان الاتحاد السوفييتي غافلا عن الخطط النازية وعن مطامع هتلر ؟؟

طبعا لا ، ولكن اتفاقية الصداقة وعدم الاعتداء التي عقدها ستالين مع هتلر بالاضافة الى الحرب في غرب اوروبا جعلته يخطيء خطأ بالغا في تقدير موعد الخطر النازي .. وقد كان هذا الخطأ الكبير احد الاسباب الرئيسية في الحاق ضربات هائلة بالاتحاد السوفيتي كادت تجهز عليه في الاسابيع والاشهر الاولى من القتال .. ورغم ان ستالين استطاع ان يعرف موعد الهجوم النازي عن طريق الجاسوس السوفييتي « سيرج » الا انه استخف بهذه المعلومات ولم يستعد . فصدقت المعلومات وخاب حدس وثقة القائد الدكتاتور .

وكانت هنالك ايضا احوال الجيش الاحمر التي بدورها مهدت للانتصارات النازية الساحقة في اول ايام القتال .

لقد كانت عملية باربروسا اعظم عملية شهدها التاريخ، ولعل يوم ٢٢ تموز ١٩٤١ وهو اليوم الذي بدأ فيه الغزو الهتلري ضد الاتحاد السوفييتي هو قمة التاريخ العسكري منذ بداية الانسانية . فلم يحدث من قبل ان امكن استخدام فنون التنظيم والمواصلات والاتصال بمثل هذه الدرجة . يومها قال هتلر :« ليس امامنا الا ان نركل الباب الامامي حتى يتهاوى البناء الروسي المتآكل !»

ومع تتابع الايام والاعلام النازية تتقدم بسرعة فائقة على طول الجبهة الروسية بدأ الناس يميلون الى تصديق هتلر .. ولاول مرة لم يساور العقول العسكرية اية شكوك وهي تشاهد الجيوش الالمانية تتوغل عميقا وسريعا في قلب الاتحاد السوفييتي ، فهنا ،كما كان يبدو بوضوح،لم يكن الانسحاب بناء على خطة تكتيكية بارعة تستهدف استدراج العدو الى فخ منصوب له ، وانما كان التقدم الالماني الكاسح يسير على ارض خضبتها دماء الجيوش الروسية ، والاسرى الروس يقعون بمئات الالوف ، والمعدات الروسية تدمر بكميات هائلة ، حتى ان الهجمات الالمانية الجوية الاولى على المطارات الروسية استطاعت تدمير الف ومائتي طائرة روسية في الساعات الثماني الاولى من بدء الحرب .

وقد بدأ الغزو النازي بثلاث مجموعات من الجيوش .

مجموعة جيوش الشمال ، بقيادة الفيلد مارشال ليب ، وهدفها لينينغراد .

مجموعة جيوش الوسط ، بقيادة الفيلد مارشال بوك ، وهدفها النهائي موسكو .

مجموعة جيوش الجنوب ، بقيادة الفيلد مارشال رونشتد ، وهدفها كييف واوكرانيا كلها .

واستطاعت مجموعة جيوش الوسط وكانت اقوى المجموعات الثلاث قوة وعددا ، ان تتوغل في الاراضي الروسية مسافة ٥٠٠ ميل في اقل من شهر من بدء القتال واحتلال مينسك وسمولنسك وانزال خسائر هائلة بالقوات الروسية . وعندئذ اضطرت الى التوقف مدة اسبوعين للراحة واستجماع القوى وحتى يستطيع المشاة اللحاق بالقوات المدرعةالمتقدمة.

وفي الجنوب بدارونشتد هجومه الصاعق نحو كييف وخاركوف لاحتلال اوكرانيا التي كانت هدفا مغريا امام هتلر لثرواتها الزراعية ولتركز الصناعات السوفييتية في هذه المنطقة . ولهذا السبب فقد امر هتلر بان يتوقف زحف مجموعة جيوش الوسط نحو موسكو وبان يتجه الجنرال هاينز جودريان بسلاحه المدرع الى الجبهة الجنوبية حتى يتم تصفية القوات السوفييتية الكثيفة فيهذه المنطقة قبل الاندفاع النهائي في اتجاه موسكو . وقد استطاع رونشتد ان يوقع بالقوات الروسية افظع كارثة عسكرية في تاريخ الجيش الروسي . فيحتل كل الاهداف المحددة ويأسر ويقتل ويصيب حوالي ستمائة الف جندي روسي .

وفي الشمال استطاع الفيلد مارشال ليب بجيوش اقل عددا وعدة من المجموعتين الاخريين ان يحقق تقدما كاسحا ويحطم كل قوى المقاومة الروسية ويصل الى مشارف ليننفراد في اول ايلول .

وبهذا وفي نهاية عام ١٩٤١ وصلت الحملة الالمانية مرحلة الهدف النهائي وهي تمتد على جبهة طويلة تمتد من ليننفراد شمالا الى جزيرة القرم في البحر الاسود جنوبا والجيوش الالمانية تواجه العاصمة السلافية القديمة وعاصمة الثورة البلشفية : موسكو .

لقد بدأت معركة موسكو . وكان العالم كله يرغب هذه المعركة ، فهي المعركة التي قد تقرر مصير الحرب العالمية الثانية .

ماذا كان في موسكو ؟

كان ستالين يكتب بيده في دفتر صغير كل الامكانيات المتاحة له في الدفاع عن العاصمة الروسية بعد الخسائر المذهلة التي تعرض لها الاتحاد السوفييتي في الاشهر الاربعة الاولى من الحرب . فقد خسر مساحات شاسعة من الاراضي وذهبت معها ثروات صناعية وزراعية لا تقدر وبلغتالخسائر في الجنود المقاتلين والادوات العسكرية درجة مروعة.

وتجمعت امام موسكو جموع العمال المتطوعين ، والحرس الاهلي ،والمدنيين الذين لم ينالوا اي قسط من التدريب ، وفي نفس الوقت أعطيت الاوامر للفرق الروسية في الشرق الاقصى لتتحرك غربا الى موسكو .

وكانت هناك بقايا الجيوش السوفييتية التي تجمعت في موسكو مرة اخرى بعد ان تشتت في المعارك السابقة ، ولكن باعداد تقل كثيرا من الاعداد السابقة . فالفرقة المدرعة خفيفة ، وفرقة المشاة ٢٩٩ لم يكن يزيدعددها على ٨٠٠ رجل ، واللواء المدرع ٢٥ لم تزد قوته على ٥٠ رجلا و٤ دبابات خفيفة .

ورغم ان كثيرا من اهالي موسكو اتجهوا شرقا طلبا للامن فان ستالين وقيادته بقوا صامدين في موسكو لا ينوون الخروج منها . وحين بدأت العملية الالمانية : «الاعصار» ضد موسكو واستطاعت أن تخترق الخطوط السوفييتية في بعض المواقع اتصل ستالين تليفونيا بالجنرال زوكوف (قائد الجبهة الغربية) وسأله :« قل لي ، بصراحة وبالاسلوب الشيوعي، هل نستطيع ان نحتفظ بموسكو » . فرد عليه زوكوف بان ذلك ممكن ،بشرط ان يزوده ستالين بجيشين جديدين وبمائتي دبابة .. فقال ستالين : « الجيوش ممكنة .. اما الدبابات فلا !»

لقد كان من الممكن تجميع اعداد كبيرة منالجنود الجدد ، اما الآلات وما تحتاج اليه من مصانع وادوات خام فلم يكن ممكنا .

فبعد آب بدىء في نقل المصانع الى الشرق،وانخفض بذلك الانتاج الحربي . وبعد ان استطاعت المصانع ان تنتج الفي طائرة في حزيران نزل الرقم الى ٦٢٧ في تشرين الثاني ، واكبر مصنع للدبابات في خاروكوف انتهى عمله بسقوطها ، وخسر الاتحاد السوفييتي بسقوط منطقة الدون وغيرها ثلثي ثروتهمنالفحم ، وثلاثة ارباع انتاجه من الحديد والمنجنيز ونصف انتاجه من الصلب . لقد انخفض الانتاج في الاتحاد السوفييتي الى النصف بعد الاشهر الاربعة الاولى من القتال . وانخفضت قوة العمل من ٣١مليون عامل في سنة ١٩٤٠ الى ٢٠ مليون فقط في نهاية ١٩٤١ ، فبعضهم وقع في قبضة القوات الالمانية وبعضهم كان في طريقه الى مكان المصانع الجديدة في الشرق . واختفى مئات الالاف من العمال الزراعيين لينضموا للجيش وسقط جزء كبير من الاراضي الزراعية ، ونتج عن هذا كله انخفاض كبير في الانتاج الزراعي والانتاج الحيواني.

ويمكن تقدير الخسائر السوفييتية حتى اول كانون الاول ١٩٤١ :

٣ـ٧ ملايين قتيل

٢ـ٥ ملايين اسير
٢١٣٩١ دبابة
٣٢٥٤١ مدفع
اكثر من ثلاثة الاف طائرة

ولكن هذا كله لم يعن ان الاتحاد السوفياتي قد خسر القدرة على الاستمرار والمقاومة .

استئناف العمل

فقد استطاعت الصناعات الحربية في الشرق ان تستأنف العمل وسط ظروف قاسية وان تنتج اسلحة متفوقة على الاسلحة الالمانية . فكانت الدبابة الروسية ت٣٤ التي اثبتت تفوقها الواضح على الدبابة الالمانية ، واستطاع الطيران السوفياتي أن يعاود نشاطه وقدراته بطائرات ياك وميغ واليوشين ٢ التي بدورها تفوقت على الطائرات الالمانية ، رغم ان انتاجها لم يصل حتى نهاية ١٩٤١ الى معدلات الانتاج السابقة .

وكذلك فان المدفعية الروسية اثبتت كفاءة عالية ، خاصة المدفع المضاد للدبابات ٤٥ م م والمدفع الصاروخي المضاد للدبابات كاتيوشا (كاتي) واثبت رجال المدفعية الروسية بسالة منقطعة النظير فكانوا يموتون دائما الى جانب اسلحتهم ولا يسلمون . ورغم معدلات انتاج المدفعية فان التنظيم الجديد والجريء للمدفعية الذي اقدم عليه الجنرال فورونوف وذلك بانشاء « قيادة عليا للاحتياطي يجمع فيه كل قوى المدفعية بعد سحبها من الاسلحة الاخرى بما في ذلك سلاح المشاة ويوجهها في ساعة معينة الى احدى نقاط الجبهة فقط قد اعطى ثماره رغم مخاطره الكثيرة .

المقاومة تضرب من الخلف

وعند بداية كانون الاول استطاع الجيش الاحمر ان يستعيد قواه البشرية مرة اخرى وبعد كل الخسائر الجسيمة التي لحقت به أن يبلغ عدده ٤،١٩٦،٠٠٠ جندي « واضيف الى هذا العدد وحدات الميليشيا العمالية التي وقفت الى جانب الجيش العامل والتي كانت تتلقى تدريبها احيانا لاول مرة في ميدان القتال . وفي موسكو وحدها بلغ عدد المقاتلين المدنيين ٤٥٠،٠٠٠ منهم اكثر من ٥٠،٠٠٠ طالب .

وكانت هناك قوة اخرى تخرج في مؤخرة الجيش الالماني وتضربه

ضربات شديدة وتعبث بخطوط مواصلاته وتعطل تقدمه ثم تختفي في الادغال والمستنقعات والليل كأنها الاشباح وهي قوى المقاومة . واستنفدت حرب العصابات في الخطوط الخلفية جهودا كبيرة من قيادة الجيش الالماني . فمع بدء الحرب عهد الى الحزب الشيوعي بتنظيم جيوب المقاومة من العمال والفلاحين في كل الاراضي المحتلة وعلى طول خطوط الجبهة ، وبذلك كان الالمان يواجهون جيشين مختلفين في آن واحد .

وفي قمة البناء السوفييتي كان ستالين يجمع كل الخيوط في يده ويوجه العمليات بنفسه ويتولى منصبي وزير الدفاع والقائد الاعلى ويتصل بقادة الوحدات العسكرية يوميا ، هذا ليوبخه وذاك ليهنئه ويبلغه ترقية وآخر ليأمر باعدامه ،فورا ، وفي الجبهة ، على أن ينشر نبأ الاعدام في كل الوحدات العاملة لتعلم اسباب الاعدام وحتى « يتشجع الاخرون » . والى جانبه كانت تقوم « لجنة الدفاع عن الدولة »و« القيادة العليا » المؤلفتان من قادة الاتحاد السوفييتي العسكريين والسياسيين .

ويعتقد المؤرخون العسكريون بان القيادة السوفييتية العليا برئاسة ستالين استطاعت ادارة المعركة عسكريا وسياسيا بكفاءة نادرة عوضت عن قصر نظرها السابق وسوء تقديرها وكان لها ، الى جانب الحزب، الفضل الاول في تعبئة الناس ودفعهم الى الاستبسال في القتال وتعويق الغزو الالماني المتفوق على كل المستويات . كذلك فان قيادة ستالين استطاعت ان تعيد تنظيم الجيش الاحمر وبناءه من جديد وان تعيد اليه اعتباره وكفاءته العسكرية .

في ظل هذه الظروف بدأت معركة موسكو التي كان الجيش النازي يتلظى لها ويسيل لعابه طمعا فيها دون أن يتمكن يوما من تحقيق امنيته .

وحتى نستطيع الاحاطة الكاملة بمعركة موسكو يجب أن نستمع اليها من الجانبين ، الجانب الالماني ويرويه هنا الجنرال الفريد فيليبير احد قادة الحملة الالمانية في الجبهة الروسية ، والجانب الروسي ويرويه الماريشال زوكوف اعظم العسكريين السوفييت الذي عرفتهم الحرب العالمية الثانية وقائد جبهة موسكو والذي انتصر في كل معاركه حتى اطلقوا عليه لقب : الجنرال الذي لا يقهر .

وجهة النظر الالمانية

كتب الماجور جنرال اركان حرب الفريد فيليبير عن معركة موسكو

وعن الهجوم الالماني الاخير في اتجاهها يقول :

« لقد بدا واضحا ان قوة العدو ، عددا وعدة ، وقوى المقاومة لديه، قد قدرت تقديرا خاطئا هو دون الحقيقة بكثير ».

وكتب الجنرال هالدر في مذكراته بتاريخ ١١ آب ١٩٤١ :

« منذ اندلاع الحرب قدرنا قوة العدو بمائتي فرقة . حتى الان استطعنا ان نصد ٣٦٠ فرقة . صحيح ان فرقهم تكتيكيا تدار باسلوب سيىء وليست مجهزة على نفس مستوانا .. ولكنها هناك ! وكلما سحقنا « دستة » جاءت أخرى ... والعدو يكسب من عامل الوقت بسبب قربه من مصادر امداداته في حين اننا نتحرك باستمرار بعيدا عن مصادرنا » .

واستطاع العدو ان ينشىء خطا عميقا للدفاع في مواجهة مجموعة جيوش الوسط وامام موسكو . واحيانا انشأ خطوطا وراء خطوط .. وبهذا ووجه الجيش الالماني من جديد بمهمة اختراق خطوط دفاع جديدة ومحصنة تحصينا جيدا .

وكانت خسائرنا كبيرة منذ بدء الحرب خاصة بين الضباط وضباط الصف فانخفضت قوة المشاة بمقدار الثلث ، وكذلك فان خسارتنا بالآليات كانت كبيرة جدا .

وتقررت الخطة النهائية للوصول الى موسكو في ٢٤ ايلول بعد اجتماع للقيادة العامة لمجموعة جيوش الوسط حضره الفيلد مارشال فون بوك وقائد الجيش الاعلى براوشيتش ورئيس الاركان الجنرال هالدر،واطلقوا على الخطة اسم « اعصار » وكان علينا ان نندفع في هجوم ساحق مسافة ٣٠٠ ميل حتى نصل موسكو ، رغم اننا كنا قد قطعنا حتى الان (٥٠٠) ميل في الاراضي السوفييتية .

ويتحدث الجنرال فيليبي عن التحركات التفصيلية لتحركات الجيوش الالمانية .. وتقدمها السريع فيقول :

كما اراد القدر ، على اي حال ، ففي اللحظة التي هزم فيها العدوعلى جبهة عريضة (واستطعنا ان نتقدم ثلثي المسافة الى الهدف النهائي) وبدىء في ملاحقة قوات العدو المشتتة تغير الجو فجأة وهطلت الامطار وتعطلت المواصلات نهائيا . عندئذ لم تعد الملاحقة ممكنة .. رغم ان المرحلة الاولى من الهجوم تكللت بالنجاح وانتهت باسر ٦٧٣ الف اسير و١٢٤٢ دبابة ، و٥٤١٢ مدفعا » .

وبعد الامطار بدأ فصل الاوحال .. وتوقفت الحركة تماما .

وفي الجانب الاخر ، فقد كان العدو مهيأ لفصل الشتاء ، فهو في ارضه وبلاده . وكانت قدرته على الحركة اكثر منا .. كنا نحارب عدوين: الطبيعة والعدو .

الهجوم المضاد

وفي نفس الوقت بدأ العدو في هجمات مضادة هدفها توقيف راس الهجوم الى موسكو . وكتب المارشال بوك في مذكراته بتاريخ ٢٥ تشرين اول:

« المقاومة تزداد صلابة .. لقد أحضر العدو قوات جديدة من سيبيريا والقوقاز ويقوم بهجمات مضادة على طرفي الطريق المؤدية الى موسكو من الجنوب الغربي . ان النصف الجنوبي من جيشنا الرابع في حالة دفاع لانه لم يتمكن من جلب مدفعيته كاملة بسبب الاوحال .. كذلك فان الهجمات المضادة تنطلق في نقاط اخرى على طول الجبهة . ولكن،اذا فكر الواحد بطريقة اجمالية ،فان هذا كله لا شيء . ان توقفنا ناتج عن توزيع قوانا (كان بوك يريد تركيز قواته في خطوط اضيق) وبسبب الطقس . ان الروس يكسبون الوقت لتقوية جهاز دفاعهم واعادة بناء فرقهم وهم الذين يسيطرون على وسائل المواصلات والقطارات التي تجيء الى موسكو . ان كل شيء يبدو سيئا » .

« وبدأ هجومنا مرحلته الثانية نحو موسكو في النصف الثاني من تشرين الثاني . وانخفضت درجة الحرارة الى عشرين تحت الصفر وتجمد كل شيء . وواجهتنا مقاومة وحشية اعاقت تقدمنا . كذلك فان الطيران الروسي استعاد نشاطه في الوقت الذي لم يستطع طيراننا ان يساعدناكثيرا بسبب نقص الوقود وسوء حالة الطقس ..وانخفضت فجأة معنوياتجنودنا.

« واخيرا تجمدت قواتنا الالية تماما واصبحنا عاجزين عن التحرك خطوة واحد .. وبدأت الهجمات المضادة تهدد قواتنا .. وتأكد نهائيا بان الهجوم على موسكو قد فشل ولم يكن امام قادتنا الا الاعتراف بذلك . واتصل المارشال بوك بالقيادة العليا لاقناعها بالانسحاب وتوقيف الهجوم اذا ارادت ان تتجنب فناء قواتنا جميعا . وارسل بوك التقرير التالي للقيادة العليا :

« بعد صراعات دموية اخرى فان الهجوم سيتيح لنا احتلالارض محدودة وسندمر جزءا من قوات العدو ، ولكنه من المستبعد جدا ان نحرز انتصارا استراتيجيا . ان الفكرة بان العدو على حافة الانهيار هي من احلام الافيون كما اثبت القتال في الاسبوعين الاخيرين .. لذلك فانه من

العبث والسخف القيام بهجوم جديد خاصة وان التحمل الجسدي للجنود اشرف على النهاية ».

« واخيرا ،في الخامس من كانون الاول وافقت القيادة العليا على انسحاب قواتنا امام موسكو الى خطوط دفاعية خلفية .

« وعرفت القيادة السوفييتية حقيقة موقفنا واستغلته الى الحد الاقصى .. وبدأ الهجوم الروسي المضاد ضد مجموعة جيوش الوسط بفرقها الـ ٦٧ وهي في أضعف حالاتها ، وممتدة على جبهة طولها ٦٠٠ ميل ، بدون احتياطي وفي مواقع مكشوفة وبدون وقت لاعادة التجمع .

لقد بدأ زوكوف الهجوم المضاد الذي سجل اول انتصار كبير لقوات الحلفاء ضد قوى المحور .. ولنترك زوكوف يتكلم بنفسه في المقتطفات الموجزة التي ننقلها هنا من مذكراته عن معركة موسكو .

زوكوف يروي قصة المعركة

« ان تحول القوات السوفييتية من الدفاع الى الهجوم امام موسكو يجب النظر اليه من خلال الظروف الخاصة للوضع الذي تطور في الجزء الاستراتيجي الغربي ببداية كانون الاول ١٩٤١. فالقوات الالمانيةالتي وجهت ضربتها الى شمال غرب موسكو بهدف تكسير اجنحة الجبهة الغربية اصبحت في حالة سيئة من الانهاك الجسماني والمعنوي وامتدت خطوطها كثيرا . ولم يكن العدو يمتلك قوات احتياطية في الوقت الذي نشطت فيه حرب العصابات في خطوطه الخلفية .

وعلى اي حال ، فان الحالة كانت لا تزال سيئة بالنسبة للمدافعين. فقد خسروا كثيرا بدون ان يجبروا العدو على التوقف الكامل . وفي بعض النقاط كان العدو على مسافة تقل عن ٢٠ ميلا من موسكو ، وكان يجب صده مهما كان الثمن ، وقبل ان يكون من الممكن القول بان القيادة السوفييتية قد اتمت عملها . لذلك فان قرارنا بشن هجوم مضاد اتخذ في الوقت الذي كنا نخوض فيه معركة الدفاع وبعد ان استطاعت هجماتنا المضادة ان تثبت وجودها في اجنحة الجبهة الغربية عند نهاية تشرين الثاني وبداية كانون الاول .

« وحتى نهاية تشرين الثاني شغلنا الدفاع ووقف توقف العدو عن التفكير في الاعداد لهجوم مضاد .

« وفي ٢٩ تشرين الثاني كلمت ستالين بالتليفون وطلبت منه ان يأمر بنقل الجيش الاول الصاعق والجيش العاشر من احتياطي القيادة العامة الى

الجبهة الغربية حتى يمكننا توجيه ضربات اقسى للعدو ونتمكن من دحره عن موسكو . وانصت ستالين بدقة ثم سألني :

« هل انت متأكد من ان العدو قد وصل الى درجة الازمة وانه لا يستطيع احضار قوات جديدة للميدان ؟

فأجبته بان العدو منهك ولكن قواتي لا تستطيع تطهير الاراضي المتقدمة التي يحتلها العدو بدون جنود جدد . واذا لم نقض على قواته الان في هذه المنطقة فانه سيستطيع تعزيزها بقوات من الشمال والجنوب ويصبح عندئذ اشد خطورة .

« واخيرا ابلغني ستالين بانه سيستشير اولا هيئة الاركان ، ولذلك اتصل رئيس الاركان عندي الجنرال سوكولوفسكي ، بالتليفون ، بهيئة الاركان واوضح لهم الاسباب الداعية الى ضرورة نقل الجيوش وباسرع ما يمكن .. وفي ساعة متأخرة من تلك الليلة ابلغتنا القيادة العليا بان طلبنا قد قبل وان الاوامر قد صدرت للجيوش بالتحرك بما في ذلك الجيش العشرون ايضا . ثم طلبوا منا ان نقدم لهم خطة لعملياتنا المقبلة .

« وقبيل الفجر تماما في ٣٠ تشرين الثاني اتصل بي ستالين بالتليفون وسألني عن رأي المجلس العسكري في شن هجوم مضاد على طول الجبهة. فاجبته بأن قواتنا من الرجال والعتاد لم تكن كافية بعد ، ولكن قد يكون من الممكن تطوير هجماتنا في الاجنحة الى هجوم مضاد شامل .

« وبعد ان وضعنا الخطط .. ارسلناها الى القيادة العامة ... ووافق عليها ستالين بدون تعديل.

« واتصل بي ستالين مرة اخرى في٢ كانون الاول وفهمت منه بأن القيادة العليا تفكر في عمليات أوسع . واتصل بي بعد ظهر ذلك اليوم واخبرني بان قوات جيراننا في الجبهات المجاورة قد امرت بالهجوم لتساند هجومنا . وفي ساعة متأخرة من ليلة ٤ كانون الاول اتصل بي مرة اخرى وقال :« هل يمكننا ان نساعد اكثر ؟ وكنت اعلم انه لا سبيل الى المطالبة بشيء كثير فقلت له باني في حاجة الى مساندة جوية من احتياطي القيادة العامة وقوات الدفاع الجوية .. فوعدني بانه سيأمر الاركان العامة لتلبية طلبي .

« ولم يكن هنالك موعد محدد لهجومنا المضاد . فقد تطورت هجماتنا الى هجوم شامل في ٥و٦ كانون الاول وذلك نتيجة تتابع العمليات وتوسيعها جويا وارضيا ، وهكذا .

« وكان الصقيع الشديد يعوق تحركاتنا .. ورغم اننا لم نتفوق في

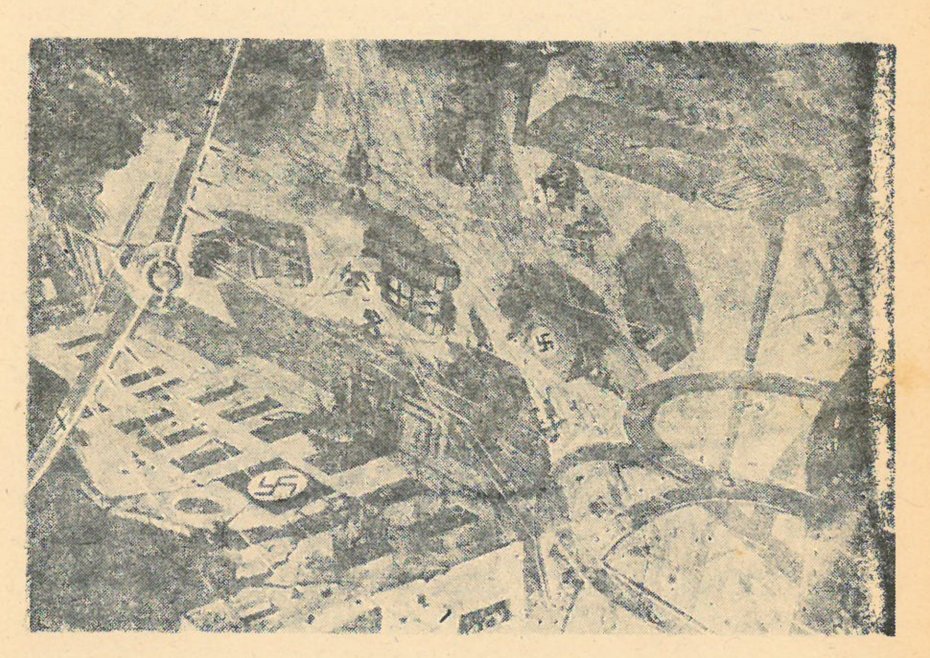
العدد على العدو الا ان معنويات جنودنا المرتفعة جعلتنا في مركز افضل . وقد كانت هذه المعنويات نتيجة عمل سياسي كبير قامت به دوائر الحزب ،قبل بدء الهجوم ، على كل المستويات حتى آمن الجميع بقدرتنا على سحق العدو امام موسكو . وهكذا بدأهجومنا المضاد » .

ويستمر زوكوف بعد ذلك في وصف العمليات التي ادارها والتي انتهت بدحر القوات الالمانية من امام موسكو مسافات مختلفة تتراوح ما بين ٥٠ و ١٠٠ ميل .

وكانت هذه هي المرة الاولى التي تهزم فيها القوات الالمانية هزيمة كبيرة منذ بداية الحرب .

واستمر بعد ذلك الاندحار النازي ..حتى ارتفع اخيرا علم الثورة السوفييتية فوق دار المستشارية في برلين .. بعد بضع سنين وملايين الضحايا .

فهذا هو ثمن النصر ..



المعركة في قلب برلين

١٣

معركة كورسك الهائلة

بقلم المارشال زخاروف رئيس
اركان حرب الجيش الروسي

اهمية المعركة

يقال عن معركة « كورسك » انها كانت واحدة من اهم المعارك في تاريخ الحرب الكبرى التي خاضها السوفيات ضد النازيين . ولو نظرنا اليها من ناحية اتساع نطاق المهمات الاستراتيجية والسياسية التي تحققت فيها عندئذ ، او من ناحية ضراوة المعارك وبطولة الجنود السوفيات وصلابتهم والفن الذي اظهره القادة العسكريون السوفيات ، لتبين لنا انها تشكل حدثا تاريخيا بارزا يعتبر دليلا على امجاد السلاح السوفياتي .

فان الانتصار الذي حققه السوفيات في مرتفعات « كورسك » ضد الغزاة الفاشست الالمان ، كان نقطة تحول في الحرب السوفياتية ضد الغزاة خاصة ، وفي مجمل الحرب العالمية الثانية عموما ، مما ادى الى وضع المانيا الفاشية على شفير الهاوية .

ان مزيفي التاريخ البورجوازيين يسعون بجميع الوسائل للتقليل من الاهمية التاريخية لمعركة « كورسك » ومن ضخامة الفشل الذي اصيبت به مخططات هتلر . ولكن هتلر نفسه كان قد ادرك مدى اهمية هذه المعركة . فقد بعث برسالة الى قواته في تلك الجبهة يوم ٤ تموز ١٩٤٣ قال فيها : انكم

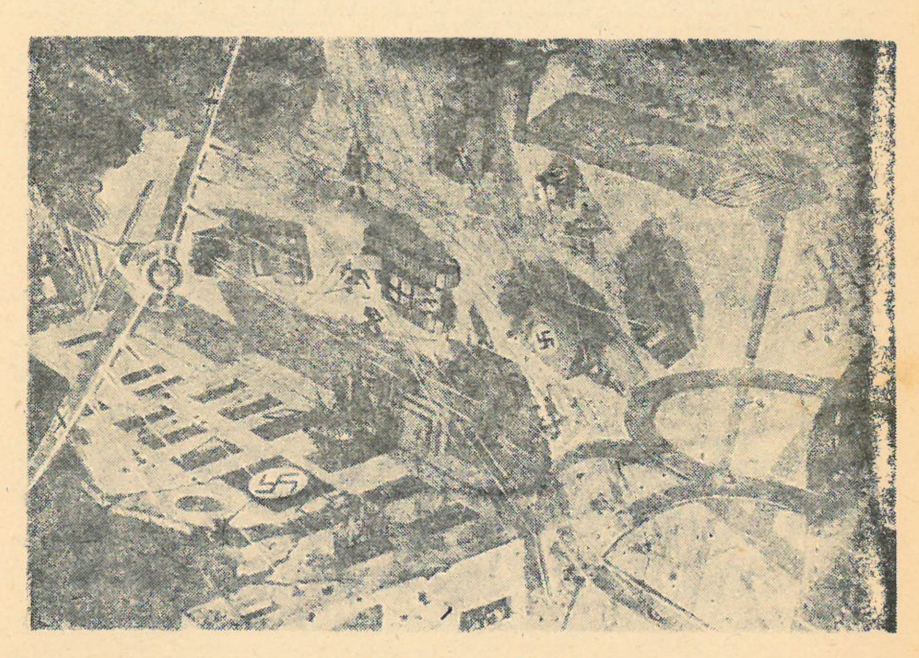
العدد على العدو الا ان معنويات جنودنا المرتفعة جعلتنا في مركز افضل . وقد كانت هذه المعنويات نتيجة عمل سياسي كبير قامت به دوائر الحزب ،قبل بدء الهجوم ، على كل المستويات حتى آمن الجميع بقدرتنا على سحق العدو امام موسكو . وهكذا بدأ هجومنا المضاد » .

ويستمر زوكوف بعد ذلك في وصف العمليات التي ادارها والتي انتهت بدحر القوات الالمانية من امام موسكو مسافات مختلفة تتراوح ما بين ٥٠ و ١٠٠ ميل .

وكانت هذه هي المرة الاولى التي تهزم فيها القوات الالمانية هزيمة كبيرة منذ بداية الحرب .

واستمر بعد ذلك الاندحار النازي ..حتى ارتفع اخيرا علم الثورة السوفييتية فوق دار المستشارية في برلين .. بعد بضع سنين وملايين الضحايا .

فهذا هو ثمن النصر ..



المعركة في قلب برلين

١٣

معركة كورسك الهائلة

بقلم المارشال زخاروف رئيس اركان حرب الجيش الروسي

اهمية المعركة

يقال عن معركة « كورسك » انها كانت واحدة من اهم المعارك في تاريخ الحرب الكبرى التي خاضها السوفيات ضد النازيين . ولو نظرنا اليها من ناحية اتساع نطاق المهمات الاستراتيجية والسياسية التي تحققت فيها عندئذ ، او من ناحية ضراوة المعارك وبطولة الجنود السوفيات وصلابتهم والفن الذي اظهره القادة العسكريون السوفيات ، لتبين لنا انها تشكل حدثا تاريخيا بارزا يعتبر دليلا على امجاد السلاح السوفياتي .

فان الانتصار الذي حققه السوفيات في مرتفعات « كورسك » ضد الغزاة الفاشست الالمان ، كان نقطة تحول في الحرب السوفياتية ضد الغزاة خاصة ، وفي مجمل الحرب العالمية الثانية عموما ، مما ادى الى وضع المانيا الفاشية على شفير الهاوية .

ان مزيفي التاريخ البورجوازيين يسعون بجميع الوسائل للتقليل من الاهمية التاريخية لمعركة « كورسك » ومن ضخامة الفشل الذي اصيبت به مخططات هتلر . ولكن هتلر نفسه كان قد ادرك مدى اهمية هذه المعركة . فقد بعث برسالة الى قواته في تلك الجبهة يوم ٤ تموز ١٩٤٣ قال فيها : انكم

تشتركون ، ابتداء من اليوم ، في معارك هجومية كبرى يمكن ان تقرر نتيجة الحرب . وسيقنع انتصاركم العالم اكثر من أي وقت مضى ، بان من العبث مقاومة الجيش الالماني .

استعدادات عظيمة

والحقيقة ان القوات النازية كانت قد استعدت استعدادا دقيقا للهجوم على « كورسك » . فمنذ ربيع عام ١٩٤٣ جرت في المانيا تعبئة جميع الرجال القادرين على حمل السلاح ، والذين تتراوح اعمارهم بين ١٧ و ٥٠ سنة ، وذلك لتغطية الخسائر البشرية ، وترميم العديد من الفرق التي هلك عدد كبير من رجالها . كما ان القادة الفاشست ، رغبة منهم في زيادة الانتاج الحربي بكل الوسائل ، قاموا بتشغيل ٦ ملايين و ٣٠٠ الف من اسرى الحرب والعمال الاجانب في الصناعة ، مع تخصيص اكبر قدر من الاهتمام لانتاج دبابات جديدة من طراز « فهد » و « نمر » ، ومدافع جديدة متنقلة من طراز « فردينان » .

وقد استغلت القيادة الالمانية عدم وجود جبهة ثانية في اوروبا ، فحشدت قوات كثيرة في منطقة « كورسك » ، ونقلت خمس فرق من فرنسا والمانيا الى القطاع الواقع جنوب اوريل وشمال خاركوف كما استحضرت خمسة اسراب جوية من فرنسا والنروج والمانيا ، وانشأت مجموعتين جبارتين للصدام ، في جنوب الاوريل وشمال خاركوف .

وقد وضعت القيادة الهتلرية خطة اطلقت عليها اسم « خطة القلعة » . وبموجبها كان من المقرر ان تهاجم عدة فرق المانية معا وتتلاقى في نقطة واحدة عند قطاعي بيلغورود واوريل ، على ان تقوم بعد ذلك بتطويق القوات السوفياتية في قطاع كورسك وابادتها ولكنها لم تستبعد توسيع الهجوم ، سواء باتجاه موسكو او باتجاه الجنوب الشرقي اذا نجحت خطتها .

حشد ٥٠ فرقة

وتحقيقا لهذا الهدف حشد الالمان خمسين فرقة ، منها ١٦ فرقة مدرعة وآلية ، و ٩٠٠ الف رجل ، وعشرة الاف مدفع ، بما فيها مدافع المورتر ، وحوالي ٢٧٠٠ دبابة ومدفع متنقل ، واكثر من الفي طائرة .

وكان الالمان يعلقون آمالا كبيرة على المعدات الحربية الجديدة التي زودوا بها مثل دبابات « الفهد » و « النمر » ومدافع « فردينان » وطائرات

« فوسك ـ وولف ـ ١٩٠ ـ أ » و « هنشل ـ ١٢٩ » . ولذلك فان القيادة الالمانية لم تكن تشك في النجاح قط .

وفيما بعد قال الجنرال ف. ميلانتاين رئيس الاركان السابق للجيش الالماني المدرع الثامن والاربعين الذي اشترك في المعركة : ليس هناك هجوم سبق اعداده بمثل هذه الدقة .

وكانت القيادة الالمانية لدى اعدادها عملية « القلعة » تضع نصب عينيها اهدافا حاسمة ، لان وضع المانيا عقب الهزائم التي منيت بها في الاتحاد السوفياتي في شتاء ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣ ، كان يزداد سوءا .

وبالاضافة الى ذلك كانت حركة المقاومة الوطنية تتصاعد في البلدان التي احتلتها المانيا ، وكان ذلك يعزز رغبة المانيا للانتقام من الهزيمة التي حلت بها في ستالينغراد وقد اختيرت مرتفعات كورسك لتسديد ضربة قوية الى السوفيات كان من شأنها ان تعيد الوضع لمصلحة الالمان على الجبهة وفي علاقاتها مع الاقطار الاخرى ، لو قدر لها ان تنجح .

بدء الهجوم الالماني

وفي ٥ تموز ١٩٤٣ بدأ الالمان هجومهم من قطاعي بيلغورود واوريل فاصطدموا بمقاومة قوية حسنة التنظيم من جانب السوفيات ، واخفق هجومهم هذا بسرعة .

وعلى الجانب الشمالي من مرتفعات كورسك لم تستطع القوات الالمانية التقدم سوى مسافة تتراوح بين ٩ كيلومترات و١٢ كيلومترا في دفاع الجبهة الوسطى ، وذلك في جبهة واسعة جدا . وفي القطاع الجنوبي استطاع الالمان في ١٢ تموز ان يتوغلوا مسافة ٣٥ كيلومترا ، ولكن القوات السوفياتية في جبهة فورونيج ، مدعومة بقوات الجبهة الشعبية ، قامت بهجوم مضاد اوقفت خلاله تقدم الالمان ، واستطاعت في ٢٣ تموز ان تعيدهم الى المواقع التي انطلقوا منها اصلا .

الهجوم المضاد

وخلال المرحلة الدفاعية من معركة كورسك اعدت الاسس الضرورية لانتقال القوات السوفياتية الى مرحلة الهجوم المضاد الذي بدأ في ١٩ تموز .

وقد بدأ سلاحا المدفعية والطيران السوفياتيان عملهما صباح ١٢ تموز ، وكان عملهما فعالا في الحاق الخسائر بالعدو ، فلم يتمكن الالمان ، بعد

ان اصيبوا بضربات قاصمة ، من ان يبدوا اية مقاومة جدية . ومـــع انهم حاولوا القيام بهجمات معاكسة في قطاعات عديدة ، فانهم لـــم يحققوا اي نجـــاح .

وقد قاتلت القوات السوفياتية ببسالة متناهية ، حتى غدت البطولات شيئا عاديا ويوميا . وكان جنود الدبابات ورجال المدفعية والمشاة يبرهنـــون عن صلابة لا مثيل لها .

وفي هذه المرحلة برز الطيار السوفياتي ماريسيف الذي استمر يقاتل ضد الالمان ، رغم قدميه المبتورتين ، حتى اسقط ثلاثا من طائراتهم .

ولقد اشتركت شخصيا في المعارك بالقطاع الجنوبي مـــن مرتفعـات كورسك ، وكنت اود ان اتحدث بتفصيل اكثر عن عملية بيلفورود – خاركوف الهجومية التي قامت بهـــا قوات الجبهة الشعبية ، بقيادة الجنرال كونييف، والتي كنت رئيسا لاركانها .

وكان على القوات السوفياتية ان تخوض معارك مريرة لاختبار دفـــاع العدو الجيد التحصين والموزع توزيعا ممتازا .

ولدى اعداد تلك القوات للمعركة ، كان يبرز عدد كبير من المسائل حول التمون بالذخائر والوقود والاغذية ونقل القوات من قطاع الى آخر . لكـــن القائد والمجلس العسكري وهيئة اركان الجبهة ، كانـــوا يعتبرون ان الحلقة الاهم في عملهم ، هي اعداد الرجال للمعارك الحاسمة ضد الغزاة .

ولقد بينت تجربة الحرب مدى اهمية انشاء انطلاقية هجومية للجيش، ولم يكن هناك شيء يؤثر في قواتنا التي اتعبتها الاستعدادات والمعارك ، من المثال الشخصي ، والتوجيهات المخلصة ، والصرامـــة المطلوبة ، التـــي كان يمارسها القادة . ولا زلت اذكر ان الضباط والمفوضين السياسيين كانـــوا يقضون أيامهم ولياليهم بيـــن الجنود . وكانـــوا يقولون للجنود انـــه وراء الاستحكامات الحربية للالمان تبدأ اراض اوكرانيا المعذبة التي تنتظر دخـــول ابنائها الينا محررين ، وان طريقنا تؤدي اليها حتما ، وان علينا ان نحطـــم العمود الفقري للعدو .

٦ آلاف مدفع تعمل معا

وعندما حانت ساعة الصفر ظـــل زهـــاء ستة الاف مدفـــع تقصف استحكامات العدو النازي طوال ثلاث ساعات دونما توقف او انقطاع .

وفي الساعة الثامنة من صباح ٣ آب انتقلت دباباتنا للهجـــوم وتقدمت بسرعة ولم يتمكن العدو من الصمود في وجه الضغط السوفياتي .



مـــن ويـــلات الحـــرب

وكان يوم ٥ آب هاما بصورة خاصة ، فقد تحررت في ذلك اليوم مدينتان روسيتان هما اوريل وبيلغورود .

ولم يكد الالمان يستفيقون من هول هذه الضربة حتى اصيبوا بضربة اخرى .

وكان الفيلد مارشال مانشتاين الالماني ، قائد مجموعة جيوش الجنوب ، عصبيا بشكل خاص . فقد سبق له ان اصيب بهزيمة شنعاء في ستالينغراد، وكان يسعى لاستعادة اعتباره كقائد عسكري كبير في كورسك ، وكان قد تبجح امام هتلر بانه قد هزم قوات الجيش الاحمر ، وان هذه القوات لم تعد قادرة حتى على الدفاع .. ولكنه يجد نفسه الان مضطرا لابلاغ هتلر وهو يتراجع مذعورا ، بان الروس متفوقون تفوقا جبارا .

وبعد ذلك واصلت القوات السوفياتية هجومها على خاركوف عاصمة اوكرانيا الثانية ، واضطرت الى خوض معارك قاسية جدا قبل ان تستعيد هذه المدينة المهمة في ٢٣ آب ، وبذلك فتح الطريق الى اوكرانيا كلها من ضفة الرونباس اليسرى ، وكان تحرير خاركوف نهاية للمرحلة الثانية من معركة كورسك .

المعركة الاخيرة

والواقع ان معركة كورسك التي اطلق عليها الهتلريون اسم « المعركة الاخيرة من اجل انتصار المانيا » ، انتهت بانتصار مجيد للجيش السوفياتي وهزيمة ساحقة للجيش الالماني الذي تحطمت عشرون فرقة من فرقه ، منها ٧ فرق مدرعة ، أي نصف الفرق الالمانية التي كانت مرابطة امام كورسك . كما خسر حوالي نصف مليون قتيل ، و ١٦٠٠ دبابة ، وثلاثة الاف مدفع ، واكثر من ٢٥٠٠ طائرة .

ولقد بذل العدو محاولة اخيرة لتغيير مجرى الحرب لصالحه ، ولكنه اخفق اخفاقا ذريعا ، وظهر شبح الكارثة النهائية امام الدولة الالمانية بكل هوله وضخامته .

وقد اضطر ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا الراحل ، الى الاعتراف بتأثير هذه المعارك على المجرى النهائي للحرب ، فقد قال : ان المعارك الثلاث الكبرى من اجل كورسك ، واوريل ، وخاركوف ، التي جرت

كلها خلال شهرين ، سجلت انهيار الجيش الالماني في الجبهة الشرقية .

وجدير بالذكر ان اولئك الذين كانوا يتحدثون عن جبروت الجيش النازي ، كانوا يزعمون ان الجيش السوفياتي لا يستطيع احراز الانتصارات الا بالتحالف مع فصل الشتاء الروسي الشديد البرودة ، وان الصيف هو فصل هجوم الجيش الالماني وانتصاراته . غير ان الانتصارات الساحقة التي حققتها القوات السوفياتية امام كورسك كذبت كل هذه الادعاءات .. فقد جرت معركة كورسك في « عز » الصيف .

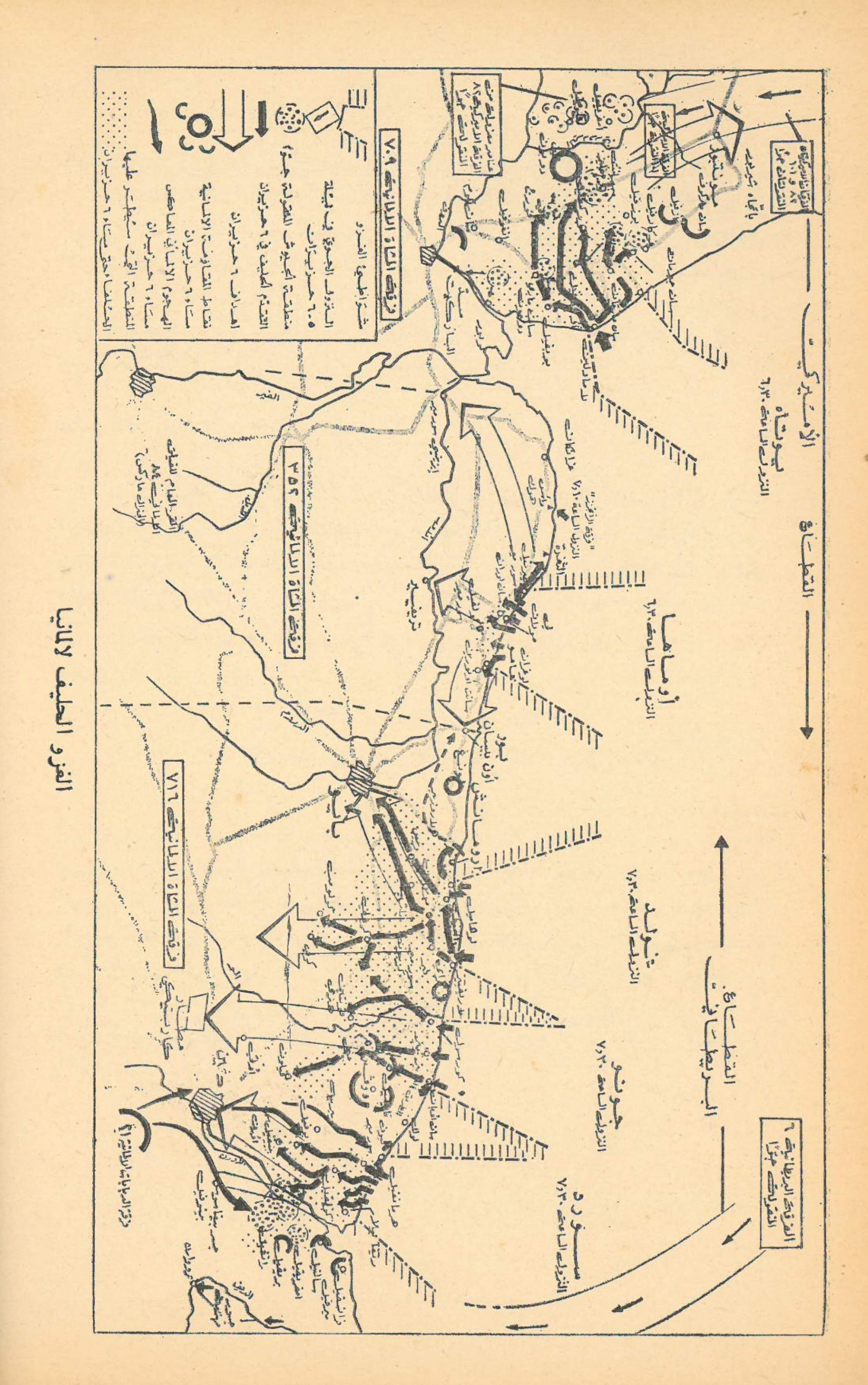
تطور الفن العسكري السوفياتي

وقد سجلت معركة كورسك مرحلة مهمة في تطور الفن العسكري السوفياتي . وثبت ان النصر في المعركة يعود الى تقدير صحيح للوضع ونسبة القوى ، وحصول القيادة على معلومات كافية عن خطط العدو واتجاهات هجماته .

وسجل الانتصار السوفياتي في كورسك كذلك انعطافا جذريا في مجرى الحرب وحطم العمود الفقري للجيش الالماني وادركت المانيا النازية لاول مرة ان هزيمتها غدت محتومة .

كما اثبت هذا الانتصار جبروت الاتحاد السوفياتي ومقدرة قواته المسلحة وفنه العسكري العظيم .

ولا يزال السوفيات يذكرون باعتزاز كل ما يتصل بمعركة كورسك . لكن باستطاعتنا اليوم ، بعد انقضاء ٢٥ عاما على هذه المعركة ، ان نلاحظ بان كثيرين قد نسوا عبر الماضي ودروسه . فلتكن نتائج هذه المعركة تحذيرا قاسيا للمعتدين الامبرياليين ، وبالدرجة الاولى للاميركيين الذين يخلقون بؤرا جديدة للتوتر في العالم ، ويعتبرون انفسهم بوليس العالم ، فيعتدون على حريات الشعوب واستقلالها . كما ان كورسك ستظل درسا وعبرة للالمان الغربيين الذين يطمحون الى تعديل خارطة اوروبا من جديد ، تغييرا واقتطاعا .



الغزو الحليف لالمانيا

١٤

الايـام الاخيرة للنازيـــة

الهجوم الالمانـي الاخير في فرنسـا

الموقف الاخير

اشرق ميلاد عام ١٩٤٤ على الرايخ الالماني وقوات اعدائه لا تزال عاجزة عن ان تطأ ارضه ، على الرغم من انها كانت تحيط بـه من كـل جانب ففي الجبهة الشرقية كان الالمان قد استطاعـوا ايقاف اندفـاع الجيش الروسي باتجاه برلين .. وفي الجبهة الغربية كانت حملة نورماندي الانكلو ـ أميركية قد تعثرت وضعف اندفاعها بعد نجاحها في طرد الالمان من فرنسا وبلجيكا .. وتوقفت عند الحدود الدفاعية لالمانيا . وكان هتلـر يدرك ان وقف اندفاع القوات الفازية اصبح مستحيلا ، ومع ذلك قرر ان يقامر ويلعب لعبة خطرة لو قدر لها النجاح لغيرت احداث التاريخ .

كان ذلك السبت الحاسم ١٦ كانون الاول ١٩٤٤ ، باردا جدا في مقـر القيادة العليا لقوات الحلفاء في أوروبا . وكان الضباب مخيما علـى المنطقة التي يحتلها العدو منذ عدة ايام ، ولذلك كان من الصعب علينا ان نحصل على معلومات صحيحة عن نشاطه .

وقبل الفجر بقليل ، تلقيت تقارير عن هجمات قام بها العدو في الليل وفي الصباح الباكر في الاردين . وذكرت التقاريـر ان العدو قذف فـي المعركة ، كما يبدو ، بعدة فرق .

وفي الساعة الثانية بعد الظهر كنت مضطرا لحضور اجتماع دعا اليه الجنرال ايزنهاور في غرفة الخرائط بفرساي . وقـد حضر هذا الاجتماع

الجنرالات برادلي ، وبيدل سميث ، وبل ، وسباتز ، ومارشال الجو ثيدر ، وكان الفرض الرئيسي منه بحث النقص في التعزيزات الحليفة .. ولم يبحث الجنرالات في الهجوم الالماني الا عرضا لانهم حتى تلك اللحظة كانوا يظنونه هجوما ثانويا لا اهمية له .

وقد جلسنا جميعا في مقاعدنا فيما وقف ايزنهاور ليشرح لنا انه لا يستطيع البقاء مشلولا عن الحركة في الوقت الذي يواصل فيه العدو تحسين مواقعه الدفاعية وتنظيم فرق جديدة . وكان الجنرال بيدل سميث قد بدأ يسأل الجنرال برادلي عن رأيه في مدى نجاح الهجوم من الشمال لاحتلال سدود نهر المرور ، عندما استدعيت فجأة في امر هام ومستعجل .

الحالة خطيرة

كان في انتظاري على الباب مساعدي الاميركي البريغادير جنرال بيتس ، وهو في العادة رجل هادىء الاعصاب ، ولكنه في هذه المرة بدا لي منهارا تماما . وقد حمل لي اخبارا عن الوضع في جبهة الاردين حيث بدا لي ان الحالة اصبحت خطيرة وسيئة .

كانت الانباء التي حملها مساعدي ملأى بالتناقضات والثغرات ، كما يحدث خلال احتدام اية معركة ، ولكن كان هناك امرين واضحين تماما في هذه المرحلة :

١ ـ ان الالمان وجهوا ضربتهم الى جزء من الجبهة كانت السيطرة الاميركية عليه ضعيفة .

٢ ـ تشترك في القتال فرقة المانية كبيرة ، مما يدل على ان هناك شيئا غير عادي .

تلك اذن كانت بداية العملية التي عرفت فيما بعد باسم « معركة البيلج » وبعد ذلك بايام قلائل كتبت في دفتر مذكراتي الرسمية خلاصة قلت فيها : « لقد ارسل الفوهرر شخصيا جيوشه الغربية في عملية مقامرة واسعة النطاق ونهائية اعدت منذ زمن طويل عن سابق تصور وتصميم . وفي احدى الهجمات المضادة قذف الالمان بكل ما يملكونه من جنود في المعركة » .

والواقع ان فكرة « معركة البيلج » كانت من اعداد هتلر ، وقد وضعها في منتصف شهر ايلول عندما كانت جيوشه تتراجع على طول الجبهة في نورماندي .

اهداف الهجوم

وبعد انتهاء الحرب قال لنا الجنرال جودل رئيس العمليات العسكرية لدى هتلر ان اهداف الهجوم كانت ما يلي : احتلال انتورب ، شطر جيوش الحلفاء الى شطرين ومحاصرتها ، توجيه ضربة شبه قاضية الى الحلفاء بحيث يصبحون عاجزين عن القيام باية حركة ضد المانيا زمنا طويلا .

ولكن فيما عدا بعض كبار القادة العسكريين لم يكن احد في الجيش الالماني كله يعرف النطاق الحقيقي لمشاريع هتلر . وقد استخدم الالمان مختلف انواع الحيل والخداع والسرية لاخفاء مقاصدهم الحقيقية . فقد اطلقت على التشكيلات العسكرية اسماء كاذبة وارقام مزورة . وكانت البرقيات المرسلة بالشيفرة تمر من مقر قيادة كاذب الى مقر قيادة كاذب آخر . اما التحركات التي سبقت الهجوم فلم تكن تجري الا خلال ساعات الليل . وكانت الطرق تفرش بالقرش لامتصاص اصوات المدرعات والدبابات والسيارات .

وكانت الخطة الالمانية تستهدف القيام بهجوم رئيسي تشنه ثلاثة جيوش تعمل على جبهة يبلغ طولها ٧٥ ميلا . وكان الجيش الشمالي بقيادة الجنرال النازي السيء السمعة سيب ديتريش ، الذي كان من المقرر ان يحتل انتوريب في خلال اسبوع واحد ، وجيش الوسط الذي كان يقوده الجنرال فون مانتيفيل ، احد القادة الصلبين القديرين الذي ينتمي الى المدرسة العسكرية الالمانية القديمة ، وكانت مهمته احتلال مركزي طرق رئيسيين ، والاندفاع من هناك الى بروكسل وما خلفها .

اما الجيش الثالث الذي يقوده الجنرال براندينبيرغ القدير والموثوق به ، فقد كلف بتغطية الجناح الجنوبي للهجوم .

وكان الجيشان الاولان يضمان معظم التشكيلات المدرعة التي كان مقررا لها ان تحقق الاهداف المطلوبة ، كما كانا يضمان معظم فرق الصاعقة مفخرة الجيش الالماني .

طبعا هذه المعلومات كلها عرفناها فيما بعد . ولكن في الاجتماع الذي عقد في غرفة الخرائط بمقر قيادة الحلفاء بفرساي لم يكن بوسعي ان ابلغ الجنرال ايزنهاور وغيره من الجنرالات الذين كانوا مجتمعين في تلك الغرفة، سوى المعلومات التي نقلها الي مساعدي .

وعلى الفور قال الجنرال بيدل سميث ان الجنرال عمر برادلي حذر من احتمال وقوع شيء كهذا ، فرد الجنرال برادلي بقوله انه خوفا من وقوع مثل هذا الهجوم وضع فرقتين على استعداد للتدخل فور وقوعه ، وطلب ان

يسمح له بمغادرة مكان الاجتماع للاتصال بكبار مساعديه وضباطه وابلاغهم تعليماته .

بقي الجنرال برادلي معظم تلك الليلة في مقر القيادة العليا ، كما حضر اليها في ساعة مبكرة من الصباح .. وفي ذلك الوقت كانت التقارير الاولية من الجبهة قد بدأت تصل الى القيادة .

١٧ فرقة

اتضح لنا من هذه التقارير ان الوضع كان اخطر من كل ما قدرناه او تصورناه . فقد القى الالمان في المعركة بنحو ١٧ فرقة على الاقل (الفرقة تتراوح بين ١٢ و ١٥ الفا) اي اكثر بكثير مما كنا نظن ان الالمان لا يزالون قادرين على قذفه في الحرب . وعلى الاثر قرر الجنرال برادلي العودة على الفور الى مقر قيادته في لوكسمبورغ ولكن لم يكن قد سادنا القلق بعد .

وظل الجنرال برادلي وغيره من كبار القادة يعتقدون ان الهجوم الالماني لن يستمر وسينطفىء بالنظر الى ضعف الموارد الالمانية .

مسؤولية المخابرات

ولقد ساد الموقف شعور آخر ، وهو ان الحلفاء اخذوا على حين غرة ، وان المخابرات الحليفة تتحمل المسؤولية عن ذلك .

ولكني لم اكن الآن مهتما بتنظيف سمعتي وسمعة الدائرة التي اشرف عليها ، بقدر اهتمامي بمعرفة العدد الصحيح للفرق الالمانية المشتركة في المعركة ، واين هي على وجه التحديد ، ومن اين تتزود بالمؤن والبترول والذخائر .

ولقد ازداد قلقي عندما اكتشفت ان عدد الفرق الالمانية المشتركة في المعركة وصل الآن الى ٢٥ فرقة ، وان بعض طلائع هذه الفرق ، توغلت توغلا عميقا في خطوطنا . اذن لقد كان هذا اكثر من مجرد هجوم لتخفيف الضغط عن الالمان .

جو متوتر

وفي ١٩ كانون الاول عقد الجنرال ايزنهاور مؤتمرا لقادته الرئيسيين في مقر قيادته المتقدم بفيردان لاستعراض الوضع . كان الجو متوترا والبريطانيون في قلق من جراء تطور الاحداث . والواقع ان ثقة البريطانيين

بالقيادة العسكرية الاميركية كانت دائما ضعيفة ، ولكنها كانت اليوم اضعف منها في اي وقت مضى ، وكنا نحن البريطانيين نعتقد ان الاميركيين اعجز من ان يستطيعوا التغلب على وضع حرج كهذا الذي نواجهه اليوم ، خاصة وان الاخبار كانت قد بدأت تصل عن فوضى خلف الخطوط الاميركية ، والتخلي عن قيادات اميركية بشكل مفاجىء ، وسقوط كميات كبيرة من الاسلحة والوثائق في ايدي العدو وهي سليمة تماما .. ولم تفلح القصص التي رويت عن الشجاعة الكبيرة التي ابداها بعض الافراد في تبييض صفحة الجبن العامة التي بدت بها القوات الاميركية .

وقد استهل الجنرال ايزنهاور المؤتمر العسكري بقوله اننا يجب ان نعتبر الوضع الحالي فرصة لنا لاثبات مواهبنا ومقدرتنا ، لا كارثة او مأساة. ثم التفت الي وطلب مني ان اكشف الوضع على حقيقته للقادة .

هجوم عام

كنت في هذه الاثناء قد حصلت على صورة شبه كاملة للوضع ، فقلت انه ليس هناك ادنى شك باننا نواجه هجوما المانيا عاما يستهدف احتلال بروكسل وفصل جيوشنا .

وقال الجنرال ايزنهاور انني على حق ، وذكر انه لا ينوي البقاء مكتوف اليدين ازاء هذا التهديد . واضاف يقول ان القوات الحليفة لا تزال صامدة على كلا كتفي التغلغل الالماني ولكن في الممر الواقع بين هذين « الكتفين » كان الالمان قد توغلوا عميقا جدا وحاصروا جزر المقاومة الصغيرة ، ولكي يصبح بالامكان وقف اندفاع الالمان ينبغي مهاجمتهم من الشمال والجنوب .

كان بالامكان شن الهجوم الجنوبي بسرعة ، اما الهجوم من الشمال فقد تقرر تأخيره حتى يصبح الوضع اكثر وضوحا وصفاء .

وعلى الفور كلف الجنرال باتون بوقف جميع عملياته في الجبهة والاتجاه شمالا .

وكان هدفه الاول مساعدة « باستون » ، وهي احدى جزر المقاومة المحاصرة . وكانت قوات المظليين قد ارسلت اليها ولكنها لم تستطع ان تنجدها تماما .. وفضلا عن ذلك فان الذخائر كانت قد بدأت تنفذ منها .

وعندما سأل ايزنهاور باتون عن الوقت الذي سيستغرقه للبدء في التحرك نحو الاتجاه الجديد ، اخذ الجنرالات الانكليز يضحكون عندما اجاب باتون قائلا : ٤٨ ساعة .

وافق القائد العام على ذلك ، ولكنه طلب من الجنرال باتون الا يتحرك

قبل ٢٢ كانون الاول ، لانه يريد ضمان توفير جميع اسباب القوة للهجوم .
ولقد رد الجنرال باتون على ذلك بالموافقة وتحرك في الوقت المعين ووصل الى اهدافه في الوقت المعين ايضا . وقد وصف الجنرال عمر برادلي بعد ذلك ما فعله الجنرال باتون بانه كان من اعظم الاعمال العسكرية التي سجلها تاريخ الحروب .

انباء مقلقة

غادرت فردان لدى انتهاء الاجتماع في طريقي الى باريس وانا ممتلىء اعجابا بالجنرال ايزنهاور ، ولكني قلق في الوقت نفسه حول المستقبل .
وعندما وصلت الى فرساي في الساعة الثامنة مساء ، عقدت اجتماعا مع كبار مساعدي الذين ابلغوني ان الاندفاع الالماني باتجاه « الميز » مستمر دون توقف او تباطؤ ، وان الجيوش الالمانية تواصل زحفها السريع متجاوزة جزر المقاومة ، وانها تقترب بسرعة من مخازن الوقود الاميركية .. وهذا ما اقلقنا وشغل بالنا اكثر من اي شيء آخر .
وعندما انتصف الليل كانت انباء الجبهة قد ازدادت سوءا وبدا كما لو ان الخطوط كلها تتساقط امام الجيوش الالمانية الزاحفة تساقط اوراق العنب ..
وخيل الي ان لا سبيل لتنفيذ خطة الجنرال ايزنهاور بشن هجوم مضاد على الالمان الا اذا حدث تغيير في القيادة ووضعت كل الجيوش المشتركة في الهجوم شمال التغلغل الالماني ، تحت قيادة رجل واحد مثل الجنرال مونتغمري .

امر بطردي

اثار هذا الاقتراح ضجة بين الاميركيين الذين كانوا يكرهون مونتغمري .. وذهب الجنرال بيرل سميث الى حد اتهامي والجنرال هويتلي بالتحيز الى جانب ابناء جلدتنا الانكليز ، وقال اننا لم نعد موضع ثقة من قبل هيئة اركان الجنرال ايزنهاور . واضاف يقول انه ستصدر الينا غدا تعليمات باعفائنا من مراكزنا واعادتنا الى بريطانيا !.
توجهت الى فراشي في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل .. وفي الساعة السابعة والنصف كنت في مكتبي بانتظار وصول التعليمات باعفائي من الخدمة .

تبني الاقتراح

في الساعة الثامنة تلقيت مخابرة هاتفية تستدعيني انا والجنرال هويتلي للتوجه الى الاجتماع الصباحي المعتاد لهيئة الاركان . كان الجنرال بيرل سميث الذي تراس الاجتماع يبدو عابسا ولم يتكلم الا نادرا ، ولكن ما كدنا نغادر غرفة الاجتماع حتى لحق بنا وامسك بذراعي ثم قال انه يعتزم تقديم اقتراحي بتولي الجنرال مونتغمري قيادة المنطقة الشمالية كما لو كان اقتراحه الخاص .
وقال انه يرجونا ان نبقى صامتين وهو يتحدث الى ايزنهاور بهذا الشأن لان صدور مثل هذا الاقتراح عن اميركي قد يكون مقبولا من ايزنهاور .. اما صدوره عن بريطاني فانه سيعقد الموقف ..

تلفون لبرادلي

استمع الجنرال ايزنهاور بصمت الى اقتراح الجنرال بيرل سميث حول تعيين مونتغمري .. ثم امسك سماعة التلفون واتصل بالجنرال عمر برادلي .. وطبيعي اننا لم نكن نسمع سوى صوت ايزنهاور ... ولكن كان واضحا من الحديث ان برادلي يحتج بقوة على هذا التعيين .. ولكن ايزنهاور ختم كلامه بقوله : هذه أوامر يا جنرال .

نقطة تحول

شعرت براحة نفسية كبيرة بعد اعادة تنظيم القيادة ، وادركت ان الوضع سيتغير ، ولم يكن هذا مجرد شعور .. فان تعيين مونتغمري كان في الواقع نقطة تحول في سير معركة الاردين .
وفي ٢٢ كانون الاول كان التقدم الالماني قد وصل الى ذروته ولكن ايزنهاور عمل بسرعة وحزم ، وكان الهجوم المضاد قد بدا ينطلق .
وكانت مراكزنا الرئيسية في سانت فيت وباستون لا تزال تقاوم ...
وكانت مقاومة سانت فيت من العوامل الرئيسية التي تسببت في هزيمة العدو .

نداء بالاستسلام

وفي نفس هذا اليوم ، أي في ٢٢ كانون الاول ، وجه الالمان نداء الى الحامية الاميركية في باستون للاستسلام .. فما كان من قائد الحامية

الماجور جنرال انطوني ماك اوليف الا ان اجابهم بكلمة واحدة دخلت التاريخ وهي « نتس » بالانكليزية التي تعني « انتم مجانين » .

وفي هذه الاثناء كان الضباب الذي استمر يغطي الجبهة منذ بدء الهجوم الالماني ، قد بدأ يختفي ، وعادت الطائرات الحليفة للعمل ومهاجمة الطرق والسكك الحديدية ، وكانت النتيجة مذهلة ، اذ لم يعد بوسع جندي الماني او سيارة المانية التحرك على الطرق .

وقبل ذلك كانت طلائع القوات الالمانية قد وصلت الى نقاط لا تبعد سوى خمسة اميال عن نهر « الميز » ، واعتقد انه لو لم ينفذ الوقود معها ، لكانت قد اجتازت النهر .

وفي غضون ذلك كان مونتغمري قد تسلم القيادة وبدأ يعيد تنظيمها ، ولكنه رفض مرات متعددة اقتراحات ايزنهاور وبرادلي بالاسراع في الهجوم.
وفي اول كانون الثاني هاجم الالمان مطاراتنا حول بروكسل ودمروا عددا كبيرا من طائراتنا .. وكنا نظن ان هذه الضربة ستؤخر هجوم مونتجمري .. ولكن العكس كان الصحيح .

بدء الهجوم

ففي ٣ كانون الثاني هاجم مونتغمري من الشمال وباتون من الجنوب ، فقابلهما الالمان بمقاومة ضارية ، ولكن الجنود الاميركيين الذين كانوا منذ ١٦ كانون الاول قد تعرضوا لهزيمة مريرة كانوا الان غاضبين لا يريدون التوقف عند شيء .

وفي ١٦ كانون الثاني التقى الجيشان المهاجمان من الشمال والجنوب وبينهما في المصيدة وقع عشرات الالوف من الجنود الالمان والعربات والمدرعات والدبابات .. وسرعان ما كانت الغابات القريبة ملأى بالجثث من الجانبين .
وهكذا هزم الالمان .. وانتهت مغامرة هتلر الاخيرة .

مسؤولية المخابرات

ولكن يبقى السؤال : ما هي مسؤولية المخابرات عن هذا الهجوم الالماني ؟

لقد جرت بعد الحرب تحقيقات واسعة ادت الى تبرئة المخابرات من اية مسؤولية .. ولكن اذا كانت المخابرات غير مسؤولة ، فمن هو المسؤول عن مفاجئتنا بالهجوم ؟

اعتقد ان عوامل عديدة ساعدت على ذلك منها الشعور العام بأن الالمان غلبوا على امرهم وان قضية استسلامهم اصبحت مسألة وقت ليس الا ، ومنها الاحساس بأن الحرب تكاد تنتهي ، وكذلك ثقة الجميع بأن الالمان اصبحوا عاجزين عن تنظيم فرق جديدة ، واخيرا وليس اخرا الضباب الكثيف الذي أعاق كل استطلاع جوي .



حارب الفدائيون من قوات المقاومة ضد الالمان في كل مكان وهذه الصورة تمثل بعض رجالهم في فرنسا .

١٥

نهاية هتلر

وصف رائع لايامه الاخيـرة

القصف السوفياتي

في ٢١ نيسان ١٩٤٥ ، اوقظ هتلر من نومه فـي الساعة التاسعـة والنصف صباحا وابلغ ان برلين اصبحت تحت نيران المدفعية السوفياتية .

وكان الجنرال ويلهالم بيرغدورف كبير مرافقيه ورئيس ادارة الجيش مـع بعض المرافقين ومنهم غوينش ينتظرونه فـي غرفة الاستقبال فـي ملجأه المحصن تحت حديقة المستشارية .

وبعد عشر دقائق دخل هتلر الغرفة مسرعا دون ان يكون قـد حلق ذقنه ، وقد اعتاد في نهايـة ايامه ان يحلق ذقنه بنفسه ، ولم يسمح لحلاقه الخاص ان يحلق له اذ قال انه لا يتحمل او يطيق احدا يحمل موسى يعمل فيها قرب عنقه .

وسأل هتلر : ماذا يحدث ؟ من اين يأتي اطلاق النار ؟

وابلغه بيرغدورف ان وسط برلين يتعرض لقصف شديد مـن المدفعية الروسية المتمركزة الى الشمال الغربي من زوسن .

وتمتم هتلر متعجبا ، وقال : هل اقترب الروس الى هذا الحد ؟

اقصـر اجتمـاع

وفي صباح ٢٢ نيسان زادت نيران المدافع السوفياتية كثافة وسقطت قنابلها في حدائق الوزارات القائمة في فيلهالم ستراس ، وكان صوت دويها

قويا بحيث استيقظ هتلر من النوم مذعورا في الساعة التاسعة صباحا .

وبعد ان ارتدى الفوهرر ثيابه استدعى خادمه لينج (صاحب هـذه الرواية) وسأله بقلق عن عيار المدافع التـي يدوي صوتها بهـذه الشدة .

ويقول لينج انه اراد ان يطمئن هتلر ، اذ ابلغه ان مـا يسمعه هـو صوت المدافع المضادة للطائرات فـي حديقة المستشارية ومـن مواقع المدفعية الروسية البعيدة المدى . وعندما تناول هتلر افطاره في مكتبه عاد الى غرفة نومه حيث قام طبيبه الخاص باعطائه حقنته المعتادة .

ودعا هتلر الى الاجتماع العسكري المعتاد عند الظهر ، وقد حضره كل من : الاميرال دونتيز قائد البحرية (تقول الروايات الغربية ان دونتيز لـم يحضر هذا الاجتماع اذ غادر برلين في الصباح الباكر ، ولكن الذي حضر هو نائبه الاميرال فوس) والمارشال كايتل ، والجنرال جودل ، والجنرال كريبس رئيس اركان حرب الجيش بالوكالة ، والجنرال بيرغدورف ، ومارتن بورمان مستشار الحزب الذي لم يعثر عليه حتى الان والمحكوم بالاعدام غيابيا فـي محاكمات نورمبرغ ، واوثوغوينش ، وغيرهم .

وقد كان هذا الاجتماع اقصر مؤتمر عسكري في تاريخ الحرب كلهـا وكانت وجوه المجتمعين قلقـة وعلى شفاه الجميع سؤال تردد طويلا : لماذا لا يغادر الفوهرر برلين . وجاء هتلر من جناحه الخاص اكثر هدوءا مـن ذي قبل فحيا الحاضرين وجلس .

وبدأ كريبس بتلادة الوقائع العسكرية ، فابلـغ المجتمعين ان الحالة العسكرية تزداد سوءا في صفوف القوات الالمانية المدافعة عـن برلين وان القوات السوفياتية استطاعت اقتحام بعض ضواحي العاصمة حيث يـدور قتال عنيف يائس .

هتلـر يقرر الانتحار

ونهض هتلر ، وانحنى على الطاولة امام خارطة كبرى ويداه ترتجفان ، ثم رمى بالاقلام الملونة التي كان يشير فيها الى الخارطة وانتصب ثـم تنهد تنهيدة طويلة واحمر وجهه وانفتحت عيناه الى اقصى مدى ، وصرخ قائـلا : انها النهاية . وفي مثل هذه الظروف لن استطيع ان اسير اي امر . لقـد خسرنا الحرب . ولكنكم تخطئون ايها السادة اذا كنتم تظنون انـني ساغادر برلين . انني افضل ان اطلق الرصاص على راسي .

وحملق الجميع فيه وانتابهم الرعب ، ولكنـه فض الاجتماع قبل ان ينطق احدهم بكلمة قائلا : شكرا لكم ايها السادة وغادر القاعة .

وتجمد الحاضرون جميعهم متسائلين : هل هي النهاية ؟ ثم قام غوينش ولحقه وسط اصوات الرجاء الصادرة من الحاضرين داعية هتلر لاعادة النظر في قراره . ولحقه غوينش عند الباب المؤدي الى مكتبه فوقف هتلر وصرخ به قائلا : اعطني غوبلز على التلفون .

مقابلة غوبلز

وكان الحاضرون في حالة من الارتباك والفوضى يتحدثون جميعهم دفعة واحدة ويقاطعون بعضهم البعض . ولما خرج غوينش من مكتب هتلر سألوه جميعهم بلهفة : اين الفوهرر ؟ ماذا قال لك ؟ فابلغهم غوينش انه يحادث غوبلز على التلفون .

وقد بدا بورمان ظاهر العصبية وظل يردد : مستحيل .. مستحيل .. لا يمكن للفوهرر ان يقتل نفسه . وقال كايتل : يجب ان نمنعه .

وبعد دقائق حضر غوبلز مسرعا وسأل عن مكان هتلر فاقتيد اليه فورا . واستغرق اجتماع الرجلين ١٠ دقائق فقط . وعندما خرج تجمهر حوله المجتمعون يسألونه عن حديثه مع الفوهرر ، فابلغهم ان هتلر يعتقد ان الحالة يائسة وان المانيا خسرت الحرب ، وانه منهار تماما وفي وضع لم يسبق ان شاهده فيه من قبل .

وابلغهم غوبلز انه صعق عندما ابلغه هتلر على التلفون بصوت مخنوق ان عليه ان يحضر فورا مع زوجته واولاده الستة الى ملجأ الفوهرر قائلا له : انها النهاية .

وكان بورمان بالغ الاضطراب وظل يردد انه يجب اقناع هتلر باية وسيلة بوجوب مغادرة برلين . ثم وجه غوبلز سؤالا لكايتل بصوت حزين : سيدي المارشال .. هل تعتقد حقيقة انه ليست هناك اية امكانية في وقف الهجوم الروسي ؟

رهان لم يتحقق

ويقول الكتاب ان افادات اوتو غوينش تدل على ان هتلر ظل حتى النهاية يراهن على امكانية احداث انشقاق في صفوف الحلفاء ، وانه لم يسقط من حسابه امكانية مفاوضة الغربيين للوقوف بوجه الشرقيين .

ويذكر غوينش ان هتلر عام ١٩٣٧ بعد مقابلته للورد هاليفاكس الذي اصبح وزيرا لخارجية بريطانيا عام ١٩٣٨ ، كان بادي الانشراح ومسرورا من

هذه المقابلة ، وعلق عليها بكثير من الارتياح قائلا : لقد كنت دائما اقول ان الانكليز سيركبون مركبي ، فهم في سياستهم يسيرون على نفس الخطوط التي اسير عليها وهي الضرورة الملحة في اجتثاث البلشفية .

شروط الانكليز

ويقول غوينش في افاداته ان هذه الفكرة عاودت هتلر في ايلول عام ١٩٤٤ بحيث بات يتحدث علنا عن التوتر بين الغربيين والسوفيات وان المسألة هي مسألة وقت . وبات في ذلك الوقت مقتنعا ان الانكلو – اميركيين سيكونون على استعداد لتوقيع صلح منفصل مع المانيا . ولكن الانكليز طالبوا براس هتلر ثمنا لذلك ، اذ انهم في المفاوضات التي جرت سرا بينهم وبين ممثلي الخارجية الالمانية في ستوكهولم طالبوا بان يستقيل هتلر قبل عقد مثل هذه المحادثة . ولما علم هتلر بهذا الشرط قطع المفاوضات .

ويؤكد مرافق هتلر في افاداته ان السفير هيويل الذي اوفده ريبنتروب لمفاوضة الانكليز ابلغه عدم رضاه من قطع المفاوضات قائلا ان الحرب على الجبهة الشرقية تسير سيرا سيئا بحيث انه لم يعد هناك مفر من عقد صلح مع القوات الغربية ، وتساءل : ماذا ينتظر الفوهرر ليفعل ذلك . عليه ان يتخذ قرارا ليجد مخرجا من هذا المأزق .

انتظار المفاجاة

وكان هتلر يعتقد ان المخرج هو الصدام بين القوى الغربية والاتحاد السوفياتي ، وكثيرا ما كان يردد في اعقاب الاجتماعات العسكرية مخاطبا الضباط « ايها السادة سوف ترون انني على حق .

وحسب الافادات التي ادلى بها مرافقه لدى استجوابه من قبل المخابرات السوفياتية ، ان هتلر خطط معركة البيلج في نهاية عام ١٩٤٤ لاستدراج الغربيين نحو صلح منفصل . وقد اجهضت الخطة لكن هتلر لم يسقط هذه الفكرة من حسابه ابدا حتى عندما كان الجنود السوفيات يدقون ابواب برلين .

ويقول غوينش ان هتلر استحوذت عليه هذه الفكرة في الايام الاخيرة بشكل عنيف اذ كان يقول : لو انني اهزم الروس هنا واحتفظ ببرلين فقط فهناك امل في ان يقتنع الانكليز والاميركيون بان هناك املا في مواجهة الخطر السوفياتي بالاشتراك مع المانيا النازية .

ويروي الكتاب اشياء مثيرة عن الفترة التي تلت الاحتلال السوفياتي لبرلين والاهتمام بمعرفة مصير هتلر وغيره من زعماء المانيا النازية ، واستجواب العشرات من الناس الذين كانوا على صلة او اخرى بهم .

فعندما كان ضباط المخابرات السوفياتية يفتشون حديقة المستشارية في اليوم الثاني من ايار دون ان يعرفوا ما يمكن ان يعثروا عليه فيها ، كانت قيادة القوات السوفياتية قد تلقت عددا من الافادات تؤكد موت هتلر .

رسالة لستالين

وجاءت الشهادة الرسمية الالمانية في رسالة وجهها غوبلز وبورمان الى ستالين . ويقول بزيمنسكي كاتب هذا الفصل :

لقد امسكت هذه الرسالة بيدي . ولما كنت ضابط اركان استدعيت باكرا صباح اول ايار للاجتماع بالمارشال جوكوف . ولما قابلته سلمني مجموعة من الاوراق مطبوعة باحرف كبيرة غير مألوفة . وعلمنا فيما بعد ان هذه الاوراق طبعت على الآلة الكاتبة الخاصة بهتلر لانه كان يشكو من ضعف في نظره ويرفض ان يضع نظارة على عينيه ، فكانت جميع الوثائق تطبع باحرف كبيرة ليتمكن من قراءتها . وقد طبعت رسالة غوبلز وبورمان الى ستالين على نفس هذه الآلة .

ويضيف قائلا : واخذت اترجم للمارشال جوكوف محتويات هذه الاوراق من الالمانية الى الروسية فورا وكان يصغي بانتباه الى كل كلمة ويسأل ويستوضح اذا لم يفهم عبارة من العبارات . وفي هذه الرسالة ورد نبأ موت هتلر ، وكانت تنقل جملة اثر جملة الى موسكو هاتفيا حيث ابلغ ستالين بمحتوياتها فورا .

وقال : وابلغني ضباط اركان الجيش ان الرسالة سلمت ليلا بصورة شخصية من قبل الجنرال هانس كريبس رئيس اركان الجيش الالماني بالوكالة .

وقد انتحر كريبس في ملجأ هتلر قبل ان يجتاحه الروس وقد شرح الاطباء السوفيات جثته . وكان يجيد اللغة الروسية وهو معروف جيدا من قبل كبار الضباط السوفيات لانه كان ملحقا عسكريا في موسكو .

وفهم من مضمون هذه الرسالة الموجهة لستالين ان هتلر قد انتحر .

وفي الوم التالي القي القبض على اوتو غويش . ولما كان قد القي القبض عليه في ضواحي المدينة ، فان افادته حول موت هتلر عرفت فيما بعد ، اذ كان قد القي القبض على كثيرين غيره وتم استجوابهم قبله نظرا لانه قبض عليهم بجوار مبنى المستشارية . ولكن هذه الافادات كانت غامضة . ومن بين الذين القي القبض عليهم رجل يدعى منجرز هاوزن كان شاهد عيان لعملية احراق جثة هتلر وعشيقته ايفا براون التي تزوجها قبل ان يموت . . . .

وكانت لدى المخابرات السوفياتية اوامر صريحة بالبحث عن هتلر فورا ، وكان يقود هذه العملية الكولونيل ايفان كليمنكو .

ووصل كليمنكو الى المستشارية بسيارة جيب ومعه ثلاثة ضباط وشاحنة تحمل خمسة جنود واربعة شهود المان .

جثة غوبلز

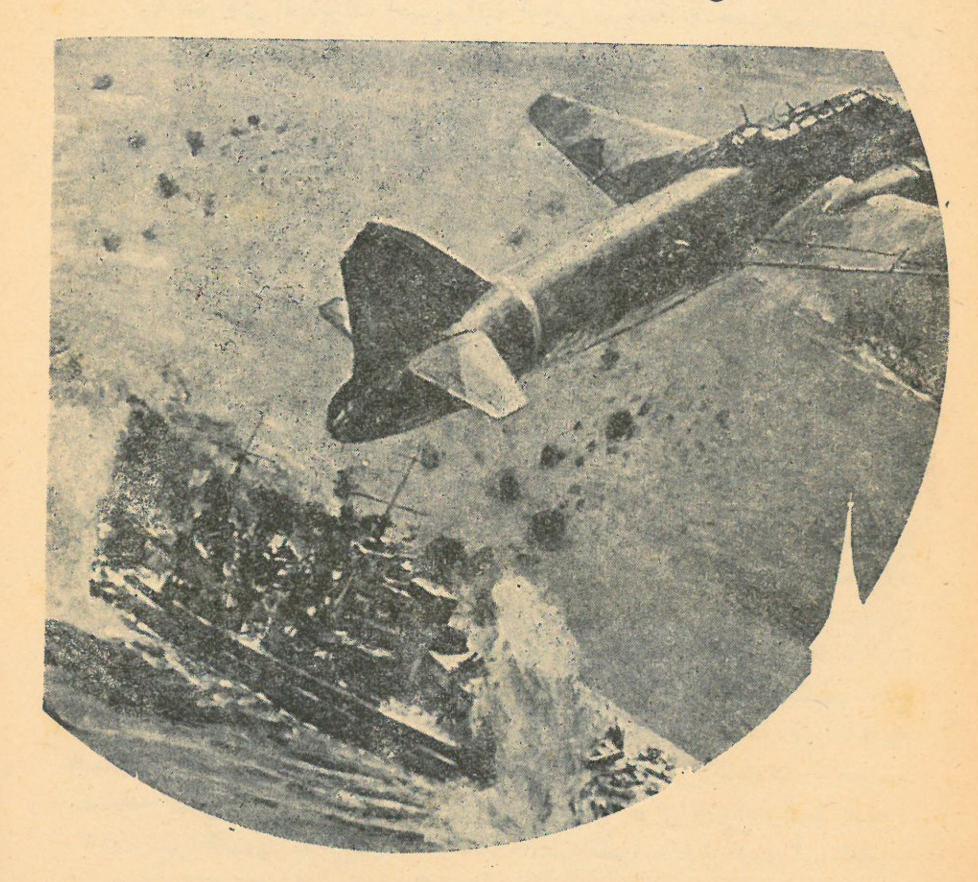
ويقول كليمنكو : وصلنا الى دار المستشارية بعد الظهر وكان الطقس ممطرا فنزلنا في الحديقة عند باب الطوارىء المؤدي الى ملجأ الفوهرر . . ولما اقتربنا من المدخل صرخ احد الالمان الذين حملتهم معي قائلا : « هذه جثة غوبلز وهذه جثة زوجته » .

ويضيف قائلا : فقررت ان اخذ الجثتين معي . ولما لم يكن لدينا حمالة فقد حملناهما على باب خشبي الى الشاحنة ومنها الى سجن بلوتزنسي حيث تعسكر وحدتي . وفي اليوم التالي ، اي يوم ٣ ايار عثرنا على جثث اولاد غوبلز الستة وعلى جثة الجنرال هانس كريبس فنقلناهم جميعا الى السجن . ثم بدأت اجراءات التعرف على الجثث . وقد حدث ذلك على الوجه التالي : مددت جثة غوبلز على طاولة والجثث الباقية على الارض ، وكان الشهود في الخارج ، واخذنا ندخلهم واحدا واحدا للتعرف عليها . وكان اول من ادخلناه نائب الاميرال فوس ممثل الاميرال دونيتز لدى مقر هتلر الذي اسره جنود الصاعقة السوفياتية . وتعرف فوس على جثة غوبلز واولاده دون تردد وكذلك فعل الشهود الاخرون . فتأكدنا من موت غوبلز دون اي شك . ومنعا لاي شك تعرف على الجثث اكثر من عشرين شاهدا .

البحث عن هتلر

ويقول كليمنكو : وكان من الطبيعي ان نسأل فوس عن مكان هتلر ، فلم يعطنا جوابا واضحا ولكنه ابلغنا انه هو شخصيا غادر برلين مع مرافق هتلر الذي اخبره ان هتلر قد انتحر وان جثته احرقت في حديقة المستشارية . وبعد عمليات الاستجواب في السجن قررت ان اعود الى مبنى المستشارية للبحث عن اثباتات حسية .

ويضيف قائلا : وصلت الى المستشارية ومعي فوس واحد ضباط المخابرات السوفياتية ومترجم .. وهناك نزلنا الى ملجأ هتلر وكان مظلما . فاستعملنا مصابيح كهربائية ، وكان تصرف فوس غريبا اذ بدا عصبيا يتمتم



الطائرات فوق السفن في البحار

اشياء غير مفهومة . ومن هناك صعدنا الى الحديقة الى مكان غير بعيد من باب الطوارىء . وكانت الساعة قد قاربت التاسعة مساء ، فتوجهنا الى خزان ماء فارغ يستعمل لمكافحة الحريق فوجدناه مليئا بالجثث فاشار الى احداها وقال : هذه جثة هتلر . وبعد ان تفحص الجثة بشيء من الدقة عاد واظهر شكوكه قائلا : لا . لا . لا استطيع ان اؤكد انها جثة هتلر . وبصراحة اقول انني انا ايضا لم اصدق انها جثة هتلر من مظهر جوارب صاحب الجثة! ولما كان الوقت متأخرا صرفنا النظر عن المزيد من البحث تلك الليلة واصدرت اوامري بالتفتيش بين السجناء عن كل رجل يعرف هتلر شخصيا ويمكن ان يساعدنا في التعرف اليه .

خطأ رهيب

« وفي اليوم التالي ، في الرابع من ايار ، بدأ البحث عن شهود بين المساجين منذ الصباح الباكر . وفي الساعة الحادية عشرة عدت الى حديقة المستشارية مع ستة من هؤلاء الشهود وتوجهنا الى الخزان لنجد ان الجثة التي كشفنا عليها في الليلة السابقة قد اختفت . ولكننا عدنا فعثرنا عليها في احدى قاعات الملجأ ، وقد نفى خمسة من هؤلاء الشهود ان تكون هذه جثة هتلر ، وواحد فقط قال انه ربما كانت هي جثة هتلر .

« وعلمت من الضباط هناك انهم ينتظرون دبلوماسيا سوفياتيا قد يساعد على التعرف على هتلر ، وكان ذلك حوالي الظهر . ولمح احد جنودي ويدعى ايفان تشوراكوف فجوة احدثتها قنبلة في الحديقة فتسلق اليها وكانت مليئة بالاوراق المحروقة وناداني قائلا : هناك ارجل بشرية . وبدأنا ننتشل هذه الجثث وكانت متفحمة ، فعثرنا فقط على جثة رجل وجثة امرأة . ولم يخطر ببالي ابدا ان هذه هي جثة هتلر وجثة عشيقته لانني كنت اعتقد ان جثة هتلر هي بين الجثث داخل المستشارية بانتظار من يتعرف اليها . فأمرت ان تلف الجثتان بالبطانيات وان يعاد دفنهما . وظلت عمليات التعرف قائمة داخل المستشارية .

العثور على الفوهرر

ويقول الكتاب : ولم يكن احد من ضباطنا (الضباط السوفيات) قد وقع نظره على هتلر من قبل ، ولكن بانتظار توقيع معاهدة الاستسلام وصل

عدد من الدبلوماسيين السوفيات الى برلين قد تكون افاداتهم جازمة وموثوقة . ويذكر كليمنكو انه شاهد في المستشارية مجموعة من الضباط يحيطون باحد الدبلوماسيين الذي ابلغهم ان الجثة التي يفتشونها ليست جثة هتلر وانه بامكانهم دفنها . واستمر البحث عن هتلر .

هذا الحادث جعل كليمنكو يعيد النظر بأمر اكتشاف الجندي تشوراكوف ، لذلك عاد الى المستشارية صباح يوم الخامس من ايار لنبش الجثتين من جديد . وهكذا حدث . وفي حفرة اخرى تم العثور على جثتي كلبين احدهما الزاسي هما بكل تأكيد كلبا هتلر .

وفي هذه الاثناء القي القبض على هاري منجرز هاوزن الذي اتينا على ذكره من قبل وهو من رجال الفستابو ، وتبين من استجوابه انه كان من حرس هتلر الخاص وشاهد عيان لعملية احراق ودفن جثة الفوهرر .

فاقتيد هذا الرجل الى دار المستشارية ، ليدل كليمنكو على مكان وجود جثة هتلر ، فأخذه الى نفس الحفرة التي عثر فيها على الجثتين والتي كان قد اكتشفهما الجندي تشوراكوف .

وبذلك تأكد موت هتلر وانتهت مهمة الضابط كليمنكو ووحدته في الثالث عشر من شهر ايار .

ويقول الكتاب الذي يتضمن الاسرار السوفياتية :

بعد التفتيش الدقيق في دار المستشارية الذي اجرته القوات السوفياتية والذي تم خلاله العثور على جثتي هتلر وعشيقته ايفا براون ، كان هناك سؤالان رئيسيان في ذهن المخابرات السوفياتية لا بد من ايجاد اجوبة قاطعة لهما : هل الجثتان هما فعلا جثتا هتلر وعشيقته ، وما هو سبب الوفاة .

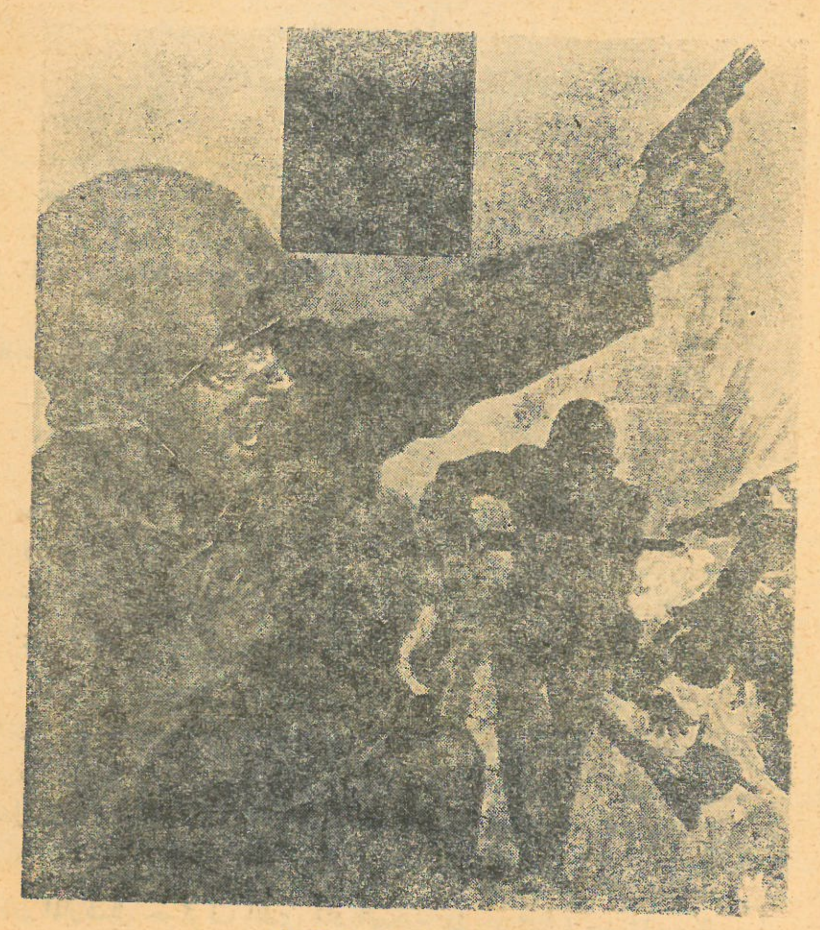
وجرى التأكد من هوية الجثتين بصورة قاطعة من افادة احد افراد الحرس الشخصي لهتلر ويدعى هاري منجرز هاوزن الذي جاء ذكره قبلا ... والذي شهد انتحار هتلر وحرقه ودفنه ... فقد دل هذا الرجل المخابرات السوفياتية على المكان الذي دفن فيه هتلر بعد حرق جثته وهو نفس المكان الذي عثر فيه على الجثتين .

حقيقة الانتحار

يقول الشاهد منجرز هاوزن انه كان يقوم بدوره في الحراسة في الممر بين مكتب هتلر و « غرفة الطعام الزرقاء » المسماة « قاعة السيراميك » في

دار المستشارية الجديدة عند اقرب مكان من باب الخروج من الملجأ الى الحديقة . وفي هذه الاثناء خرج مرافق هتلر الخاص غوينش وخادمه لينج وهما يحملان جثتي هتلر وعشيقته ، مما اثار حفيظة الحارس فوقف يشاهد ما يجري على بعد حوالي ٦٠ مترا فقط .

وعند الباب صب غوينش البنزين على الجثتين واشعل فيهما النار ، وبعد نصف ساعة نقلهما الى حفرة على بعد متر واحد فقط ودفنهما بعد ان اكلتهما النيران . كان ذلك في آخر يوم من شهر نيسان ١٩٤٥ .



هجوم خاطف في لحظة النصر

وقد روى الشاهد ما رآه بأم عينه في اليوم السابق عندما امر هتلر بتسميم كلبيه . وقد تأكدت هذه الشهادة ايضا بشكل لا يقبل الجدل .

استدعاء الاطباء

ويقول الدكتور شكارافسكي كبير خبراء الطب الشرعي في الجيش السوفياتي الاول انه استدعي في اول ايار عام ١٩٤٥ الى رئاسة الخدمات الطبية للجيش في الجبهة حيث ابلغ ان الجنرال تيلجن عضو المجلس العسكري طلب تقريرا طبيا شرعيا في مسألة مهمة . فانتقل الطبيب فورا الى ضاحية بوش في برلين الى مقر قوات الصاعقة السوفياتية .

ويقول الجنرال تيلجن : لقد اصدرت هذا الامر بعد ان استدعيت للتحدث على التلفون مع موسكو ، وطلب مني ان احصل على آراء الخبراء في جثث الزعماء النازيين الذين يتم العثور عليهم ومن بينهم جثة غوبلز التي عثر عليها قبل ذلك اي في الثاني من ايار . وفي هذه الاثناء لم نكن قد تأكدنا من انه تم العثور على جثة هتلر . ولكن الامر من موسكو كان صريحا ويطلب معلومات عن كل شيء نعثر عليه .

اللجنة الطبية

ويقول رئيس اللجنة الطبية الدكتور شكارافسكي : في الخامس من ايار وصلت الى ضاحية بوش حيث ادخلت الى بيت صغير تحت الحراسة ، فوجدت على ارض احدى الغرف تسع جثث هي جثث غوبلز وزوجته واولاده الستة وجثة الجنرال كريبس الذي انتحر في ملجأ الفوهرر . اما الجثتان الاخريان فقد احضرتا في وقت لاحق . وهنا انضم الينا عدد من الاطباء الخبراء وبينهم البروفسور كريافسكي .

والبروفسور كريافسكي هو اكبر الخبراء السوفيات في علم التشريح ، وكان اثناء الحرب كبير اطباء التشريح على الجبهة الروسية الاولى ثم اصبح في نهاية الحرب كبير اطباء التشريح في الجيش الاحمر كله . وبهذه الصفة انتقل الى برلين لينضم الى لجنة الخبراء برئاسة الدكتور شكارافسكي .

وقد اجرى واضع الكتاب ليف بزيمافسكي الذي كان ضابطا في هيئة اركان المارشال جوكوف الذي قاد الهجوم على برلين ، حديثا مع البروفسور كريافسكي ، هذا نصه :

ــ اين جرى التشريح ؟

● كان مقرنا في مستشفى ميدان للجراحة في احد مستشفيات ضاحية بوش . اما التشريح فقد جرى في المشرحة لان جميع الادوات اللازمة كانت متوفرة هناك والاحوال فيها طبيعية .

ــ من كان حاضرا عملية التشريح ؟

● لجنتنا التي تضم عدة اطباء والبروفسور الكبير غراشينكوف احد



هتلر وغوبلز

اكبر اطباء موسكو في هذا العصر الذي صادف وجوده في برلين في ذلك الوقت .

– هل كنت تعرف من هم اصحاب الجثث التي جرى عليها التشريح ؟

● بالنسبة لغوبلز وعائلته والجنرال كريبس كنا نعرف ذلك أما الجثتان الباقيتان فلم تكن لدينا معلومات كافية ولكن كان هناك قول بانهما هتلر وعشيقته .

– متى جرى تشريح الجثتين ؟

● في الثامن من ايار .

رائحة اللوز المر

ويقع تقرير الدكتور شكارافسكي في ٥٠ صفحة تروي تفاصيل عمليات التشريح . ويقول التقرير ان اسهل عملية تشريح كانت بالنسبة لاطفال غوبلز الستة لان جثثهم لم تأكلها النيران وكذلك جثة الجنرال كريبس . وعندما شق صدر الجنرال وصدور الاولاد الستة ظهرت رائحة كرائحة اللوز المر .
وعندما اجري التحليل المخبري على الاحشاء الداخلية لهذه الجثث تبين وجود آثار لمركبات السيانيد السامة في كل حالة من هذه الحالات .

وهذا التقرير الطبي الذي يكشف النقاب عنه لاول مرة يدحض الاقوال الشائعة في كتب التاريخ الغربية من ان الجنرال كريبس وهو آخر رئيس اركان لجيش الميدان الهتلري، مات ميتة جندي باطلاق الرصاص على نفسه. ويقول التقرير حرفيا : « سبب الوفاة التسمم بمركبات السيانيد » . ويدحض التقرير كذلك الكتابات الغربية عن موت غوبلز وزوجته ماجدا .

تشريح هتلر

كانت جثة هتلر قد شوهتها النيران ولكن وجد عليها قطعة من سترة صوفية لم تصل اليها النيران طولها ٢٥ سنتيمترا وعرضها ٨ سنتيمترات اكلتها النيران على اطرافها . ولما كانت الجثة مشوهة من آثار الحريق فلم يكن بالامكان وصف ملامح صاحبها ، غير ان التقرير يؤكد الحقائق التالية عنها :

١ – الطول حوالي ١٦٥ سنتيمترا .

٢ – العمر على اساس النمو العام وحجم الاعضاء يتراوح بين ٥٠ سنة و ٦٠ سنة .

٣ – لم يعثر على الخصية اليسرى .

٤ – اهم ما امكن العثور عليه تشريحيا للتحقق من هوية صاحب الجثة، اسنانه المليئة بالجسور وبينها اسنان اصطناعية وتيجان وحشوات .

اما عن سبب الوفاة فيقول التقرير : كان الجسم مشوها نظرا لان النيران اتت عليه كله تقريبا ، ولكنه لم يعثر على اثر لجروح قاتلة او لاي مرض عضوي . وقد اكتشف وجود بقايا زجاج انبوب محطم في تجويف الفم ، وظهرت رائحة اللوز المر عند التشريح كما حدث في حالة الجثث الاخرى . ولدى اجراء الفحص المخبري تبين ان سبب الوفاة هو التسمم بمركبات السيانيد ايضا .

دور الطالب البلغاري

قبل ان يروي الكاتب تفاصيل الخطوات التي ادت الى التأكد من هوية هتلر ، ذكر ان بعض الروايات المتداولة في الغرب والتي نشرت بعضها صحيفة « شترن » الالمانية الغربية مؤخرا ، اتت على ذكر طبيب بلغاري هو الدكتور ارنودوف الذي نقلت الصحيفة على لسانه رواية يتحدث فيها بالتفصيل عن الدور الكبير الذي زعم انه لعبه للتعرف على هتلر .

ويقول الكاتب : لما اطلعت الاطباء السوفيات الذين قاموا بالتشريح على ما جاء في الصحيفة الالمانية سخروا منها ، ولكنهم اكدوا وجود طالب بلغاري قابلوه في التاسع من ايار عام ١٩٤٥ في مستشفى المواساة ببرلين عندما كانوا يحاولون البحث عن طبيب اسنان هتلر البروفسور بلاشك ، فعرض عليهم الطالب البلغاري ان يدلهم على عيادة الطبيب ، لان العثور على مكان ما في برلين في تلك الايام العصيبة لم يكن بالشيء السهل ابدا . وقد قادهم الطالب البلغاري الذي يحمل الآن الجنسية الالمانية الغربية ، وسط الشوارع المليئة بالانقاض والدمار الى عيادة البروفسور بلاشك ولم تكن قد اصابتها القنابل فبقيت سالمة ، الا انه لم يعثر على البروفسور نفسه لانه كان قد هرب الى ميونيخ . وهنا انتهت مهمة البلغاري وبقية حديثه لمجلة « شترن » عار عن الصحة تماما .

اسنان الفوهرر

ويروي فاسيلي غروبوشين وهو ضابط مخابرات سوفياتي قاد عملية البحث عن اطباء اسنان هتلر التفاصيل التالية بقوله : في صباح التاسع من ايار قمت بالبحث عن اطباء اسنان هتلر ، فاستقبلني في عيادة البروفسور



من صور الحرب

بلاشك طبيب يدعى الدكتور بروك . وعندما علم بروك انني في مهمة بالغة الاهمية بامر من قيادة الجيش السوفياتي ابلغني ان البروفسور ليس موجودا في بيته وسألني ما اذا كانت مساعدته الآنسة كاتي هوزرمان قد تكون ذات فائدة ، فطلبت حضورها للاستجواب فقام الطالب البلغاري باحضارها .

ويضيف قائلا : وطلبت من كاتي ان تحضر لي التاريخ الطبي لاسنان الفوهرر فقامت الى الملفات واجرت عليها تفتيشا سريعا ثم سحبت بطاقة يتبين منها ان اسنان الفوهرر لم تكن على ما يرام وكانت بحاجة دائمة الى العناية .

ويقول ايضا : وكنا بحاجة كذلك الى صور الاشعة لاسنان هتلر ، ولكن هذه الصور لم تكن في العيادة ولما سألت عن المكان الذي يمكن ان تكون فيه هذه الصور اجابت كاتي بانها يجب ان تكون موجودة في مكتب البروفسور بلاشك في دار المستشارية نفسها . ولم نضيع لحظة من وقتنا ، اذ توجهنا الى المستشارية ومعنا كاتي ، فنزلنا الى الطابق الارضي حيث مكتب البروفسور بلاشك وبمساعدة كاتي عثرنا على الصور حالا وعلى عدد من الاسنان الذهبية الجديدة التي كانت قد حضرت للفوهرر ولكن الوقت داهم الطبيب والمريض وحال دون استعمالها فبقيت حيث هي .

صانع الاسنان

ويضيف الضابط السوفياتي قائلا : وابلغتني كاتي ان الرجل الذي كان يضع الجسور الذهبية لاسنان هتلر يدعى فريتز ايختمان ، وانها تعرف عنوانه . وقد ذهبنا اليه فوجدناه في بيته . وشرحت له الغاية من زيارتي وطلبت منه ان يأتي معنا فابدى استعدادا طيبا للمساعدة .

ويقول : وقمت باستجواب كاتي وايختمان كل على حدة يعاونني المايجور بيستروف الذي يجيد اللغة الالمانية . وجوابا على اسئلتي وصف كل منهما بوحي الذاكرة التفاصيل الدقيقة لاسنان هتلر . وكانت معلوماتهم عن الاسنان والجسور والتيجان والحشوات مطابقة تماما للمعلومات الواردة في البطاقة التي تحمل التاريخ الطبي لاسنان هتلر ولصور الاشعة . وبعد ذلك طلبت منهما ان يتعرفا على عظم الفك الذي انتزعناه من جثة الرجل الذي نريد التاكد من هويته ، فاجابا على الفور ودون تردد بأن صاحبه هو ادولف هتلر . وبعد استجواب دقيق آخر عرضنا عليهما اسنان المرأة فاعلنا دون تردد او شك انها تعود الى عشيقة هتلر ايفان براون .

ويمضي الضابط في روايته فيقول : وقد عرضنا كـل هذه الدقائق والافادات والتفاصيل على اللجنة الطبية التي اصدرت حكما قاطعا لا يقبل الشك بأن هذه الاسنان هي اسنان ادولف هتلر .

النقص الجسدي

ويقول مؤلف الكتاب انه عندما قابل البروفسور كريافسكي مؤخرا للتحدث معه عن معلوماته التي يتذكرها بعد هـذا الوقت الطويل ، اجابه الطبيب قائلا : لا زلت اذكر رائحة اللوز المر التي يعرف اطباء التشريح فورا انها تدل دون اي شك على التسمم بمركبات السيانيد .

ويقول المؤلف : وذكرت الطبيب بما جاء في التقرير عن تشريح جثة هتلر وعن الخصية المفقودة فأجاب انها ظاهرة طبية يعرفها الاطباء باسم « مونوركيزم » وهي عادة تكون طبيعية اي منذ الولادة وانها لا تمنع المصاب بها من اقامة علاقات جنسية طبيعية . وسألته ما اذا كانت هـذه الظاهرة نتيجة مرض لانه يقال ان هملر قائد الغستابو ابلغ مدلكه الدكتور كرستن ان هتلر اصيب بمرض السيفلس في شبابه ، فأجاب البروفسور كريافسكي انه لا علاقة بين السيفلس وهذه الظاهرة .

ويقول المؤلف ايضا : ان هذا النقص الجسدي لدى هتلر لم يذكره احد على ما اذكر في كل الكتابات التي ظهرت عن تاريخ حياة هتلر . ولكن البروفسور هانس كارل فون هاسلباخ طبيب هتلر الخاص يذكر ان الفوهرر كان يرفض دائما اجراء كشف طبي شامل عليه . والتفسير لهذا الرفض هو انه لا يريد أن يظهر عورته هذه للاخرين .

وبعد ان تم التأكد بان صاحب الجثة هو ادولف هتلر اثر تحقيقات ودراسات مضنية ، ابلغت موسكو بكل هذه التفاصيل والمعلومات ، فامرت باحراق الجثث جيدا فتم ذلك واذري رمادها في الهواء .

ومنذ عام ١٩٤٥ وهذه المعلومات نائمة في ادراج الكرملين بعد ان اعتبرتها القيادة العليا للدولة والجيش انها نهائية .

وكتم ستالين كل هذه الحقائق تاركا للغربيين مشقة البحث والتكهن دون جدوى .. ولكن احدا لا يعرف لماذا اثر ستالين الصمت .

١٦

محاكمة مجرمي الحرب الالمان

متى يحاكم المجرمون الجدد في فيتنام وفلسطين

قرر الحلفاء بعد انتصارهم محاكمة الجنرالات الالمان بحجة التعاون او المشاركة في قتل عدد كبير من المدنيين اكثرهم من اليهود الذين اعلنوا انهم فقدوا ستة ملايين في اثناء الحرب العالمية الثانية .

ـ وقبض على كبار زعماء المانيا النازية ..

ـ وارسلوا للمحاكمة ..

ـ وحكم عليهم بالاعدام .. واعدموا كما تشاهد في الصور التي تلي :

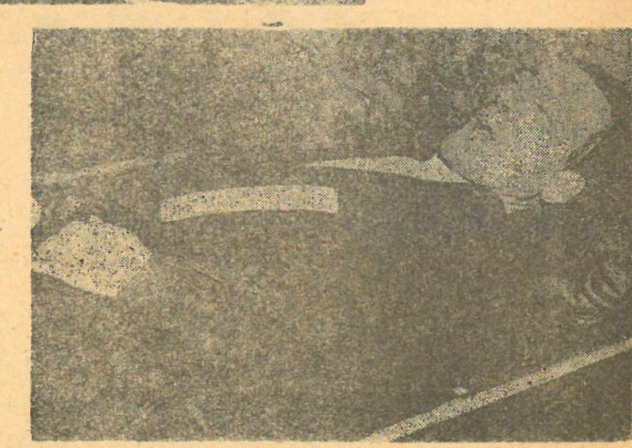


ـ الماريشال كايتل : لانه قرر ابادة سكان الشرق .

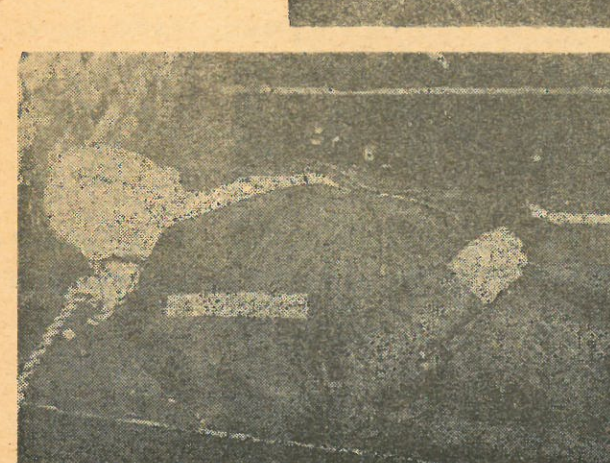


ـ الماريشال :جودل: لانه امر باعدام اسرى الحلفاء .



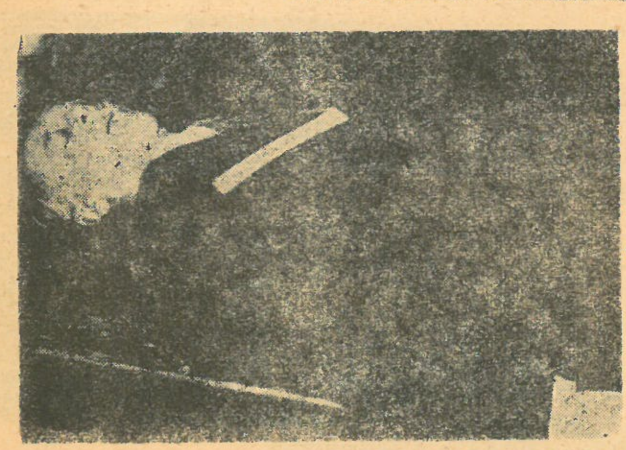


ـ كالتنبرونر : دفع ثمن جرائم الغستابو .

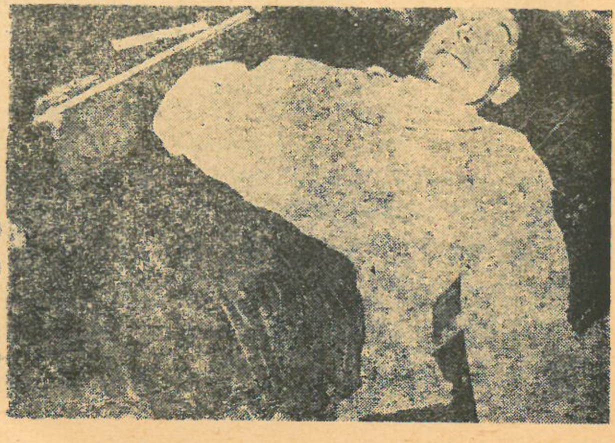


ـ شترايشر : كان يرسل الاسرى الى معتقل تريبلنكا واوشوفيتش .

ـ فرانك : كان يريـــد استئصال شافة البولونييـن واليهـود .



ـ فون ريبنتروب « لقـد فشلنا في كل شيء » كانـت جملته الاخيرة .



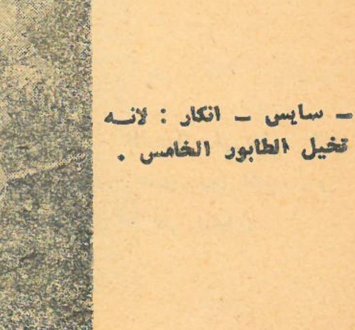
ـ المارشال غورينغ : لانه اطلق الصواريخ عابـــرة القارات على لنـدن



روزانبرغ : لانه انشا القومندس الارهابي .



ـ فريك : لانه كان يوقع احكام الاعدام .



ـ سايس ـ انكار : لانه تخيل الطابور الخامس .



قائد الماني اعدم لانه كان مسئولا عن قتلى المدنيين

ارهابي لا اسم له ...

مصير زعماء الرايخ الثالث في اقبية عدالة نورمبرغ

ايار ١٩٤٥ : هزمت جيوش الحلفاء قوات الرايخ الثالث وجرت محاكمة زعمائه في نورمبرغ .

في قفص الاتهام واحد وعشرون زعيما نازيا متهمون باربع جرائم : التآمر ، جرائم ضد السلام ، جرائم حرب ، جرائم ضد الانسانية .

تم تنفيذ حكم الاعدام في ليلة ١٥ الى ١٦ تشرين الاول وقد منعت المحكمة نشر صور المعدومين .

* * *

ولكن الالمان ليسوا وحدهم الذين اعدموا وقتلوا آلاف المدنيين من غير المحاربين ..

ان الاميركيين يفعلون مثل هذا في فيتنام ..

كما فعلوه قبلا في كوريا .. وقبلا في هورشيما يوم قذفوا مدينة هوروشميا بقنبلة ذرية ..

وكذلك تفعل اسرائيل الصهيونية اليوم مثل هذا مع العرب في فلسطين ..

فمتى يحاكم هؤلاء القتلة كما حوكم القادة الالمان ؟؟

بالتأكيد ستدفع اسرائيل الثمن قريبا ..

وستدفعه ...

فهرست

مطابع دار الغد هاتف ٢٣٠٥١٢

الحرب العالمية الثانية
١٩٣٩ - ١٩٤٥

قصة الحرب المرعبة المثيرة في كتاب واحد .. نقدم لك في القسم الاول منه تاريخ الحرب وتطوراتها حتى نهايتها .

ونقدم لك اهم معاركها الحاسمة في القسم الثاني ، فتقرأ معركة بولونيا ومعركة فرنسا وغزو النروج ، وبلجيكا وهولندا ، والدنمارك ، وستالينغراد ولينغراد ، وشمالي افريقيا ، ثم الى الحرب مع اليابان ، وكيف تجاذب النصر الفريقان ، فتارة كان بجانب اليابانيين واخيراً ظفر به الاميركيون ..

وكذلك ستقرأ في هذا الكتاب معارك البحر ، وكيف تصادمت السفن القوية فوق المحيطات ، بصورة لم يسبق لها قبل في العالم ..

قصة الحرب العامة الثانية في كتاب واحد مشتقاة من اوثق المصادر ، واصدق الرواة ، ومزينة بالصور الفريدة والخرائط العسكرية ..

تطلب مطبوعاتنا في العراق الشقيق من وكيلنا :
السيد عواد عبد الكاظم
مكتبة دار الثقافة العربية
شارع المتنبى - سوق السراى - بغداد